جامعة الدكتور مولاي الطاهر – سعيدة -
كـلية اللغات و العلوم الانسانية
قــسم اللغة العربية و آدابها

مذكرة لنيل شهادة الماستر في اللغة و الأدب العربي
تخصص لسانيات عامة

أثر مستويات التحليل اللساني في اتساع المعاني و التغاير الدلالي

-الخطاب القرآني و قراءاته أنموذجا -

إعداد الطـالبة:
شادلي فاطمة الزهراء

إشــراف الأستاذ الدكتور:
رويسات محمد

لجنة المناقشة

1- الدكتور زحاف الجيلالي جامعة سعيدة رئيسا
2- الأستاذ الدكتور رويسات محمد جامعة سعيدة مشرفا و مقررا
3- الدكتور بهلول شعبان جامعة سعيدة. ممتحننا

السنة الجامعية 2018/2017

جامعة الدكتور مولاي الطاهر – سعيدة -
كـلية اللغات و العلوم الانسانية
قــسم اللغة العربية و آدابها

مذكرة لنيل شهادة الماستر في اللغة و الأدب العربي
تخصص لسانيات عامة

أثر مستويات التحليل اللساني في اتساع المعاني و التغاير الدلالي

-الخطاب القرآني و قراءاته أنموذجا -

إعداد الطـالبة:
شادلي فاطمة الزهراء

إشــراف الأستاذ الدكتور:
رويسات محمد

لجنة المناقشة

2-	الدكتور زحاف الجيلالي	جامعة سعيدة	رئيسا
2-	الأستاذ الدكتور رويسات محمد	جامعة سعيدة	مشرفا و مقررا
3-	الدكتور بهلول شعبان	جامعة سعيدة.	ممتحننا

السنة الجامعية 2018/2017

بسم الله الرحمن الرحيم

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا (107) خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا (108) قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا (109) قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا (110)

سورة الكهف 107 –110

الإهداء

إلى الينبوع الذي لا يمل العطاء ، إلى من حاكت سعادتي بخيوط منسوجة من قلبها إلى والدتي العزيزة أدام الله وجودها وألبسها لباس الصحة والعافية .

إلى من سعى وشقى لأنعم بالراحة والهناء ، إلى الذي لم يبخل بشيء من أجل دفعي في طريق النجاح ؛ الذي علمني أن أرتقي سلم الحياة بحكمة وصبر. إلى والدي العزيز أطال الله في عمره .

إلى من جعلهم الله وطنا وأنا من دونهم غربة .... إلى من حضورهم في حياتي علامة فارقة .

إلى من علموني علم الحياة . إلى من أظهروا لي ما هو أجمل من الحياة إخوتي حفظهم الله .

إلى من رافقني طيلة إنجاز هذا البحث المتواضع الأستاذ الدكتور محمد رويسات أنار الله دربه وسدد خطاه .

إلى من جعلهم الله إخوتي في الله .... ومن أحببتهم في الله .

فاطمة الزهراء .

شكر وعرفان وتقدير

الحمد لله جليل النعم باعث الهمم ، ذي الجود والكرم ، جعل لأهل القرآن،

مزيّة وأيّ مزيّة ومنزلة رفيعة عليّة...

ثم الصلاة والسلام التامان الأكملان على خير البرية وأزكى البشرية محمد وعلى آله وصحبه ... وبعد :

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لا يشكر الله من لا يشكر الناس".

و بناء على ما جاء في الحديث أتوجه إلى الله تبارك وتعالى بالحمد والثناء والشكر لما يحبه ويرضه على أن يسدد خطاي وثبتني ووفقني في إنجاز هذا البحث المتواضع على ما فيه من ضعف البشر وقصر النظر فما كنت فيه من صواب فهو من محض فضله سبحانه وتعالى ومنه علينا فله الحمد والشكر ونسأل الله العفو والغفران .

كما أتقدم بجزيل الشكر وجميل العرفان إلى والدي الكريمين أدام الله وجودهما وألبسهما لباس الصحة والعافية . والأكيد أنه لا يفوتني تقديم الشكر لكل من مد يد العون لتكون هذه الرسالة وأخص بالذكر شيخي وأستاذي الدكتور الحاج محمد رويسات حفظه الله وأنار دربه .

دون أن أنسى الفريق الذي سهر على تأطيرنا طيلة سنتين أساتذتي الكرام أساتذة قسم اللغة العربية جزاكم الله عنا خير جزاء .

شادلي فاطمة الزهراء

مقدمة

الحمد لله خير ما طلب به استفتاح الكلام واستنجاح المرام وصلى الله على سيد الأنام محمد وآله وأصحابه الطيبين الكرام وبعد :

من حكمة الله سبحانه وتعالى أن جعل القرآن الكريم يسير الذكر والقراءة واختار لذلك أساليب تتوافق وفصاحة اللسان العربي الذي تعدد بتعدد لهجات فيما جعله يحظى باهتمام المسلمين والدارسين من النبي صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا حيث جادت قرائحهم بزخم من المؤلفات نهل منها الباحثون وأثروها بالدراسة والتحليل وأفنوا أعمارهم بتتبع كل صغيرة وكبيرة في سبيل علم القراءات إلا أن ما قد موه يعتبر غيض من فيض وغرفة من بحر ذلك أن لغة القرآن غنية بألفاظها وغزارة معانيها واتساع دلالتها التي لا تتوافق في أن تواكب كل مقام فتخرج من إطارها السطحي لتدل على معان عميقة مست جميع مستويات الدرس اللغوي صوتيا وصرفيا ونحويا ودلاليا ، تولّد عنها فوائد عظيمة و لمسات بلاغية جميلة في تفسير كتاب الله و أحكامه و معانيه و اتساع دلالته في كل المستويات اللغوية مما يؤكد على إعجازه.

و لما كان اتساع المعاني للقرآن الكريم يطال جميع المستويات اللغوية فقد راقني تماما أن أستقي قطرة من بحر أغوص فيها، فأسبر أثر مستويات التحليل اللساني في اتساع المعاني و التغاير الدلالي في الخطاب القرآني و قراءاته و الحق أنّ ذلك كان اقتراحا من أستاذي الفاضل الذي لم يتوان لحظة عن تقديم يد العون و هو مشكور على ذلك و من كل هذا وذاك تبادرت إلى ذهني إشكالية أجبت عنها في محطّات مختلفة تمثلت في التساؤلين الآتيين: **ما أثر مستويات التحليل اللساني في اتساع دلالات القرآن الكريم ؟ و ما أثرها في التغاير الدلالي للقراءات القرآنية ؟**

ولكي أجيب على هذه الإشكالية اتّبعت المنهج الاستقرائي الوصفي التحليلي ذلك أنّني حاولت استقراء الظاهرة من كتب اللغة و مختلف التفاسير و لم أكتف بالاستقراء فحسب بل جربت وصف الظاهرة و بيان أهمّ معالمها و مرتكزاتها دون أن أهمل التحليل و الإدلاء بالرأي تارة و الشرح تارة أخرى و الحق يقال فإنّي قد ناقشت بعض النقاط و تجاوزت أخرى لم أحطها

بالدراسة و التحصيل نظرا لتشعب الموضوع و ضيق الوقت الذي كان أكبر عقبة واجهتها في إنجاز هذا البحث المتواضع زد إلى ذلك تشعب المادة

و صعوبة الإلمام بها بأكملها و لا غرو في ذلك فلغة القرآن محيط ليس بمقدور انسي و لا جنّي الإلمام به مصداقا لقوله عزّو جلّ : "قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفذ البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي و لو جئنا بمثله مددا " الكهف الآية 109

و قد حاولت بتأشيرة من مؤطري أن أقسم بحثي إلى مقدمة توضح أهم ملامح الموضوع يليها مدخل في القراءات تطرقت فيه لمفهوم القراءات القرآنية ونشأتها ثم ثلاثة فصول رئيسية في الفصل الأول كان بعنوان الاتساع بين القدامى و المحدثين تحدثت فيه عن مفهوم الاتساع لغة واصطلاحا وبيان معالمه عند القدامى والمحدثين أما الثاني فقد كان فصلا تطبيقيا موسوما بالمستويا الصوتي و الصرفي و أثرهما في اتساع المعاني و التغاير الدلالي حاولت أن أعرض من خلاله مجموعة من النماذج حول الاتساع في المستويين الصوتي و الصرفي حيث أنّنا نلمس بصمات التوسع ظاهرة جليّة ففي الصوت تكون بالإبدال

و حذف الصوت و التنغيم لما لها من أثر بالغ في الهروب بالمعاني و الدلالات لمجرد تغيير بسيط يلمسه أمّا إذا طرقنا أبواب الصرف نجدها تتلاعب ببنية الكلمة و صيغها بالتحوّل في الصيغ تارة و قلب الأماكن تارة أخرى ثمّ أردفته بفصل ثالث بعنوان المستويا النحوي و الدلالي و أثرهما في اتساع المعاني و التغاير الدلالي عالجت فيه قضية اتساع معاني القرآن و قراءاته في المستوى النحوي تعرضت فيه لمسألة التقديم و التأخير و ظاهرة التضمين أمّا المستوى الدلالي فقد عرجت فيه على مجموعة من النقاط المهمة كالتضاد و الترادف و المشترك اللفظي ثمّ خاتمة أجملت فيها مختلف النتائج المتوصل إليها التي أرنو أن أفيد بها ولو بالنزر اليسير متبوعة بقائمة لأهم المصادر و المراجع التي تباينت بين القديم والحديث أهمها الكتاب لسيبويه . الخصائص لابن جني ، سعة العربية للسامرائي اللغة العربية معناها ومبناها للدكتور تمام حسان أصول النحو لابن السراج .

مختلف تفاسير القرآن الكريم (الطبري ، ابن كثير ، القرطبي ، البغوي ... إلخ) متبوعة بقائمة المحتويات .

وفي الختام لا يسعني إلا القول بأن موضوع الرسالة واسع مترامي الأطراف . كثير التشعب يستدعي الإلمام بكل صغيرة وكبيرة وهذا البحث نموذج يعرض بعض أطرافه و الله يشهد أني بذلت فيه ما بوسعي لألمّ بكل أمر ضروري فيه فإن أصبت فمن الله وإن أخطأت فمن نفسي ومن تقصيري وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصل اللهم وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان الى يوم الدين .

مدخل

في القرآن والقراءات

1- تعريف القراءات والقرآن :

لقد اهتم العلماء و الباحثون بعلوم القرآن عموما والقراءات القرآنية على وجه الخصوص إذ أسالت هذه الأخيرة – القراءات القرآنية – حبر الكثير من الكتاب من عصر الصحابة رضوان الله عليهم إلى يومنا هذا .

ويرتبط موضوع القراءات القرآنية بنص القرآن الكريم لأنه مهتم بطريقة وكيفية النطق بألفاظ القرآن الكريم وتحقيق الروايات المنقولة في ذلك عن أئمة القرآن .

ومن هنا يسوقنا الحديث إلى البحث عن الفرق بين القرآن والقراءات وكذا تبيان مفهوم ومعنى كل منهما :

1/1 القراءات :

لغة : القراءات جمع قراءة وهو مصدر للفعل قرأ وقرآنا فهو قارئ[1] وقد نجد هذا اللفظ يشير في اللغة العربية إلى التلاوة وكذا الضم والجمع .

التلاوة : وهي النطق بالكلمات المكتوبة ومنها قولهم (قرآن الكتاب أي تلاوته)[2] .

الجمع والضم : تقول قرأت الشيء إذا جمعته وضممت بعضه إلى بعض ؛ وسمي القرآن كذلك لأنه يجمع الآيات والسور ويضم بعضها إلى بعض[3] .

اصطلاحا : لقد اختلفت التعاريف والشروحات التي أوردها العلماء والباحثون بخصوص مفهوم علم القراءات فمنهم من أوجز ومنهم من فصل ومنهم من أشار إلى مواطن متفاديا أخرى. وفيما يلي نستعرض أهم هذه التعريفات باختصار دون إسهاب :

---

[1] القاموس المحيط ؛ مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي ، دار الجيل ، بيروت ج1/ص 25.

[2] لسان العرب؛ محمد بن مكرم بن منظور الافريقي المصري ط1 دار صادر سعد مادة قرأ ج 1/ص125.

[3] لسان العرب ؛ مادة قرأ 125/1.

يقول أبو حبان الأندلسي بأنها: "علم يبحث عن كيفية النطق بألفاظ القرآن عرفها السيوطي أثناء حديثه عن العالي والنازل من أسانيد القرآن حين قال[1]: و مما يشبه هذا التقسيم الذي لأهل الحديث تقسيم القرّاء أحوال الإسناد إلى قراء و رواية وطريق ووجه فالخلاف إن كان لأحد الأئمة السبعة أو العشرة أو نحوهم واتفقت عليه الروايات والطرق فهو قراءة[2] .

- **تعريف ابن جزري:** "لا يختلف اثنان في أن ابن جزري أحد أقطاب علم القراءات كذلك يعتمد عليه في معرفة الوجه الحقيقي لهذا العلم إذ يعد من أشمل التعاريف حين يقول رحمه الله . القراءات علم بكيفيه أداء كلمات القرآن واختلافها بعزو ناقله"[3]
- **تعريف الإمام بدر الدين الزركشي** : فيقول بأنه اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في كتابة الحروف او تحياتها من تحقيق وتثقيل وغيرها [4].
- **تعريف الإمام القسطلاني** : يعرف القراءات على أنها : علم يعرف منه اتفاق الناقلين لكتاب الله واختلافهم في اللغة والأعراب والحذق والإثبات والتحديات و الإسكان والفصل والاتصال ، وغير ذلك من هيئة النطق و الابدال من حيث السماع .

أو يقال : علم يعرف منه اتفاقهم واختلافهم في اللغة والإعراب والحذق والإثبات والفصل والوصل من حيث النقل ويقال : علم يكفيه أداء كلمات القرآن واختلافها معزو الناقلة[5] .

---

[1] المرجع السابق ،مادة /قرأ/50/16/ تاج العروس من جواهر القاموس محمد بن محمد بن عبد الرزاق المرتضى الزبيدي ط2 بالكويت ج 1/ص106.

[2] الإتقان في علوم القرآن ؛جلال الدين السيوطي تحقيق مركز الدراسات القرآنية مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف 1426 ج 1/ص103.

[3] منجد المقرئين ومرشد الطالبين ابن الجزري اعتنى به عبد الحليم قابة ، ط1 ، دار البلاغ للنشر والتوزيع ، الجزائر 1424 هـ 2003 م،ص17.

[4] البرهان في علوم القرآن لبدر الدين الزركشي ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، ط3 ، دار الفكر 1400 هـ ،3181/1.

[5] لطائف الاشارات لفنون القراءات ؛ لشهاب الدين القسطلاني ، تحقيق عامر السيد عثمان وزميله ، لجنة احياء التراث الاسلامي ، القاهرة 1392 هـ 170/1.

- **الإمام الزرقاني** : "يعرفها رحمه الله على أساس أنها مذهب يذهب إليه إمام من أئمة القرآن مخالف به غيره في النطق بالقرآن الكريم مع اتفاق الروايات والطرق عنه سواء كانت ضده المخالفة في نطق الحروف أم نطق في كيفياتها" .
- **الإمام طاش كيرى زاد** يقول بأنه :"علم يبحث فيه عن صور نظم كلام الله تعالى من حيث وجوه الاختلافات المتواترة .... وقد يبحث أيضا عن صور نظم الكلام من حيث الاختلافات الغير المتواترة الواصلة لحد الشهرة"[1] .

هذا وإن اختلفت التعاريف لعلم القراءات وتفرعت فإن الدارسين قد اهتموا على أن أشمل التعاريف وأوضحها وأبلغها هو تعريف ابن الجزري وذلك نظرا لشموله و دقته .

ومن كل هذا وذاك يمكن أن نخلص إلى نتيجة مفادها أن علم القراءات يتمحور حول أمرين أساسيين هما:

الأمر الأوّل: كيفية أداء الكلمات القرآنية ، سواء أكان ذلك لأداء متفق عليه بين الناقلين لهذه الكيفية أو مختلفا فيه.

الأمر الثاني : النقل الصحيح عن الأئمة الذين تلقوا هذه الكيفية بالأساليب الصحيحة المتصلة إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم).

وعليه فان من شروط القرآن التلقي عن أهل العلم ، ولا يكفي الأخذ من الكتب[2] .

بعض اصطلاحات القراء (بعض الاصلاحات التي أطلقت على القراءات القرآنية): لقد تعددت الاصطلاحات التي تداولها العلماء القراءات بخصوص هذا العلم والتي يجدر بنا الإشارة إليها في هذا المقام وهي : القراءة ، الرواية ، الطريق ، الوجه ، الأصول ، الفرش.

[1] مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم لطاش كبرى زاد ، ط1 ، الكتب العلمية ، 1405 هـ 6/2.
[2] مدخل إلى علم القراءات ؛ الدكتور شعبان محمد اسماعيل ، مكتبة سالم ، مكة المكرمة ، 1424هـ ص 29.

– **القراءة** : وتتعلق بكل ما أسند إلى إمام من أئمة القراءات مما أجمع عليه الرواة عن هذا الإمام.

ومثال على ذلك قوله تعالى في سورة الفاتحة : " ملك يوم الدين" قرأها نافع وابن كثير وأبو عمر وابن عامر وعزة وأبو جعفر (ملك) بحذف الألف . أمّا عاصم و الكسائي و يعقوب و خلف العاشر فقد أثبتوا الألف و قرؤوها (مالك) فرواه هؤلاء الأئمة لم يختلفوا في نقل قراءة الكلمة المذكورة ولذلك تسمى قراءة فلان كذا .

الرواية : هي ما نسب على الآخذ عن إمام من هؤلاء الأئمة سواء كان الأخذ مباشرة أم بواسطة.

ومثال عن الرواية بواسطة رواية الدوري عن أبي عمرو فانه بواسطة يحي اليزيدي ، (فالدوري أخذ عن يحي ويحي تلقى عن أبي عمرو إلا أن رواية الدوري استهترت عن أبي عمرو).

أما بخصوص الرواية بدون واسطة رواية قالوا عن نافع اثبات البسملة بين السورتين .

الطريق : هو كل ما أسند إلى الآخذ عن الراوي عن الإمام مثل طريق الأصبهاني عن ورش، وطريق عبيد بن الصباح عن حفص [1].

ومن أمثلة ذلك اختلافهم في اثبات البسملة بين السورتين فقالوا يثبتها كما تقدم .

أما ورش : وهو الراوي الثاني عن نافع فقد اختلف عن ذلك فأثبتها عنه الأصبهاني

فيقال :اثبات البسملة بين السورتين رواية قالون عن نافع وطريق الأصبهاني ن ورش عن نافع

ومثل اختلاف القراء في كلمة (ضعف – ضعفا) في سورة الروم في مواضعها الثلاثة .

قرأ حمزة وشعبة عن عاصم بفتح الضاد في الثلاثة .

[1] المرجع السابق ص 29

وقد اختلف عن حفص فروي عنه عبيد بن الصباح بفتح الضاد وروى غيره ضمها وقرأ باقي القراء بالضم .

ولذلك تقول فتح الضاد في هذه الكلمات قراءة حمزة ورواية شعبة وطريق عبيد بن الصباح عن حفص وهذا ما يسمى عند العلماء باختلاف الواجب الإتباع[1] .

– **الوجه** : وهو ما يكون فيه القارئ مختارا بين الأوجه الجائزة في القراءة مثل الأوجه التي بين السورتين من وصل الجميع أو قطع الجميع أو الوقف على آخر السورة السابقة والبدء بأول السورة اللاحقة .

ومثال على ذلك حالات المد الجائز وغير ذلك مما جرى على الاختيار وهذا ما يطلق عليه علماء القراءات : بالخلاف الجائز معنى ذلك أنه لو قرأ بأي وجه لجاز له ذلك ولا إشكال في الأمر ، بخلاف الخلاف الواجب إذ لا بد أن يأتي القارئ به فان أخل بشيء منه عد ذلك نقصا في روايته لأنه عين القراءات .

– **الأصول** : في اللغة هو جمع الأصل وله معان عدة منه ما يبنى عليه غيره .أما اصطلاحا: فهو عبارة عن الاحكام الكلية المطردة التي يندرج تحتها الجزئيات المتماثلة مثل صلة ميم الجمع وهاء الضمير ، وكذا الأحكام المتعلقة بالهمزات ، والفتح والإمالة و الإدغام والإظهار وسائر القضايا التي يتكرر ذكرها في القرآن الكريم وليست متعلقة بسورة واحدة فقط .

– **الفرش** : هو النشر والبسط أما عند علماء القراءات فيقصد به ما جاء من القراءات من خلافات غير مطردة في سور القرآن الكريم . ويطلق عليه اسم الفرش لانتشار هذه القراءات في سور القرآن فكأنها انفرشت وتوزعت على السور بخلاف الأصول فإن الحكم فيها ينسحب على جميع السور ، ولا يخص سورة بعينها .

وهذا على وجه العموم فقد نجد في الأصول ما ليس بمطرد ، وقد نجد في الفرش ما هو مطرد.

[1] المرجع السابق نفسه ، ص31.

ففي الأول نجد أن ورشا له في مد البدل ثلاثة أوجه ، القصر والتوسط والمد ست حركات مثل آمنوا – إيمانا ، أوتوا .... ثم استثنى من ذلك بعض الكلمات ، فلم يجد فيها الأوجه الثلاثة مثل إسرائيل ، " يؤاخذ" حيث وقعتا فليس له في ذلك سوى القصر ومثل ذلك سائر الكلمات التي تستكن فيها أبواب الأصول .

أما الثاني وهو الفرش : إسكان الهاء من لفظتي " هو ، هي" فقد أسكن هاء هما في القرآن كله ، قالون ، وأبو عمرو ، والكسائي إذا كانتا مقترنين بالواو او الفاء أو اللام مثل : " .... وهو بكل شيء عليم" ، " فهو وليهم"[1]، " إن الله لهو الغني الحميد"[2] ومع أن ذلك ورد أول مرة في سورة البقرة إلا أن الحكم مطرد في جميع السور . وعليه فإن العلماء يرون أن تسمية النوع الأول بالأصول والثاني بالفرش إنما هو من قبيل الغالب و ما يشذ عن ذلك قليل [3].

2/1 تعريف القرآن الكريم :

القرآن الكريم هو كلام الله تعالى المعجز المنزل على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) بواسطة جبريل عليه السلام المكتوب في المصاحف المنقول إلينا بالتواتر المتعبد بتلاوته المتحدي بأصغر السورة منه ، والمبدوء بسورة الفاتحة والمختوم بسورة الناس[4] .

وعليه فالقرآن الكريم هو الوحي الذي أنزله الله عز وجل على قلب محمد صلى الله عليه وسلم ونقل بالتواتر .

---

[1] سورة النحل 63.

[2] سورة الحج 64.

[3] راجع في هذه الاصطلاحات النشر في القراءات العشر محمد بن محمد الدمشقي ابن الجزري أبو محمد تحقيق علي محمد الضباع المطبعة التجارية الكبرى ج 1/ص52 / عين النفع في القراءات السبع للصفاقسي تحقيق عبد السميع الشافعي الحفيان دار الكتب العلمية بيروت ط1 1425 / 2004 1118 (ص 34-35) ، اتحاف فضلا دار البشر بالقراءات الأربعة عشر للدمياطي (102/1) تحقيق الدكتور سليمان إسماعيل ، صفحات في علوم القراءات للدكتور عبد القيوم السندي ، ص 11 وما بعدها .

[4] ارشاد الفحول للشوكاني تحقيق سامي بن العربي الأثري ط1 1424 /2000 ؛ ص29.

و القرآن هو الوحي الذي أنزله الله عز وجل على قلب محمد صلى الله عليه وسلم ونقل إلينا بالتواتر و منه فإنّ الإشكالية الجديرة بالطرح هي :

ما الفرق بين علم القراءات والقرآن الكريم ؟؟؟

يرى الامام بدر الدين الزركشي (794 هـ) بأن القرآن الكريم والقراءات القرآنية مفهومان مختلفان حيث يرى : أن القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان فالقرآن هو الوحي المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم للبيان والإعجاز ، والقراءات هي اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في الحروف. وكيفيتها ، من تخفيف وتثقيل [1].

وقد حذا الشيخ القسطلاني في لطائف الاشارات (172/171/1) والشيخ أحمد بن محمد الدمياطي في إتحاف فضلاء البشر (1-68-69) حذو الإمام الزركشي في بيانه أن القرآن والقراءات مفهومان متغايران مختلفان من جميع المناحي والجوانب .

وهذا ما انتقده الدارسون حيث يرون أن القراءات الصحيحة المتواترة التي تلقتها الأمة بالقبول ما هي إلا جزء من القرآن الكريم وعليه فهما يرتبطان ارتباطا وثيقا يتمثل في ارتباط الكل بالجزء . هذا و يذكر الزركشي أن الارتباط بينهما قائم وموجود والتداخل بينهما لا ينكر حيث يقول : "ولست في هذا أنكر تداخل القرآن بالقراءات إذ لا بد أن يكون الارتباط بينهما وثيقا . غير أن الاختلاف على الرغم من كل هذا يظل موجودا بينهما بمعنى أن كلا منهما يختلف عن الآخر لا يقوى هذا التداخل بينهما أن يجعلهما شيئا واحدا فما القرآن إلّا التركيب و اللفظ و ما القراءات إلّا اللفظ ونطقه والفرق بين هذا وذاك واضح وبين "[2].

هذا ما يجعل وجه التغاير بينهما كامن في كون القرآن يشمل مواضع الاتفاق والاختلاف التي صحت وتواترت عن النبي صلى الله عليه وسلم والقراءات هي اوجه القرآن أما وجه الاتفاق الآخر

[1] البرهان في علوم القرآن لبدر الدين الزركشي تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار الفكر 1400 هـ 318/1.
[2] المصدر نفسه 318/1.

فهو أن القرآن هو الوحي النازل على النبي صلى الله عليه وسلم والقراءات الصحيحة المتواترة هي جزء من هذا القرآن .

أما الدكتور محمد سالم محيسن : فيرى أن القرآن والقراءات حقيقتان بمعنى واحد ودليل في ذلك أن كل منهما وحي منزل على الرسول صلى الله عليه وسلم .

والظاهر ان هذا الرأي ليس بصواب لما يأتي[1] :

1)أن القراءات على اختلاف أنواعها لا تشمل كلمات القرآن كله ، لأنها موجودة في بعض ألفاظه فكيف يقال بأنهما حقيقتان محددتان .

2)أن تعريف القراءات يشمل المتواتر والشاذ، والقراءات المتواترة من القرآن قطعا والقراءات الشاذة و لا تعتبر قرآنا. فكيف يقال القرآن والقراءات على هذا الإطلاق حقيقة متحدة .

وعليه فإن القرآن والقراءات المتواترة حقيقة واحدة باعتبار كونهما وحيا من الله تعالى فان القراءات المتواترة والاختلاف الثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم في بعض الكلمات جزء من الوحي النازل على النبي صلى الله عليه وسلم .

والقرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان باعتبار طبيعة كل منهما فان القرآن هو كل ما نزل من عند الله عز وجل سواء كان بوجه أو وجوه ونقل بالتواتر وهو في الحالتين نزل للإعجاز والبيان والقراءات بنوعيها المتواتر والشاذ هي الكلمات المختلف فيها .

ولذا فان القرآن الكريم أعم من القراءات القرآنية المتواترة كما أن القراءات الشاذة ليست من القرآن، والقراءات القرآنية المتواترة جزء من القرآن ، ولا تنافي بينهما فكل قراءة صحيحة ثابتة عن

[1] القراءات وأثرها في التفسير ، محمد بن عمر بازمول ، ط1 ، دار الهجرة ، دار الكتب العلمية 1405 ، 1/17-18.

النبي صلى الله عليه وسلم هي بعض من أبعاض القرآن الكريم نزلت رخصة وتخفيفا على الأمة كما ثبت ذلك في أحاديث الأحرف السبعة[1] .

وعلى ذكر الأحرف السبعة يجدر بنا أن نشير إلى معناها بشكل موجز وملخص وذلك بغية رفع اللبس الذي يقع فيه الكثير بخصوص التفريق بين القراءات السبع والأحرف السبع . وعليه فإن الأحرف السبعة تكتسب مصداقيتها بما أورده عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " أقرأني جبريل على حرف فراجعته فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف "

حيث تتفق الدراسات على أن المقصود بالأحرف السبعة أنها نزلت على سبعة لغات والأرجح أن النبي صلى الله عليه وسلم حينما هاجر الى المدينة المنورة اقتضى الأمر أن تنزل القراءات على أحرف مختلفة لكثرة الوافدين إلى هذا الدين الحنيف والحاجة الملحة لتلقينه بها يلائم سليقتهم لما فيه من تيسير ورأفة من نبي البشرية محمد صلى الله عليه وسلم بأمته وهذا ما يدعمه قول ابن الجزري حيث يرد الحكمة من تعدد الأحرف إلى أن الأنبياء أرسل كل واحد فيهم إلى قومه وهو موكل بإبلاغ فئة من الناس يفهمونه دون الحاجة إلى تذليل وتسهيل أما النبي محمد صلى الله عليه وسلم فإنه قد أرسل الى البشرية كافة على اختلاف ألوانهم ومشاربهم ولغاتهم .

هذا ويمكن أن نجمل معنى الأحرف السبعة في مجموعة من الأوجه اتفق عليها مجموعة من العلماء أمثال الرازي وابن قتيبة وأبو الفضل وأوردوها على النحو الآتي :

- اختلاف الأسماء من جمع وثنية وإفراد وتذكير وتأنيث . ومثال على ذلك قوله تعالى : " *وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ* "[2] فإنها تقرء لأمانتهم .

[1] مباحث في علوم القرآن ، محمد أحمد ، مفلح القضاة ، أحمد خالد شكري ، خالد منصور ، ط1 ، عمان الأردن 2001.

[2] المؤمنون الآية 8.

- اختلاف تصريف الأفعال من ماض ومضارع وأمر مثل ما ورد في قوله : "*فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا* "[1] قرأت ربنا بعد .

- ووجه ثالث يعزى إلى اختلاف وجوه الإعراب ومن أمثلة ذلك قوله تعالى : "*وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ* "[2] قرئ الحرف يفتح الراء وضمها وكذلك الأمر في قوله تعالى: "*ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ* "[3] فقرئ الحرف في المجيد بالرفع تارة وبالجر تارة أخرى.

- يعزي الأمر كذلك للتقديم والتأخير وما من ذلك قوله تعالى : "*فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ* "[4] حيث قرئ "*فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ* " ودنياه أيضا قوله تعالى : "*وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ* " قرئ " وجاءت سكرة الحق بالموت".

- ومن أهم أوجه الأحرف السبعة القلب والإبدال في كلمة بأخرى أو حرف بآخر مثل قوله تعالى : "*وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا* "[5] فقرئ بالزاي وقرئ بالراء ننشرها .

- كما تعد قضية اختلاف اللغات من أهم القضايا التي أدت إلى اختلاف أحرف قراءة القرآن ومثل ذلك قوله عز وجل " *هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى*"[6] . فقرئ بالفتح والإمالة في " أتى" و " موسى" وغير ذلك من ترقيق وتفخيم وإدغام .

- هذا ويعتبر عنصر الزيادة والنقصان من أهم أوجه الأحرف السبعة ومقاله قوله تعالى: "*وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى*"[7] فقرئ الذكر والأنثى بنقص ما خلق . وخلاصة القول أن الاحرف السبعة ليست قضية مستحدثة من طرف بشر وإنما هي تنزيل من لدن حكيم خبير عليم بحاجة عباده

---

[1] سبأ الآية 19.

[2] البقرة الآية 282.

[3] البروج الآية 15.

5 ينظر أبو عمرو الداني (ت 444)الأحرف السبعة تحقيق عبد المهيمن طحان ط1 1418هـ/1997صص 35 39

[4] التوبة الآية 111.

[5] البقرة الآية 259.

[6] النازعات الآية 15.

[7] الليل الآية 6.

حيث أن المراد بهذا التنوع ضبط القراءة وعدم السماح بقراءة تخرج عن الأوجه السبعة المذكورة فيما سبق .

أما المقصود بالقراءات فسنأتي على شرح وسير مختلف أطوارها في محطات لاحقة حيث أن المقصود في هذه النقطة أن نضبط معالم البحث ونتبين حقيقة المصطلحات إذ أن الفرق بينهما القراءات والأحرف فإن الأحرف ألفاظ متعددة تجمع على مصحف واحد ، أما القراءات فيقصد بها أن لفظ واحد يقرأ على أوجه مختلفة من القراءات والفائدة من تعدد الحرف هو التسهيل والتيسير على الأمة .

أما القراءات فتحيل كل قراءة إلى نتيجة أو بالأحرى إلى فائدة مفقودة فيما سبقها .

ومثال ذلك : " وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ "[1] قرئ حتى يطهرن فالأولى معناها ينقطع حيضهن والثاني معناها يغتسلن وأي باقية و متجذرة مادام القرآن الكريم ساري المفعول .

3/1 تنزيل القرآن الكريم :

جعل الانسان مستخلفا في الأرض ليعمرها ويبنيها ويستصلحها ويحافظ عليها متميزا في دوره عن سائر المخلوقات بما أودعه الله سبحانه وتعالى فيه من عقل تمكن من خلاله أن يطور طبيعة عشيته ونمط حياته الشيء الذي انعكس على محيطه الذي شهد هو الآخر تغيرات جذرية ، الأمر الذي جعل علاقته مع بقية المخلوقات لا تستقيم إلا بنظام يكفل له الحياة الكريمة .

ويعتقد المؤمنون بالله أن الانسان يظل مهما أوتي من عقل وقدرات بشرية وإمكانات مادية ، قاصرا على أن يصل إلى الشكل والصبغة التنظيمية لتي تكفل الحياة الكريمة للجميع[2] .

[1] البقرة الآية 222.

[2] مجموعة علوم القرآن والحديث (القراءات القرآنية) تاريخ وتعريف للعلامة الدكتور عبد الهادي الفضلي مركز الغدير للدراسة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، ط2009/9 ص 67.

ولأجل ذلك يبعث الله الأنبياء والرسل مكلفا إياهم بإبلاغ رسالته داعما إياهم بكتب موحات منه سبحانه وتعالى مختومة بالقرآن الكريم سيد الكتب الوجيهة الذي حمله إلينا خاتم الأنبياء سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم جاعلا منه دستورا وميثاقا جامعا للمسلمين على اختلاف أعرافهم وأجناسهم ومشاربهم ، هذا الذي صدق فيه قول الله تعالى : " لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه تنزيل من حكيم حميد"[1] . أنزله الله تعالى بلسان عربي مبين[2] متكفلا سبحانه وتعالى بحفظه ورعايته مصداقا لقوله عز وجل " إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون"[3].

ومع نزول الوحي بالقرآن الكريم وبداية الدعوة الإسلامية سعى النبي صلى الله عليه وسلم عاهدا لتبليغ الآيات القرآنية لصحابته ليرسخ في قلوب البعض ويدونه البعض الآخر وعلى رأسهم علي بن أبي طالب كرمه الله وجعله الذي كان دوره ترتيب آيات القرآن بإشراف من الرسول صلى الله عليه وسلم .

ومن هنا بدأت دورة أخرى من دورات نشر القرآن الكريم بحيث قام الحاملون لكتاب اله تعالى بتلقينه لجيل المسلمين اللاحق في حلقات في المساجد لتقوم هذه الكوكبة التي تلقت القرآن من الصحابة بدورها بنقله للأجيال التي تلتها وهكذا انتجت مجموعة من المسلمين عرفوا في وقت لاحق بالقرّاء ، الذين عهدوا تلاوته وحفظه وتلقينه عن بعضهم البعض حيث يروي كل من حكم عن شيخه الذي أخذ منه القراءة .

وهذا ما أدى إلى تعدد القراءات للآية الواحدة تواتر بعضها بينما تختلف بعضها الآخر عن ذلك ، الأمر الذي جعل أهل الاختصاص يقصرون القراءات في روايات وطرق محدودة وقد كان ابن مجاهد سباق إلى ذلك في كتابه السبعة معتبرا أهلها القراء السبعة و صنف باقي القراءات في

[1] سورة فصلت 42.
[2] سورة الشعراء 195.
[3] سورة الحجر الآية 547.

باب القراءات الشاذة واختلفت الآراء في ذلك بحيث هناك من يجعلها عشرة وهناك من جعلها إحدى عشرة وآخر أربع عشرة قراءة .

ويرجع ذلك الاختلاف في القراءات وتشذيذ بعضها عن بعض إلى علاقتها بعلم اللغة العربية (نحوا وصرفا و صوتا) وكذا من ناحية جواز القراءة لبعض الآيات من عدمها (المقصود بذلك الأحكام الفقهية).

4/1نشأة علم القراءات وتطورها :

شهدت القراءات القرآنية مداخل مختلفة متداخل بعضها في بعض حتى استقرت علما من علوم القرآن الكريم وميدان من ميادين الدراسات النحوية واللغوية بشكل عام [1].

وتجسدت هذه المراحل والأدوار التاريخية للقراءات في أن القرآن كان يقرأ للتعلم ، ثم تطورت إلى تلاوة الآية والسورة فكان يقرأ بغية التلاوة بحثا عن الثواب والأجر ، ثم إلى حمل القرآن الكريم وحفظه كله أو بعضه عن ظهر قلب ، ومن بعد إلى رواية تسند القراءة إلى الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ليرقى بعد ذلك إلى ميدان متخصص له أهله من أساتذة وتلاميذ مما جعله يسمو إلى مراتب عليا فتشكل إثر ذلك علما قائما بذاته له قواعده وأصوله ومؤلفاته وأبحاث (قدمته مستويا على ساقه).

- **المرحلة الأولى : (بدء نزول الوحي)**

مما لا يختلف فيه اثنان أن بدايات نزول القرآن الكريم على محمد صلى الله عليه وسلم كان في مكة المكرمة حين خاطب الرحمان عبده صلى الله عليه وسلم قائلا :

" **اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ** (**1** (خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (2) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (3) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (4) عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ[2] (5)

[1] مجموعة علوم القرآن و الحديث ، ص 69

[2] العلق من 1 إلى 5

وتعتبر هذه المرحلة بمثابة المرحلة الأولى لنشوء القراءات القرآنية حيث كان فيها جبريل عليه السلام يقوم بتعليم النبي الكريم صلى الله عليه وسلم القرآن الكريم انطلاقا من الآيات السابقة الذكر وهي أول خمس آيات من سورة العلق ، وحسب ما اتفق عليه جل المفسرين حيث أعربت وأقرت بجلاء عن تعليم وإثراء سيدنا جبريل عليه السلام القرآن الكريم للنبي محمد صلى الله عليه وسلم .

ونعتمد في تبرير ما سلف على قول الإمام القرطبي في تفسيره : " إن هذه السورة يعني العلق أول ما نزل من القرآن في قول معظم المفسرين ، نزل بحق جبريل عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو قائم على حراء فعلمه خمس آيات من هذه السورة "[1].

وتجمع الدراسات أن القراءات في هذه المرحلة كانت قراءة تعليم وتلقين بغية حفظ النبي صلى الله عليه وسلم القرآن متلقيا بذلك الرسالة الإلهية إلى البشرية وهذا ما يدعمه قوله تعالى : " اقرأ" بما تحمله من دلالة على ذلك التلقين والتعليم . دون الرجوع إلى أقوال المفسرين .

- **المرحلة الثانية : (إقراء النبي صلى الله عليه وسلم للمسلمين).**

تميزت المرحلة الثانية بانتقال وتطور القراءة من تعلم النبي الأعظم صلى الله عليه وسلم للقرآن الكريم وحفظه بعد أن تلقاه من جبريل عليه السلام إلى مستوى آخر يتمثل في تعليم النبي صلى الله عليه وسلم وإقرائه للمسلمين وقراءته وتلاوته أمام من يدعوهم إلى المسلمين امتثالا لأمره عز وجل بعد أن كلفه بتبليغ الرسالة إلى صحابته رضوان الله عليهم والمسلمين في قوله تعالى : " وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا " (106)[2] وكذلك قوله تعالى : " يا أيها المدثر (1) قم فأنذر (2) وربك فكبر (3) وثيابك فطهر (4) والرجز فاهجر(5) " .

[1] الجامع لأحكام القرآن محمد بن احمد الأنصاري القرطبي ، القاهرة ، دار الكتب 1938 ، ط1/ط2. 1967 07/10-76

[2] سورة الإسراء الآية 107.

ورضوخا لأوامر الله عز وجل أخذ النبي صلى الله عليه وسلم يقرئ ويبلغ صحابته كل ما كان ينزل به جبريل عليه السلام من قرآن بلغه قريش ولهجتها .

ولما وجد النبي صلى الله عليه وسلم في صحابته صعوبة ومشقة في قراءة القرآن الكريم على حرف واحد دعا ربه عز وجل أن ييسر ويخفف على أمته فكان له ما طلب وأمده الله تعالى بأن يقرئ أمته القرآن على سبعة أحرف . هذا ويختلف الدارسون في تحديد زمن نزول التخفيف هل كان بمكة أم بالمدينة وأقرب رأي الى الصواب والدقة أنه كان بمكة المكرمة لأن مدة ثلاثة عشر سنة وهي المدة التي قضاها الرسول صلى الله عليه وسلم فيها لا يمكن أن تبقى فيها الأمة بدون تخفيف.

ومن نتائج التخفيف ونزول الوحي بسبعة أحرف أن الصحابة كانوا يختلفون في الأخذ عن النبي صلى الله عليه وسلم لأسباب كثيرة يمكن ان نجملها فيما يلي :

1- سفر بعضهم إلى بعض البلدان لتعليم أهلها أحكام الإسلام .

2- اشتراك بعضهم في الفتوحات الإسلامية والجهاد في سبيل الله [1].

3- السعي في تحصيل الرزق مما جعلهم رضوان الله عليهم يتفاوتون في الأخذ عن النبي صلى الله عليه وسلم .

وعلى الرغم من كل هذه الانشغالات و الارتباطات والتفاوت الذين كان مرجوا بين الصحابة رضوان الله عليهم إلا انّهم عرفوا جميعا بحفظ القرآن بكامل قراءته ورواياته وهذا ما تؤكده جملة من الأحاديث توفرت على ذكرها جوامع الحديث الشريف وتفاسير القرآن الكريم منها :

1)عن عثمان وابن مسعود وأبي : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرئهم العشر فلا يجاوزونها إلى عشر أخرى حتى يتعلموا ما فيها من العمل فيعلمهم القرآن والعمل جميعا [2]".

[1] ينظر مدخل إلى علم القراءات ص45.

[2] البيان في تفسير القرآن ؛ أبو قاسم الموسوي الخوئي النجف الأشرف ، مكتبة الآداب ، ط1966/2 ص 38.

2) عن أبي عبد الرحمان السلمي : قال حدثنا من كان يقرئن من الصحابة أنهم كانوا يأخذون من رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر آيات فلا يأخذون الأخرى حتى يعملوا ما في هذه من العلم والعمل[1] .

3)وقال في مقدمة المباني : أن صلى الله عليه وسلم لما وعده الله عز وجل ان يحفظ القرآن له وعليه ويثبته في قلبه أمن نسيانه فعمل على أنه يحفظه على أمته و لايزال يقرؤه عليهم ويقرئهم إياه، ويعظهم به أحيانا ويعرفهم الفرائض والأحكام ، والمناسب من تأويله الذي يعرف بعد تلاوته[2].

- **المرحلة الثالثة : (إقراء المسلمين).**

انتشر الصحابة رضي الله عنهم بعد ذلك في أقطار الأرض ينشرون العلم ويعلمون الناس جميعا ما تلقوه من الرسول صلى الله عليه وسلم كل حسب المقدار الذي أخذه عن النبي وهذا ما انعكس على التابعين وتلاميذه وهذا ما نتج عنه اختلاف القراءات الذي أدى بدوره إلى نشوب النزاع بين القراء بسبب سماعه لقراءة لم يسمعها من نتيجة الذي أقرأه وسمع عنه ، ويرجع ذلك إلى أن الأحرف السبعة التي نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت كثيرة . وأن بعضها قد نسخ خلال معارضات جبريل عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وسلم مدة كل سنة . وفي العام الذي قبض فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم عارضة القرآن مرتين ، وبين له ما نسخ من القرآن من هذه الأحرف وما بقي منها[3] ؛ هذا ما جعل هذه القراءات لا تصل إلى بعض الصحابة ، وهذا ما جعل عثمان رضي الله عنه يتدارك الأمر ويأمر يجمع الناس على مصاحف تجمع القراءات التي نقلت نقلا متواترا وجاءت في العرضة الأخيرة وأسقط ما دون ذلك .

---

[1] نقلا عن بحار الأنوار 61/19 (مقدمة المباني).مجموعة علوم القرآن القراءات القرآنية ، عبد الهادي الفضلي ، ص27.

[2] مقدمة كتاب المباني ومقدمة ابن عطية ، نشر المستشرق الدكتور آرثر حفري ، تصحيح اسماعيل الطاوي ط1972/2 ص 23.

[3] ينظر ؛ شرح السنة للبغوي تحقيق شعيب الارنؤوط محمد زهير الشاويش المكتب الإسلامي دمشق بيروت ط2 1983/1403(01/75/3).

ومن ثمة خمدت نار الفتنة وأخذ العلماء يستندون ويعتمدون على هذه المصاحف ويقرؤون الناس بها ، وخصص لكل مصر من أمصار الإسلام أئمة من التابعين استشهدوا وعرفوا بإقراء القرآن وتعليمه .

– وكان في مكة : مجاهد بن جبر – طاووس كيسات وعطاء بن أبي رباح ، وعكرمة .

– وفي المدينة المنورة : معاذ بن الحارث القارئ – سعيد بن المسيب ، عروة بن الزبير ، عمر بن العزيز ، عطاء بن يسار ، ابن شهاب الزهري .

– وفي الكوفة : عمرو بن شرحبيل – علقمة بن قيس النخعي ، أبو عبد الرحمان السلمي ، سعيد بن جبر ، عمرو بن ميمون ، الحارث بن قيس وغيرهم .

– وفي الشام : المغيرة بن أبي شهاب المخزومي ، خليل بن سعيد ، صاحب أبي الدرداء وغيرهم [1].

وروى البخاري بإسناده عن أبي إسحاق عن البراء قال : أول من قدم علينا (يعني إلى المدينة) من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم مصعب بن عمير وابن أم كلثوم فجعلا يقرئان القرآن ، ثم جاء عمار وبلال ولما فتح صلى الله عليه وسلم مكة ترك معاذ بن جبل للتعليم ، وكان الرجل إذا هاجر إلى المدينة دفعه النبي صلى الله عليه وسلم إلى رجل من الحفظة ليعلمه القرآن"[2] .

وجاء في خبر نزول مصعب بن عمير المدينة أنه نزل دار القراء ، وهذه التسمية توحي بتفرد القراء في مجتمع المسلمين آنذاك وتأسيسهم ما يشبه المدرسة أو المعهد وإن كان البعض يرى أن هذه التسمية جاءت وظهرت بعد اشتهار الإقراء ومعلميه .

- **المرحلة الرابعة: (ظهور جماعة القراء).**

[1] غاية النهاية في صفات محمد بن محمد بن جزري عني بنشره ج برجستر ج139/1 -440 ، القاهرة مكتبة الخانجي 1932.

[2] تاريخ القرآن تيودور نولدكه ترجمة رضا محمد الدقيقي أبو عبد الله للنشر تجاني ط3 . بيروت مؤسسة الأعلى 1929.ص 35

في هذه المرحلة تفرغ جماعة من أهل القرآن لنقل القراءات وإقرائها واعتنوا بروايتها بأسانيدها المختلفة حيث تدارسوا آيات القرآن وسوره فيها تبينهم وكانوا يسمون بالقراء ولعلها بداية التسمية وبداية نشوء وتبلور هذا المصطلح. مما يوحي بشكل واضح عن مدى انتشار القراءة في هذه المرحلة من تاريخ نشوئها وكذا عن تحولها إلى ظاهرة دينية تعني التلاوة بعد أن كانت تعني تمام القرآن لحفظه فتلاوته.

وجاء في كتاب المغازي الوافدي: وكان من الأنصار سبعون رجلا شبيبة يسمون (القراء) ، كانوا اذا أمسوا أتوا ناحية المدينة فتدارسوا وصلوا ".رواه أحمد

ومما يؤكد أيضا شيوع التسمية وجود قارئين عرفوا بالقراءة وبتعاهدهم القرآن بها أمثال الأحاديث الذي رواها الذهبي في معرفة القراء (33/1).

1)ما رواه حمادة بن مسلمة عن عاصم الأحوال عن أبي قلابة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " أقرؤهم أبي بن أبي كعب"[1].

2)ما رواه أبو وائل عن مسروق عن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول استقرئوا القرآن من أربعة : عبد الله بن مسعود وسالم مولى أبي خديعة ومعاذ بن جبل وأبي بن كعب[2] .

3)وقول علي أفضاها علي وأقرؤنا أبيّ .

4)وحديث مقدمة المباني في قوله صلى الله عليه وسلم :من سره أن يقرأ القرآن رطبا كما أنزل فليقرأه على قراءة (بن أم عبد)[3] يعني عبد الله بن مسعود .

[1] معرفة القراء محمد بن اسماعيل الذهبي ، حققه وفهرس له وضبط أحكامه وعلق عليه محمد سيد جاد الحق ، مكتبة دار التأليف ط1/ج1/ص41.

[2] صحيح البخاري تحقيق زهير بن ناصر الناصر دار طوق النجاة ط1/1422هـ ج 6/ص669 .

[3] مقدمتان في علوم القرآن مقدمة كتاب المباني و مقدمة ابن عطية تحقيق عبد اللّه إسماعيل الصاوي آرثر جفري مكتبة الخانجي للنشر و الطباعة ط1 1905ص 37.

- **المرحلة الخامسة : (استظهار القرآن).**

تتميز هذه المرحلة في حرص الصحابة رضي الله عنهم على حفظ القرآن عن ظهر قلب وتسير الكثير من الأحاديث أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه حفظ القرآن الكريم في حياة النبي صلى الله عليه وسلم[1] .

ويشير الذهبي في مؤلفه (معرفة القراء) إلى سبعة ممن حفظوا القرآن في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وهم : أبي بن كعب (ت 20 هـ) عبد الله بن مسعود (ت 32 هـ) أبو الدرداء عويمر بن زيد (ت 32 هـ) وعثمان بن عفان (ت 35 هـ) وعلي بن أبي طالب (ت 40 هـ) أبو موسى الأشعري (ت 44 هـ) وزيد بن ثابت (ت 45 هـ) مضيفا أنهم من دارت عليهم أسانيد قراءة الأئمة العشرة .

- **المرحلة السادسة : (التلامذة).**

في هذه المرحلة يتم اللجوء إلى حفظة القرآن أمثال الصحابة الذين سبق ذكرهم للأخذ عنهم والقراءة عليهم .

والطبعة الثانية من تصنيف وترتيب الذهبي توقفنا على ذلك بوضوح ففيها يذكر أن أبا هريرة و ابن عباس وعبد الله بن السائب وعبد الله بن عياش وأب العالية الرباحي قرؤوا عن أبي بن كعب. والمغيرة بن أبي شهاب المخزومي قرأ على عثمان والأسود بن يزيد النخعي أخذ القراءة عرض عن ابن مسعود وكذلك علقمة بن قيس أخذها عن ابن مسعود ، وأن أبي عبد الرحمان السلمي عرض على عثمان وعلى وابن مسعود .[2]

[1] المرجع السابق ص 40 ط3.

[2] ينظر معرفة القراء على الطبقات و الأعصار شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي دار الكتب العلمية ط1 1417هـ/1997م ج1 ص 2

هذا وتعتبر الكوفة من أعرق المدن الإسلامية وأشهرها عناية بالقراءات القرآنية والقرآن بعد المدينة المنورة حيث أن أهلها اشتغلوا بقراءة القرآن وتفسيره وإقرائه الأمر الذي جعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه يصفهم بأنهم ذوي كدوي النحل / هؤلاء الذين كانت بدايات تلمذتهم على يد ابن مسعود مبعوث عمر رضي الله عنه .

وتشير الدراسات إلى أن هذه المرحلة لم تتعد النصف الأول من القرن الأول للهجرة .

- **المرحلة السابعة (القراء من الصحابة).**

بعد أن قطعت القراءات القرآنية شوطا لا بأس به وأصبحت مادة تدرس وتتلقى على يد حفظة القرآن وقارئيه بدأت وجوه القراءة المختلفة تشق طريقها في الرواية وسبلها في النقل .

وهذا ما يدل عليه أول كتاب (القراءات) لأبي عبد القاسم بن سلام في ذكر أسماء بعض من نقل عنهم أوجه القراءة من الصحابة ومنهم : سالم مولى أبي حذيفة (ت 12 هـ) أبو بكر (13 هـ) وعمر (ت 23 هـ) وابن مسعود (ت 32 هـ) وعثمان (35 هـ) وحذيفة (ت 35 هـ) وطلحة (36 هـ) والإمام علي (ت 40 هـ) وسعد (51 هـ) وعمرو بن العاص (ت 58 هـ) وأبو هريرة (ت 59 هـ) ومعاوية (ت 60 هـ) وابن عمر (ت 63 هـ) وعبد الله بن عمرو بن العاص (65 هـ) وابن عباس (ت 78 هـ) وعبد الله بن السائب (ت 80 هـ) وابن الزبير (73 هـ) وحفصة (ت 45 هـ) وعائشة (ت 87 هـ) وأم سلمة (ت 62 هـ) وكلهم من المهاجرين أما من الأنصار فأبي بن كعب (ت 20 هـ) أبو الدرداء (ت 32 هـ) معاذ بن جبل (33 هـ) و زيد بن ثابت (ت 45 هـ) ومجمع بن جارية (توفيت في خلافة معاوية) وأنس بن مالك (ت 91 هـ).[1]

[1] النشر في القراءات العشر محمد بن محمد الجزري 833 هـ مراجعة علي محمد الطباء القاهرة م/مصطفى محمد (1ج/ص6).
ينظر القراءات القرآنية للدكتور الهادي الفضلى ص 35.

فشاع في هذه المرحلة ظاهرة اختلاف القراءات خلال النصف الأول من القرن الأول كما تدل عليه تواريخ انقضاء أجل المذكورين من الصحابة كما تشير الدراسة إلى أنّ هذه المرحلة لم تتعد القرن الأوّل الهجري .

- **المرحلة الثامنة (مبعوثو عثمان) :**

بعدما وحد الخليفة عثمان بن عفان المصاحف بعث مقرئا خاصا لكل بلد من البلدان وأرسل معه مصحفا ليقرأ الناس به . من بينهم عبد الله بن السائب المخزومي إلى مكة، أبو عبد الرحمان السلمي إلى الكوفة علّم فيها إلى غاية عهد الحجاج ، بعدما سبقه إليها ابن مسعود الذي عينه عمرو بن الخطاب فيها وزيرا ومعلما ، عامر بن عبد قيس إلى البصرة ، مغيرة بن أبي شهاب المخزومي إلى الشام ، وزيد بن ثابت في المدينة [1].

ويحدد العسقلاني فترة هذا في الخامس والعشرين من الهجرة أمّا ابن الجزري فيقول أنها كانت في حدود السنة الثلاثين للهجرة .

وقد حرص عثمان بن عفان رضي الله عنه أن يرفق كل موفد بصحف توافق قراءاته أهل البلد المرسل إليها .

وهذا ما يدعمه المهدوي في نصه : "وإنما أقرأ عثمان ومن اجتمع على رأيه من سلف الأمة هذا الاختلاف في النسخ التي اكتسبت وبعثت إلى الأمصار لعلمهم أن ذلك من جهة ما أنزل عليه القرآن . فأقرأ ليقرأه كل قوم على روايتهم ومن هذا كانت قراءة كل قطر تابعة لرسم مصحفهم وقد اختلفت في عدد المصاحف التي كتبها عثمان والمشهور أنها خمسة[2] .

---

[1] ينظر المرجع السابق ، ص 35.

[2] غيث النفع في القراءات السبع . ص 218.

- **المرحلة التاسعة (قراء الأمصار):**

في هذه المرحلة أقبل جماعة من كل قطر على المصحف العثماني وقراءته وفق ما يتلقونه من الصحابة عن النبي صلى الله عليه وسلم وكان في كل بلد قراء كما كان الصحابة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم واختصت كل منطقة بقراءتها كما سبق الذكر .

- **المرحلة العاشرة (التخصص في القراءة) :**

يقول ابن الجزري :"إن في هذه المرحلة تفرغ القراء لقراءة القرآن وأخذه واعتنوا به أشد عناية وواظبوا على ضبطه فصاروا بذلك أئمة يحتذى بهم ويرحل إليهم ويؤخذ عنهم فكان بالمدينة أبو جعفر يزيد بن القعقاع (ت 130 هـ) وبمكة عبد الله بن كثير (ت 120 هـ) وحميد بن قيس الأعرج (130 هـ) ومحمد بن محيصن (ت 123 هـ) .

وبالكوفة : عاصم بن أبي النجود (ت 129 هـ) وسليمان الأعمش (ت 148 هـ) تم حمزة (ت 106 هـ) ثم الكسائي (ت 189 هـ) .

وبالبصرة : عبد الله بن أبي إسحاق (ت 129 هـ) وعيسى بن عمر (ت 149 هـ) أبو عمر بن العلاء (ت 154 هـ) يعقوب الحضرمي (ت 205 هـ)[1].

وفي الشام : عبد الله بن عامر (ت 118 هـ) عطية بن قيس الكلابي (ت 121 هـ) وإسماعيل بن عبد الله بن المهاجر ثم يحي بن الحارث النصاري (ت 145 هـ) شريح بن يزيد الحضرمي (203 هـ).

وقد أفرز تخصص القراء المادة لوضع علم القراءات وتدوينه والتأليف فيه خلال القرن الأول هجري وأوائل القرن الثاني للهجرة .

المرحلة الحادية عشر (التأليف في القراءة):

[1] النشر في القراءات العشر ج 1/ص8-ص9.

خص ميدان القراءات في هذه المرحلة بانتعاش ووفرة التأليف والكتابة وتشير المراجع المتخصصة في التنقيب عن أول الكتاب في علم القراءات هو يحي بن يعمر (ت 90 هـ) ثم تتابع التأليف بعده ، من بينهم على وجه الاختصار أبان بن تغلب الكوفي (ت 141 هـ) مقاتل بن سليمان (ت 150 هـ) أبو عمروا بن العلاء (ت 154 هـ) حمزة بن حبيب الزيات (ت 156 هـ) أبو حاتم سهل السجستاني (ت 253 هـ) والملاحظ في هذه التآليف أنها لم تؤلف في قراءات السبعة فقط إذ أنّها تحتوي على ما هو سابق على بعض القرّاء السبعة .

- **المرحلة الثانية عشر (تسبيع السبعة) :**

جمعت القراءات السبع في مؤلف خاص ولعل الهدف والعلة التي من أجلها اشتهر هؤلاء السبعة بالقراءة يرجع إلى كثرة القراء في العصرين الثاني والثالث ما أدى إلى اختلاف القراءات اختلافا شاسعا في عنصر الناس خلال العصر الرابع على القراءات التي توافق المصحف على ما يسهل حفظه وتصح وتنضبط القراءة آية في ختام ومن كل منطقة إمام مشهور أسند إليه عثمان رضي الله عنه مصحفا فكان أبو عمر من أهل البصرة / حمزة وعاصم من أهل الكوفة وسوادها والكسائي من أهل العراق /ابن كثير من مكة/ ابن عامر من أهل الشام /نافع من أهل المدينة .

وقد اشتهر هؤلاء السبعة نظرا لعنايتهم بالقراءة والقرآن وعلمهم بها .

- **المرحلة الثالثة عشر (الاحتجاج للقراءات) :**

بعد تسبيع ابن مجاهد القراءات السبع وتصنيفه للقراءات الشواذ طفت الى السطح ظاهرة الاحتجاج للقراءات في جوانبها اللغوية صوتيا و صرفيا ونحويا ... إلخ . متخذة من مؤلفات ابن مجاهد مادة ومحورا تدور حوله هذه الدراسات . ومن الأوائل الذين ألفوا في الاحتجاج للقراءات السبع أبو بكر بن السري (ت 316 هـ)[1] محمد بن حسن الأنصاري (ت 351 هـ) أبي بكر

[1] مفتاح السعادة أحمد بن مصطفى طائي كيري زاد (حيدر أبان الدكن ؛ مكتبة دائرة المعارف النظامية) ط1 ، مراجعة وتحقيق كامل كامل بكري وعبد الوهاب أبو النور القاهرة مكتبة الاستقلال الكبرى ج1 ، ص165.

بن الحسن بن مقسم العطار (ت 362 هـ) الحسين بن أحمد بن خالوية (ت 270 هـ) أبي علي الخارمي (ت 388 هـ).

- **المرحلة الرابعة عشر (التأليف في القراءات السبع) :**

بعد ظهور مؤلف ابن مجاهد تسبيع السبعة ، تهاطلت المؤلفات (التآليف) في مجال القراءات السبع ويمكن حصر أهمها فيما يلي :

مؤلفات أبي عمر و عثمان سعيد الداني الذي يشتهر به الزركشي وابن الحزري أن كتاباته أصبح وأوضح ما ألف على وجه الإطلاق . (مؤلف التيسير) منظومة أبي القاسم بن فيرة الأندلسي الشاطبي (الشاطبية) ثم توالت بعد ذلك الشروحات التابعة لهذان المؤلفان وكذا المختصرات والتكملات .

المرحلة الخامسة عشر (تفريد القراءات وتسديسها):

في هذه المرحلة تم تفريد القراءات وتسديسها وتثمينها وتعشيرها وذلك دفعا لما رسخ في العقول من أن الأحرف السبعة التي قال بها النبي صلى الله عليه وسلم :"أنزل القرآن على سبعة أحرف ".

وهي القراءات التي اختارها ابن مجاهد ومال الصحاح إلى تشذيذها قال الإمام شيخ الإسلام أبو الفضل عبد الرحمان بن أحمد الرازي (ت 454 هـ) بعد أن ذكر الشبهة التي وقع العوام الأغبياء في أن أحرف هؤلاء السبعة هي المشار اليها في قول الرسول صلى الله عليه وسلم : أنزل القرآن على سبعة أحرف . أن الناس إنما ثمنوا القراءات وسبعوها وعشروها وزادوا على عدد السبعة الذين اقتصر عليهم ابن مجاهد لأجل هذه السبعة[1] .

[1] النشر : 43/1.

إلا أن هذه المؤلفات لم تؤثر على القراءات السبع وبقيت السبع هي المشهورة والمعروفة محور الدراسات على اختلافها .

- **المرحلة السادسة عشر (تطور المقياس القرائي) :**

تبلورت وتأسست المعايير وأسس القراءات والضوابط الصحيحة ولعل الغاية منها هو الاحتراز من دخول ما ليس من جنس القراءات القرآنية (غير مسند ، ضعيف الرواية ، ليس متواترا ، ليس مستفيض ، أو مما تفرد به راو واحد) فلا نعتبره قرآن لأنه ليس قطعي .

وكان الاعتماد على العناصر التالية : صحة السند ، موافقة العربية ، موافقة اسم المصحف العثماني ، وإلا فإن القراءة تعد شاذة . وعلى هذا الأساس تصنف القراءة إلى صحيحة أو غير صحيحة .

5/1 الاختلاف في القراءات القرآنية :

لقد حظيت مسألة الأحرف السبعة المذكورة في الأحاديث النبوية الشريفة بعناية بالغة من طرف العلماء المسلمين إذ لا تكاد تجد كتابا تناول ظاهرة القراءات إلا وطرق هذا الباب و فصل

و بسط نظرا لتوفر المادة والتأليف هذا ومعلوم أن الاختلاف الحاصل في القراءات ليس مبنيا على التضاد والمعارضة و إنما هو اختلاف قائم على التنوع ومن هذا المنطلق يجدر بنا طرح الاشكالية التالية :

- ما هي الأسباب التي جعلت القراءات تتعدد وتتنوع وتختلف لدرجة أنها تفرعت إلى عشر قراءات ؟؟؟

قبل الخوض في عرض أهم هذه الأسباب يجدر بنا الإشارة إلى أهم أوجه الاختلاف التي يمكن حصرها باختصار فيما يلي :

1)اختلاف في حركات الكلمة بلا تغيير في معنى الكلمة وصورتها نحو : " ويضيق صدري"[1]، قرئت برفع يضيق ونصبها .

2)اختلاف في الحركات مع تغيير المعنى وبقاء الصورة نحو: (وكفلها زكريا)[2] قرأت بتخفيف الفعل و رفع زكريا وقرأت بتشديد الفعل ونصب زكريا .

3)الاختلاف في حروف الكلمة مع تغيير معنى الكلمة وبقاء صورتها نحو: " وانظر إلى العظام كيف ننشزها"[3] حيث قرئ ننشزها بالزاي المعجمة وقرئت ننشرها بالراء المهملة .

4)الاختلاف في الحروف مع تغيير الصورة وبقاء المعنى نحو : " كالعهن المنفوش"[4] حيث قرئت كالصوف المنفوش .

5)الاختلاف في الحروف مع تغيير المعنى وتغيير الصورة نحو قوله تعالى : " وطلح منضود"[5] ، حيث قرئت (وطلح) بالحاء المهملة وقرأت وطلع بالعين المهملة .

6)الاختلاف في التقديم والتأخير ، نحو قوله تعالى : " وجاءت سكرة الموت بالحق " [6]حيث قرئت وجاءت سكرة الحق بالموت .

7)الاختلاف في الزيادة والنقصان لقوله تعالى : " وما عملته أديهم"[7] التي قرأت و ما عملت أيديهم[8] .

---

[1] الشعراء الآية 13.

[2] آل عمران 36.

[3] البقرة الآية 259.

[4] القارعة 5.

[5] الواقعة الآية 29.

[6] ق الآية 19.

[7] يس 35.

[8] ينظرالقراءات القرآنية تاريخ و تعريف عبد الهادي الفضلي ، الغدير للدراسات و النشر مجموعة علوم القرآن و الحديث ط4 2009، ص103.

6/1 أسباب الاختلاف :

وبالعودة إلى الإشكالية المطروحة سابق يمكن أن نرد السبب الرئيس في اختلاف القراءات اللغات التي نزلت عليها وألفاظها المختلفة والمتنوعة . واختلاف النزول وأسباب ثانوية أخرى يمكن حصرها فيما يلي :

1/6/1 **اختلاف إقراء النبي للصحابة** : إن جماعة الأحاديث التي تناولت مسألة الأحرف السبعة خير دليل لترسيخ فكرة اختلاف القراءات نتيجة لعدم التزام النبي صلى الله عليه وسلم عند تعليمه القرآن للمسلمين لفظا واحدا . فيحدث بذلك الاختلاف في القراءات سواء كان اختلاف لهجات كالإمالة والترقيق والتفخيم والمد والقصر ، والإظهار والإدغام وغير ذلك من اختلاف في الأداء وكذلك يدخل فيه ما يتعلق باختلاف اللفظ وتغيير المعنى مما يرجع إلى فرش الحروف .

روى أبو عبيد القاسم بن سلام قال : حدثنا يزيد ويحي بن سعيد كلاهما عن حميد الطويل عن أنس بن مالك عن أبي بن كعب قال : ما حك في صدري شيء منذ أسلمت ؛ إلا أنني قرأت آية وقرأها آخر غير قراءتي فقلت أقرأ فيها الرسول صلى الله عليه وسلم . فقال أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله أقرأتني آية كذا وكذا ؟! قال نعم ، وقال الآخر : أليس تقرئني آية كذا وكذا ؟ قال نعم قال فإن جبريل وميكائيل أتياني فقعد جبريل على يميني وميكائيل على يساري فقال جبريل إقرأ القرآن على حرف فقال ميكائيل استرده حتى بلغ سبعة أحرف وكل حرف كاف شاف[1] .

ومن ذلك أيضا ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قرأ " مالك يوم الدين" و (ملك يوم الدين).[2]

[1] فضائل القرآن لإبن كثير الدمشقي ، بيروت ، دار الأندلس ، ص22.

[2] الفاتحة الآية (4) ، ابراز المعاني ، ص55.

2/6/1 اختلاف تقرير النبي (ص) لقراءة المسلمين :

إنّ من أهم أسباب تيسير القرآن على الناس أن أمر الله سبحانه وتعالى أن يقرئ كل قوم بلغتهم وذلك درء للصعوبات التي سيلقاها المسلمون إذا تلقوه بغير لغلتهم التي اعتادوا عليها وذلك من رحمة الله ولطفه بهم فالهذلي يقرأ : "عنى حين"[1] يريد " حتى حين" لأنه هكذا يلفظ بها ويستعملها .

3/6/1 اختلاف النزول :

يصرح صاحب كتاب الميانى في مقدمته إلى أنّ الوجه الثالث من اختلاف القراءات يعزي إلى اختلاف النزول بما كان يعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن على جبريل في كل رمضان وبعدما هاجر إلى المدينة تلقى منه الصحابة حروف كل عرض حتى اختلفت القراءات اختلافا كبيرا إلى أن لطف الله بهم وجمعهم على آخر العرض حتى أصبح الاختلاف لا يوجد إلا في أحرف قليلة وألفاظ متقاربة أجمع عليها الصحابة وفرقوها على المصاحف حين استنسخوها لئلا تذهب ما جعل بدوره المصاحف تختلف .

4/6/1 اختلاف الرواية عن الصحابة :

بعدما تفرق الصحابة رضوان الله عليهم في البلدان الإسلامية بأمر من النبي صلى الله عليه وسلم ليقرأ والناس القرآن أخذ كل واحد فيهم يعلمهم ما سمعه عن النبي صلى الله عليه وسلم فاختلفت القراءات من بلد لآخر ، قال الإمام مكي : وسبب الخلاف أن عرف الصحابة عدم إنكار كل منهم على الآخر بعد قوله أنزل القرآن على سبعة أحرف وبعث بعضهم إلى الأمصار فأقرأ كل منهم أهل مصره بقراءته التي كان يقرأ بها في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم

[1] يوسف الآية 35.

فاختلف قراء الأمصار لاختلاف من أقرأهم من الصحابة ثم بعث عثمان المصاحف فحفظوا ما وافق رسمه ورفضوا ما خالفه وأخذ بذلك الآخر عن الغابر"[1].

وإلى هذا الاختلاف يشير أيضا ابن مجاهد في كتاب السبعة معللا إياه بقوله : ورويت الآثار بالاختلاف عن الصحابة والتابعين توسعة ورحمة للمسلمين "[2].

5/6/1 عدم نقط وشكل المصاحف الأئمة واجتهاد القراء في قراءتها وانما اعتماد على رواية ونقل عن النبي صلى الله عليه وسلم .

وهذا ما قال به المستشرق جولد تسيهر ، قال : " وترجع نشأة قسم كبير من هذه الاختلافات إلى خصوصية الخط العربي الذي يقدم هيكله المرسوم مقادير صوتية مختلفة تبعا لاختلاف النقاط الموضوعة فوق هذا الهيكل أو تحته وعدد تلك النقاط".

بل كذلك في حالة تساوي المقادير الصوتية يدعو اختلاف الحركات الذي لا يوجد في الكتابة العربية الأصلية ما يحدده إلى اختلاف مواقع الإعراب للكلمة ، وبهذا إلى اختلاف دلالتها .

وإذا فاختلاف تحلية هيكل الرسم بالنقط واختلاف الحركات في الحصول الموحد القالب من الحروف الصامتة ، كانا لهما السبب الأول في نشأة حركة اختلاف القراءات في نص لم يكن منقوطا أصلا ، أو لم تتحر الدقة في نقطه أو تحريكة [3]".

وقد قال بقوله هذا مجموعة من المعاصرين أمثال ابراهيم الأنباري وكذلك الدكتور جواد علي .

---

[1] القواعد والاشارات في أصول القراءات ، أحمد بن عمر بن محمد بن أبي الرضا الحموي أبو العباس ، تحقيق عبد الكريم محمد الحسن بكار ، ط1،1406 دار القام دمشق ، ص02.

[2] السبعة ص45.

[3] مذاهب التفسير الإسلامي ، ايحنتش جولد تسهير ، ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار ، القاهرة ، مكتبة السنة المحمدية 1955 ص 8.

وعارضه وتصدى له كثيرون منهم عبد الوهاب حمودة وعبد الرحمان السيد وسبيب سعيد والشيخ عبد الفتاح القاضي و محمد الطاهر الكردي وآخرون . الذين تلخصت ردودهم في أن انتشار ظاهرة الاختلاف في القراءات القرآنية كان قبل تدوين المصاحف الأئمة وأن القرآن حفظ في القلوب والصدور لا في المصاحف وأن الظاهرة شهدت وشاعت قبل وجود النقط والشكل .

ومما نخلص إليه أن سبب اختلاف القراءات يمكن حصره في سببين رئيسيين هما تعدد النزول وتعدد اللهجات وذلك تيسيرا من الله وتوسعة على الأمة الإسلامية التي خصها الرحمان بعنايته و رحمته ومما نتوصل إليه أيضا أن هذا الاختلاف كان من ورائه عديد الحكم والقواعد نذكر منها على وجه الاختصار ما يلي :

1)اظهار نهاية البلاغة وكمال الإعجاز وغاية الاختصار وجمال الايجاز الذي يحتويه القرآن الكريم .

2)بيان جانب الإعجاز في القرآن الكريم لما في ذلك من عظيم البرهان وأوضح الدلائل[1].

3)تيسير تلقينه و حفظه ونقله على هذه الأمة .

4)إعظام أجر هذه الأمة لما تستبديه من اجتهادات في تتبع معاني القرآن واستنباط الأحكام، وبيان فضلها على سائر الأمم .

5)بيان بعض الألفاظ المبهمة على الغير مثل كالعهن المنفوش قرئت كالصوف .

7/1 التغاير في القراءات وموقف العلماء منه :

إنّ العقبات التي تواجهها خلال دراستنا لموضوع القراءات القرآنية هي علاقتها بالنحو وكيف أن ظواهره كانت أحد الوجوه الخلافية في القراءات . ذلك لأن العرب المسلمين الأوائل كانوا يتعاملون مع القرآن الكريم بالسليقة على اختلاف مشاربهم وبعد الفتوحات الإسلامية وانتشار الإسلام في بقاع الأرض ودخول الأعاجم

[1] ينظر ؛ التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية ، الدكتور أحمد سعد محمد ، ط1 1918 ، ص21.

إليه ظهر اللحن والخطأ فكان لزاما على علماء ذلك العصر أن يجدوا حلولا ووسائل يبسطون بها هذا القرآن على العرب والعجم على حد سواء . فخرجت بذلك اللغة العربية من نفق الضيق إلى فسحة الاتساع التي مكنها لها دين الاسلام الحنيف وسخر لها رجالا سعوا في إعلاء شأنها وإصلاحها مصداقا لقوله تعالى : " إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون "[1].

وفي هذا الشأن يقول الأستاذ سعيد الأفغاني : يعتبر اللحن الباعث الأول على تدوين اللغة وجمعها ، وعلى استنباط قواعد النحو وتصنيفها فقد كانت حوادثه المتتابعة نذير الخطر الذي هب صوته أولو الغيرة على العربية والإسلام [2].

1/7/1 – نظرة مدرسي البصرة والكوفة للقراءة القرآنية وكيفية التعامل بها :

أ/– مدرسة البصرة : لقد تحفظ البصريون كثيرا في نظرتهم إلى القراءة فكانوا لا يقبلون منها إلا ما يوافق القواعد التي أسسوها وفي هذا يقول عبد الحميد السيد طلب : " وإذا كان البصريون قد جعلوا القرآن الكريم و قراءته مصدرا من مصادرهم فإنهم لم يأخذوا القراءات في جملتها كمصدر لهم وإنما أرادوا أن يطبقوا عليها قواعدهم ومقاييسهم فما وافق تلك المقاييس والقواعد دون حاجة إلى تأويل قبلوه في الدرجة الأولى وما طابقها مع التأويل اعتبروه من الدرجة الثانية ، أما ما لم يوافق مقاييسهم وقواعدهم فقد رفضوه واعتبروه ناذرا وشاذا".

وعليه فالبصريون إذن ما أخذوا من القراءات سوى ما يلائم قواعدهم وهم بإيداعهم ورفضهم لبعض القراءات قد حرموا النحو من منهل عظيم كان يمكن من خلاله أن يستنبطوا قواعد و أصولا تضاف إلى رصيدهم. هذا ما جعل العديد من العلماء يهاجمونهم أمثال السيوطي الذي قال في إقراراته : "كان قوم من النحاة المتقدمين يعيبون على عاصم وحمزة وابن عامر قراءات بعيدة

[1] سورة الحجر الآية 09.

[2] في أصول النحو ،سعيد الأفغاني مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية ، سنة 1994 ، ص08.

في العربية وينسبونهم إلى اللحن ، وهم مخطئون في ذلك ، فان قراءتهم ثابتة بالأسانيد المتوافرة الصحيحة التي لا مطعن فيها ، وثبوت ذلك دليل على جوازه في العربية"[1] .

وتبعه في هذا الرأي ثلة من كبار العلماء أمثال الرازي في تفسيره ، وأبو حيان في تفسيره وكثير من المحدثين أمثال عبد الخالق عظيمة الذي عاب عليهم قائلا : إن الشعر قد استبد بجهد النحاة فركنوا إليه وعولوا عليه ، بل جاوز كثير منهم حده فنسب اللحن إلى القراء الأئمة ورماهم بأنهم لا يدرون ما العربية[2] .

وكذلك أحمد مكي الانصاري الذي ألف كتبا وأبحاثا دافع بها عن القراءات الطاعنين فيها ، وقد عمل بمبدأ أن قل قاعدة نحوية مخالفة لقراءة قرآنية واردة أو ثابتة يجب تغييرها حتى تناسب القراءة المتواترة لأن العربية هي التي تتبع القراءة وليس العكس وفي هذا يقول " ما ذا عليهم لو سلموا بالوارد من الشواهد ، وعدلوا القواعد ، بحيث تشمل إلى آخر ما هناك من تقسيمات علمية منهجية تتيح للوارد من الشواهد أن يدخل في القاعدة ويندرج تحتها ... دون أن يجرحوا هذه القراءات السبعية وغيرها من القراءات "[3] .

وقد فسر بعض الأساتذة والمحدثين أن رفض علماء البصرة لكثير من القراءات المتواترة المأخوذ بها راجع إلى أنهم وضعوا أصولهم ومقاييسهم وقواعدهم قبل أن يستكملوا استقراءاتهم وهذا خطأ كبير إذ من المعروف أنه ما لم يكن الاستقراء شاملا فلا يعتد بالنتائج التي توصل إليها ومع أن البصريين يعترفون بالقرآن كمصدر من مصادرهم النحوية وأصل من أصول استشهادهم إلا أننا رأيناهم قد عز عليهم أن يحطموا ما أقاموه من مقاييس قواعد لمذاهبهم ، وأن يهدموا ما شيدوه من أصول ولم يكن في قدراتهم أن يبتعدوا عن القرآن وأن لا يغترفوا من معينه تثبيتا لقواعدهم

[1] الاقتراح في علم أصول النحو ؛ جلال الدين السيوطي ، قراءة وتعليق سليمان ياقوت ، دار المعرفة الجامعية ، قناة السويس 2006 ، ص79-80.

[2] العربية بين أمسها وحاضرها ، ابراهيم السامرائي ، دار الحرية بغداد 1978 ، ص79.

[3] الدفاع عن القرآن ضد النحويين والمستشرقين أحمد مكي الأنصاري دار المعارف مصر 1973/1293 المقدمة .

فلجأوا إلى التأويل والتخريج ولو أن البصريين صبروا إلى أن استكملوا استقراءهم لابتعدوا كثيرا عن ذلك الزلل الذي وقعوا فيه ولما كان هناك من داع إلى التأويل الذي لجأوا إليه فيما يخالف من مقاييسهم ولما خطأوا مشاهير القراء وردوا قراءتهم[1].

هذا ولا يمكن تعميم هذا الحكم على سائر البصريين لأن فيهم من ينتمي إلى فئة القراء المشهورين أمثال أبي عمرو بن العلاء وهو من القراء السبعة ويعقوب بن إسحاق الحضرمي وهو من القراء العشرة هذا إلى جانب أنهم من كبار النحويين الذين يؤخذ باستنباطهم .

ب/– مدرسة الكوفة: أما اذا عرجنا صوب الكوفيين ، وجدنا ما جادت به مؤلفات النحو حق حيث أنهم كانوا أكثر اعتمادا على القراءات والتفافا حولها وأخذا بها فهذه في نظرهم أدمغ في مجال الاستشهاد من بيت شعر لا يعرف قائله أو قول مشكوك في صحته .

وهذا ليس بالأمر الغريب بالنسبة لعلماء الكوفة لأن اعتدادهم بالقراءات واعتمادهم عليها في بناء قواعدهم كان له أسبابه ومسوغاته ، لأنهم يرون أن القراءات من المصادر المهمة للوقوف على معرفة الاختلاف بين اللهجات العربية والقراءات هي المصدر الصحيح لهذا وهي التي تمثلت فيها اللهجات العربية أحسن تمثيل وأتمه وبخاصة أن قراء القرآن كانوا غاية في الدقة وقمة في الضبط والأحكام وصحة الرواية [2].

كما أهم أخذوا عن البدو دون اقصاء العضو وتوسعوا في قبول القراءات مثلما توسعوا في الاستشهاد بما سمعوه عن العرب ، لذا نجدهم توسعوا في دائرة السماع كما توسعوا في دائرة القياس يقول السيوطي " لو سمعوا بيتا واحدا فيه جواز شيء مخالف للأصول جعلوه أصلا وبوبوا عليه"[3].

[1] تاريخ النحو وأصوله ، عبد الحميد السيد طلب ، مكتبة الشباب القاهرة (د/ت)ص85 بتصرف .
[2] المرجع السابق ، ص193.
[3] الاقتراح في علم أصول النحو ، ص428.

وبالتالي : فهم يأخذون بالقراءات السبع وبغيرها من القراءات يحتجون بها فيما له نظير من العربية ، ويجيزون ما ورد فيها مما خالف الوارد عن العرب ويقيسون عليها فيجعلونها أصلا من أصولهم التي يبنون عليها القواعد والأحكام وهم إذا رجحوا القراءات التي يجتمع عليها القراء ولا يرفضون غيرها ولا يغلطونها [1].

وبناء على كل ما سبق فرق العلماء بين موقف المدرستين أمثال مهدي المخزومي الذي يرى أن موقف الكوفيين مغاير تمام لموقف البصريين ذلك أنهم قبلوا كل المفرادات واحتجوا بها وبنوا على كثير مما جاء فيها أصولهم وأحكامهم وإن اعتمدوا على بعض دون بعض فإنهم لا يخطئون المتروك لأنه صواب عنهم أيضا[2] .

لكن الدكتور شوقي ضيف يدحض مقالة الأستاذ عبد الحميد طلب فهو يرى أن علماء الكوفة كانوا سباقين الى تلحين القراء و ذلك على يد الكسائي فالقراء فاتحين أبواب هذه الظاهرة ليلجها علماء الكوفة حيث يقول: " يظهر لي أن الكسائي هو الذي بدأ تخطئه القراء إذ نرى القراء يتوقف في كتابه معاني القرآن مرار ليقول : أن الكسائي لا يجيز القراءة لهذا الحرف أو ذاك"[3].

ثم سعى شوقي ضيف إلى توثيق صحة كلامه بالرجوع إلى نماذج من كتاب معاني القرآن يجد الآيات التي خطأ القراء فيها فهو الذي فتح للبصريين الباب على مصراعيه "[4]. يسوق فيما بعد

[1] الشاهد وأصول النحو في كتاب سيبويه خديجة الحديثي ، مطبعة جامعة الكويت 1974 م ، ص 47.

[2] ينظر مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو مهدي المخزومي ، ط2 ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، مصر 1958 ، ص341.

[3] المدارس النحوية شوقي ضيف ، ط6 دار المعارف القاهرة 1968ص 157.

[4] المرجع نفسه ص219.

ثلث من القراءات التي طعن فيها القراء في معانيه ووصم أصحابها باللحن حين وبالوهم من آخر[1].

وبهذا تسقط كل الأقوال التي تدعي أن البصريين أثروا بعض القراءات دون الكوفيين .

ومما نخلص أليه إذن أن طعن النحاة في القراءات سواء أكانوا بصريين أم كوفيين لم يكن الغرض منه مجردا الطعن ولا لعداء بين النحويين والقراء كما يدعي البعض ، فالنحاة الذين وضعوا قواعد نحوهم في رحاب كتاب الله ، يبعد عليهم أن يعادوا حملة كتاب الله قراء كانوا أو حفاظا الذين بذلوا أعمارهم وأموالهم خدمة لهذا الكتاب العظيم .

وأن ما كان من اختلاف في القراءات القرآنية لم يكن اختلاف بل هو كمال الاعجاز وغاية الانجاز مصداقا لقوله تعالى : " أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا".سورة النساء الآية 82.

[1] ينظر بحث موقف القراء من القراءات القرآنية ، علي ناصر غالب ، مجلة المورد مجلد 17 ع4 ، بغداد 1988 ، ص15-27.

الفصل الأول

الاتساع بين القدامـــــــى و المحدثين

- الاتساع لغة و اصطلاحا .
- الاتساع عند القدامى .
- الاتساع عند المحدثين .

توطئة:

" إن كلام العرب لا يحيط به إلا نبي هذه العبارة خير شاهد على أن اللغة العربية واسعة رحبة المذاهب فسيحة السبل فالعربية لغة عريقة ، ضارب في القدم سايرت تاريخ أهلها الطويل، و شهدت نهضتهم وازدهار حضارتهم واختلافهم بأمم الأرض ، فقد ظلت هذه اللغة وفية لأصحابها فلم تضق يوما على استيعاب مراميهم ، والاستناد في اللغة العربية إنما يأتي لها من خصائص وسمات كامنة فيها جعلتها حية مطواعة قابلة للتجدد بعيدة عن الجمود .

ولما كانت اللغة العربية كذلك و حظيت بشرف حمل الرسالة السماوية فإن الدراسات قد تهاطلت عليها من كل حدب وصوب وذلك لتبين خصائصها وسير أغوارها وكشف أسرارها وإظهار مزاياها وفضائلها .

ولقد تناول القدامى والمحدثون بالدراسة والتمحيص كثيرا من أسرار اللغة العربية ومختلف ظواهرها إلا ظاهرة الاتساع فقد حجب هذا الأخير وانزوى في نفق مظلم رغم أنهم كانوا يشيرون إليها في الكثير من ثنايا بحوثهم ويحتكمون إليها في دراستهم ويصدرون عنها شتى تحليلاتهم .

والبحث في أحكم النقاط الشيء أشار إليها الدارسون موضوع الدراسة والتنقيب في هذا الفصل الذي سنجيب فيه عن إشكالية مفادها ما مفهوم الاتساع لغة واصطلاحا وكيف تناوله القدامى والمحدثون وما هي أهم النقاط التي أثروها في ضبط القواعد النحوية ؟

1/– ماهية الاتساع :

1/أ– الاتساع لغة :

تتفق جل المعاجم على أن الاتساع ينتمي إلى الأصل اللغوي (وسع) والواو والسين والعين كلمة تدل على خلاف الضيق كما يقول ابن فارس[1] ؛ والتوسيع والسعة والواسع وساعة فهو

[1] ينظر معجم مقاييس اللغة أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكرياء (ت395 هـ) تحقيق عبد السلام محمد هاروون ، دار الفكر .د.م ط 1979 مجلد 6 ص 109.

وسيع وشيء وسيع وأسيج : واسع[1] ، ومادامت المعطيات المعجمية تشير إلى أن مادة الاتساع ضد التضييق والعسر ويقال وسع الشيء والوسع الغني والله الواسع أي الغني[2] ، إن إمعان النظر واستقراء المعطيات الواردة في المعاجم وعلى وجه الخصوص ما جاء به ابن فارس الأصل يقوم أو بالأحرى ينطوي تحت بندين أساسيين أولهما معنوي وذلك باعتبار أنه خلاف العسر أما الثاني فحسي باعتبار أنه خلاف الضيق ومنها :

1/أ/أ- المعاني المجردة :

- **الغنى والرزق وقدرة ذات اليد** : قال تعالى : " وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ" الذاريات 48 ، أي أغنياء قادرون ويقال : أوسع الرجل أي كثر ماله .

وجاء في العين : الوسع جدة الرجل ، قدرة ذات يده[3] .

وجاء في أساس البلاغة أوسع الرجل واستوسع أي اتسعت حالة وهو في عيش واسع يعني في غير ضيف ولا ضنك [4].

- **الإحاطة** : يصبح الأمر أكثر وضوحا وجلاء إذا أشرنا إلى ما جاء في القرآن الكريم في قوله تعالى في آية الكرسي : " وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ" البقرة 255.

فالواسع من أسماء الله الحسنى ، ويقال الواسع المحيط بعلم كل شيء في قوله وسع كل شيء علما بمعنى أحاط .

---

[1] ينظر جمهرة اللغة أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد (ت 321 هـ) مجلس دائرة المعارف العثمانية حيدر ، أباد ، ط1 ، 1345 هـ ، ج35/3.

[2] ينظر مقاييس اللغة ،ص 109.

[3] العين لأبي عبد الرحمن الفراهيدي (ت 175)تحقيق مهدي المخزومي إبراهيم السمرائي ط1 بيروت لبنان مؤسسة الأعلى 1408هـ/1988م ج 2/ص203.

[4] ينظر أساس البلاغة 2 للزمخشري تحقيق محمد باسل عيون السود دار الكتب العلمية 1419/ 1998 ط1 ج/ص333 مادة وسع.

هذا وإذا كانت تفاسير العلماء بمعنى اسم الله تعالى (الواسع) تختلف لكنها تصب في غالب واحد مفاده أن سعيه عز وجل وغناه أبعد مما يتصوره العقل وتردكه النهى فالواسع : ليس كمثله شيء وهو السميع البصير . الشورى 11.

- **الجدة والطاقة** : قال تعالى : لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ ..." البقرة 286 الوسع : الطاقة والجدة والطاقة هني هنا القدرة والتمكين لا الغنى وقدرة ذات اليد وقال تعالى : " لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ..." الطلاق 7. أي على قدر طاقته وجاء في تهذيب اللغة هل تسع هذا ؟ أي هل تطيقه ، وما أسع ذاك أي ما أطيقه[1] .
- **الاحتواء** : جاء في الصحاح لا يسعني شيء ويضيق عنك ، أي وأن يضيق عنك أي بل منى وسعني شيء وسعك[2] .

ويقال ليسعك بيتك معناه القرار فيه[3] .

- **الجواز** : ذلك لأن التضييق فيه شدة أما الجائز فموسع / وجاء في المعجم الوسيط لأن الجائز موسع غير مضيق[4] .

مثل لا يسع امرأتيه الإقامة معه ، أي لا تجوز لهما الإقامة .

- **الخفة في أداء الحاجة** : نجد في المعجم الوسيط أن الوساع هو الخفيف في الحاجة ، السريع من الإنسان والحيوان[5] .

وقال الليث الوساع كسحاب : الندب لسعة خانقة وقد مر له أن الندب يطلق على الخفيف في الحاجة والسريع الظريف النجيب ومنه قولهم : أراك ندبا في الحوائج[1] .

---

[1] تهذيب اللغة ؛ أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري ت370 ، تحقيق عبد الحليم النجار الدار المصرية دون طبعة ج3 ، ص95.

[2] تهذيب اللغة ؛ 1298/3 (وسع).

[3] القاموس المحيط 1vv مادة وسع .

[4] المعجم الوسيط 1031 (وسع).

[5] ينظم المعجم الوسيط (نفسه).

- **الامتداد** : اتسع النهار وغيره أي امتد وطال .
- **الكثرة** : ورد فيها سبق أن الاتساع بمعنى الغنى ولكن هذا الغنى كان نتيجة المال فنقول أوسع الرجل إذا كثر ماله وقد يكون الاتساع في المال أو الدين وعليه فإن ما يوحي إليه مصطلح الاتساع بالدرجة الأولى هو الكثرة [2].

1/أ/ب – المعاني الحسية :

- **الامتداد والسرعة** : الوساع من الخيل الجواد أو الواسع الخطو والذرع يقال فرس وساع بمعنى سريع الخطوات .

" ووسع الفرس سعة ووساعة فهو وساع ... وسير وسع ووساع[3]".

وجاء في تاج العروس " جمل وساع أي واسع الخطو سريع السير وناقة ميساع واسعة الخطو"[4].

- **الضخامة والامتلاء** : يقول نافة وساع واسعة الخلق ، أنشد ابن الأعرابي:

عيشها العلهر المطحن بالق *** ت وإيضاعها القعود الوساعا[5]

ونطلق كلمة موسع على الرجل الضخم الممتلئ .

- **الاحتواء** : الأصل في وسع أن تدخل فيه (في وعلى اللام) لأنه في قولنا هذا الخف يسع، رجلي أي يسع رجلي وبرجلي أي يتمتع لها وعليها وكذلك هذا وعاء يسع عشرين كيلا معناه يسع فيه عشرون كيلا . والأصل هنا أن يكون بصفة غير أنهم ينزعون الصفات من أشياء كثيرة

---

[1] تاج العروس من جواهر القاموس(مادة وسع) .
[2] ينظر المعجم الوسيط 1032 (وسع).
[3] ينظر ؛ العين ج2/ ص 203 وسع.
[4] تاج العروس من جواهر القاموس ج22 ص 328 وسع .
[5] تهذيب اللغة المرجع السابق ج3 ، ص 61 وسع.

حق يصل الفعل إلى ما يليه ويفضي إليه كأنه مفعول به كقولك : كلتك واستحببتك ومكنتك أي كلت لك و استجيب لك ومكنت لك"[1].

- **التفسح** : يقال توسعوا في المجالس بمعنى تفسحوا[2] . وهو نفس ما قال به أحمد عابد : توسع القوم في المجلس تفسحوا فيه " .

ومما نخلص إليه بعد عرضنا لمختلف النقاط المتعلقة بالمعنى اللغوي بالاتساع سواء أكانت محسوسة أم مجردة فإننا نجدها في مجملها تقع في ضد الضيق والعسر فكل من الإحاطة والطاقة والامتداد والاحتواء و التفسح والضخامة والكثرة يصب في إناء يدل على الانتشار والسعة وهو بالمقابل نقيض العسر والضيق [3].

هذا وتشير الدراسات أن الاتساع من الألفاظ التي أصابها نوع من التطور خرج بها من حيز المحسوسات إلى حيز المجردات باعتبار أن الألفاظ تطلق في بدايتها على الأشياء المحسوسة ثم ترتقي وتتطور مع مرور الزمن لتصبح ذات دلالة موحية إلى مجموعة من الأفكار أو الصفات .

وهذا ما تنبه له الزجاج (ت 311 هـ) ووافقه الرأي الباحث حسن سليمان حسين بقوله : " الدلالة الأصلية هي سعة المكان وهي دلالة حسية ثم انتقلت إلى الاتساع المعنوي من قبيل اتساع اليد والقدرة على العطاء واتساع الأخلاق والدلالة على الزيادة والنماء عامة "[4].

والاتساع على صيغة افتعال والافتعال هنا للمطاوعة يقال وسعته فاتسع والأصل أوتسع وقعت الواو بعد كسر فأبدلوا منها لضعفها حرفا أجلد منها لا يزول وكان هذا أخف عليهم[5] .

---

[1] ينظر؛ تهذيب اللغة ج3 ، ص 95 [الصفة مصطلح كوفي يقصد به حرف الجر].

[2] ينظر الصحاح لإسماعيل بن حماد الجوهري تحقيق أحمد عبد الغفور عطار دار العلم للملايين 1990 ط4؛ ج3 ، 1298 وسع .

[3] المعجم العربي الأساسي للناطقين بالعربية ومتعلميها ، محمد عابد وآخرون لاروس 138.

[4] الاتساع في اللغة عند ابن جني ص5.

[5] ينظر الكتاب أبو بشير عمرو بن عثمان قنبر سيبويه (ت 180 هـ) تحقيق عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي القاهرة ، ط3 1988 ، ج4 ، ص334.

وقد وردت مادة (وسع) في القرآن الكريم في اثنين وثلاثين موضعا بالمفردات (وسعها – الموسع – وسع – سعة – وسعت – وسعت – موسعون – واسع – واسعة – السعة – سعته) واستعمال هذه المفردات وإن اختلفت السياقات التي وظفت فيها إلا أنها كلها تصب في باب ما ورد في التعريف المعجمي من حيث أن الاتساع ضد التضييق والحسر والعسر .

فقد جاء الموسع ضد المقتر وهو الضيف الرزق في قوله تعالى : "لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ وعلى المقتدر قدره ..." 236 البقرة.

وجاء ذو وسعة ضد (من قدر عليه) في قوله : "لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ ۖ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا ۚ سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا."(سورة الطلاق 7).

1/ب– الاتساع اصطلاحا :

إن من أبرز ما يثير الانتباه في المؤلفات التي حوت في طياتها مصطلح الاتساع اكتمال معالم هذا المصطلح في استعمالاتهم اللغوية من دون الإشارة إلى إرهاصاته أو تتبع مراحل نشأته . هذا ما يجعلهم يستعملونه بوصفه مصطلحا ثابتا لا يحتاج إلى إيضاح حيث تم الإجماع والاتفاق عليه بين كافة اللغويين حيث سجل حضورا لا مثيل له في كتاباتهم ومر بالعديد من المحطات تتمثل أولها في (الكتاب) لسيبويه الذي دق جرس التأليف النحوي حيث نجده يعالج عددا من القضايا والمسائل النحوية من خلال مفهومه عن الاتساع . أما الأمر الثاني الذي يشد أنظار الباحث في الكتب العربية هو اختلاف التعاريف التي وضعها العلماء بخصوص الاتساع وذلك نظرا لاختلاف الانتماءات العلمية التي ينتسبون إليها وربما عاد هذا الأمر إلى المكانة المرموقة التي يحتلها الاتساع في الدرس اللغوي أو أنّه نظام مواز لنظام اللغة مهمته أن يهب اللغة تطورها وحياتها . " إذ أنّ النظام يكبل الاتساع ويمنع اللغة من أن تتحول إلى فوضى ، والاتساع يفتح باب التجوز في النظام

اللغوي ويمنع ذلك النظام من أن يتحجر بالشكل الذي يقف عائقا أمام تطور اللغة بما يواكب مسيرة المجتمع"[1].

وعليه فان الاتساع إذن لا يمكن وضعه في حيز نظام واحد من أنظمة اللغة وإذا ما نقبنا عن ظاهرة الاتساع في كتب اللغة فإننا نجدها في باب الحذف والزيادة والتقديم والتأخير . والحمل على المعنى والتشبيه والتوكيد وفي باب المجاز إذا ألحق بالحقيقة وفي كتب البلاغة نجدها في المجاز في باب الحذف والتضمين . والمجاورة وفي الظرف والجار والمجرور ، وفي أمور كلية ذكرها ابن هشام وغيره وكذا نطالعها في كتب فقه اللغة في أبواب الاشتقاق والنحت والتعريب[2] .

وهذا ما يجعلنا نلم بمصطلح الاتساع في ثلثه من أبواب هي :

1)الاتساع عند اللغويين .

2)الاتساع عند البلاغيين .

3)الاتساع في كتب فقه اللغة وعلم الدلالة .

4)الاتساع في علم القراءات

1/ب/1الاتساع عند اللغويين : على الرغم من أن ظاهرة الاتساع لفتت الانتباه في وقت مبكر حيث نشأت في دائرة الدراسات اللغوية حتى اكتملت معالمها لتستقر كمصطلح فني ثابت إلا أننا نجد الجهود النحوية القديمة لم تتناولها بالبحث والتنقيب والتعريف والتنظير كما أنها لم تخصص لها كتبا مستقلة سوى ثلاثة منها :

أ- كتاب التوسعة ليعقوب بن اسحاق السكيت (244 هـ) ذكره ابن هشام ونقل منه مسألة في القلب . وذكره حاجي خليفة (ت 1067 هـ).

[1] المصطلح في اللسان العربي من آلية الظهر الى أداة الصناعة عمار الساسي ، الطبعة 1 ، عمان ، الأردن جدار الكتاب العالمي أربدا الأردن عالم الكتب الحديث ة1429هـ -2009 ص 5.

[2] ينظر ؛ الاتساع اللغوي بين القديم والحديث عطية نايف الغول، بدون طبعة ، عمان الأردن ، دار البيروني 2008 ، ص7.

ب- كتاب التفسخ في اللغة لأبي الحسن اللغوي ، وهو من مصادر عبد اللطيف البغدادي ذكره غير مرة وتدل النصوص المنقولة منه أنه من كتب المجاز اللغوي .

ج- رسالة أن التوسع شائع لابن كمال باشا ، من رسائل ابن كمال باشا اللغوية . أما البقية فقد كانت تشير إليه من زاوية خفية كأن يذكر العنوان دون أن يشرح ويفصل من لدن المؤلف وكذلك هو الحال في الكثير من المؤلفات العربية وعلى رأسها كتاب " سيبويه".

ويشير مصطلح الاتساع عند اللغويين الى التساهل في دقة العبارة عن المعنى المراد وقد قسموا الاتساع إلى صنفين هما :

1/ب/1/1- الاتساع في المفردات : تجمع المصادر اللغوية على أن كلمة (الاتساع) تدل على التخلص من قيود الدقة اللغوية في كثير من الألفاظ ، إذ أننا نجد ذلك ظاهرا وصريحا حينا ونجده ضمنيا وملمحا إليه تارة أو حينا آخر . فمن بين الذين فسروا الاتساع على أنّه تساهل ابن جني الذي أفرد لهذا الموضوع باب أسماه (باب في إيراد المعنى المراد بتعبير اللفظ المعتاد) يقول فيه: " اعلم أن هذا موضع قد استعملته العرب واتبعها فيه العلماء" والسبب في هذا الاتساع أن المعنى المراد مفاد من الموضعين جميعا ، فلما آذنّا به وأدّيا إليه سامحوا أنفسهم في العبارة عنه ، إذ المعاني عندهم أشرف من الألفاظ[1] .

فابن جني يرى أن الاتيان بالمعنى بغير لفظه المعتاد هو الاتساع عينه وكذلك نجد التوحيدي يعتبر الدقة التعبيرية تكلفا والاتساع في نظره تركا وتخليا عن هذا التكلف حيث يرى أننا قد نجد العديد من الألفاظ المختلفة دالة على معان متقاربة ، وإن كانت أشخاص تلك المعاني مختلفة وربما ولت على أحوال مختلفة ، ولكنها مع اختلافها فهي لشخص واحد ... ومثال ذلك ما يوجد من أسماء الداهية . فإنها على كثرتها تكون مختلفة ولكنها لما كانت لشيء واحد استعملت كأنها معنى واحد ... ، وأنت إذا أمنعت النظر واستقصيت الرؤية وجدت هذه الأشياء مختلفة المعاني ولكنها

[1] الخصائص ابن جني أبو الفتح عثمان (392) تحقيق محمد علي النجار عالم الكتب بيروت ، ج2، ص466.

لما كانت أوصافا لموصوف واحد أجريت مجرى الأسماء الدالة على معنى واحد. وذلك عند اتساع الناس في الكلام وعند حاجتهم الى التسمع وترك التكلف والتجوز في كثير من الحقائق[1] .

أما ما ذكر من تلميحات يذكر فيها عبارة تدل على جزء من مفهوم الاتساع دون بيان عنوان ذلك التلميح مثلما أورده الفراء (ت 207 هـ) : وقد تضع العرب الحرف في غير موضعه إذا كان المعنى معروفا[2] . وهذه إشارة صريحة إلى الاتساع في حروف الجر .

والأمثلة في هذا السياق كثيرة نذكر منها على سبيل الاختصار ما يلي :

منها ذكره ابن منظور في دلالة (الثيب) حيث يفيد معنى هذه كلمة (ثيب) من ليست بكر، إلا أن هذا المعنى قد يعدل عنه ويفرج إلى معنى آخر حيث يطلق على المرأة البالغة وإن كانت بكرا وذلك من باب المجاز والاتساع .

ومنها ما جاء به السيوطي في استكمال اسم الإشارة (هنا) حيث يشار به[3] للزمان والمكان ويشار به للمكان القريب كقوله تعالى " إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ" المائدة 24 . وإذا أضفنا له اللام والكاف فيكون للبعيد كقوله تعالى : هناك " ابتلي المؤمنون" الأحزاب 11 وقد يأخذ معنى آخر من باب الاتساع والتجوز ومن أمثلة ذلك ما جاء في قوله تعالى : " هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ" يونس 30 ومنها ما ذكره ابن الجوزي في تفسير قوله تعالى : " أَفْتُونِي فِي أَمْرِي" النمل 32 أي أشيروا علي و بيّنوا لي ما أفعل وفي هذا يقول الفراء جعلت المشورة فتيا وذلك جائز لسعة اللغة [4].

---

[1] الهوامل والشوامل التوحيدي ومسكوبة أبو حيان ، تحقيق أحمد أمين والسيد أحمد صقر مكتبة الثقافة الدينية مصر 1951 ص 9-10.

[2] معاني القرآن لأبي زكريا يحي بن زياد القراء (207 هـ) ط3 ، بيروت ، عالم الكتاب ، ج2-ص 272.

[3] ينظر ؛ لسان العرب (ثيب).

[4] زاد الميسر ؛ علم التفسير 169/6 ابن الجوزي عبد الرحمان بن علي بن محمد المكتب الإسلامي بيروت ط1404/3 هـ .

كما تستعمل الكلمة في ضد معناها الأصلي وذلك لغرض التوسع حيث يقول أبو علي أنه يجوز استعمال لفظة وراء بمعنى أمام على الاتساع . وحجته في ذلك أنها جهة مقابلة لجهة فكانت كل واحدة وراء الأخرى إذ لم يرد معنى المواجهة ويجوز ذلك في الأجرام التي لا وجه لها مثل حجرين متقابلين كل واحد منهما وراء الآخر[1] .

كما يعد تعميم اللفظ مسلكا من مسالك الاتساع ومثال ذلك ما جاء به القرطبي في قوله : و (نكح) أصله الجماع ويستعمل في التزويج تجوزا واتساعا[2] حيث خرجت اللفظة من إطارها الخاص إلى شمولية مفادها الزواج وهذا باب من أبواب الاتساع .

1/ب/2/1- الاتساع في الأساليب : ويقصد به التساهل في بناء الجماعة وفق الضوابط اللغوية المعروفة ، والخروج عن المألوف وعن الأصل عند اللغويين هو لب الفصاحة . بما فيه من شبه عظيم بأسلوب القرآن الكريم وفي هذا السياق يقول الإمام الشافعي : فإنما خاطب الله العرب بلسانها على ما تعرف من معانيها ، وكان مما تعرف من معانيها اتساع لسانها .... وبلسانها نزل الكتاب وجاءت السنة[3] .

ومن بين الأمثلة التي تصب في هذا المجال النهي عما لا يصح النهي عنه وحمل العبارة لمعنى غير المعنى الظاهر كمثل قوله تعالى : " وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ" البقرة 132 .

فإذا اسأل سائل عن النهي عن الموت وهو خارج عن أمرهم فسيكون الرد بأن هذا من سعة الكلام . ومنها ما سماه الثعالبي (الكناية عما لم يجر ذكره من قبل) ومفاد ذلك أن لا يذكر كلمة

---

[1] ينظر ؛ البحر المحيط أيومان الأندلسي محمد بن يوسف ، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود ، والشيخ علي محمد معوض وآخرون .

[2] الجامع لأحكام القرآن القرطبي ، أبو عبد الله محمد بن أحمد الصادي (671) تحقيق الحليم البردوني دار الشعب القاهرة 2، 1372 هـ ج 13 ص 67.

[3] الرسالة : الشافعي أبو عبد الله بن إدريس ، دار المعرفة بيروت ، ط2 ، 1393هـ ، ج5 ص141.

معينة من باب الاختصار والاقتدار والاتساع وذلك لوثوقهم بمعرفة المخاطب للشيء المكنى عنه ومن أمثلة ذلك ما ورد في سورة الرحمن الآية 26 في قوله تعالى : "كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ"يقصد من على الأرض وإنما حذفت الأرض هنا لمعرفة المخاطب بها .

ومنها صنف آخر كالتكرار الذي يؤتى به التقرير والتذكير والتوكيد تكرار قوله تعالى في سورة الرحمن " بِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ" الرحمن 13.

حيث تكررت الآية الكريمة تقريرا لنعم الله التي لا تعد ولا تحصى وتذكيرا لهم وهذا ما يسمى هذا العرب اتساعا . ومما إعتاد عليه العرب الخروج عن الأصل في الأسلوب والتركيب من باب التوسع ويتحقق ذلك بالقلب في كلامهم .

هذا ويعد الكاتب اللغوي نوعا من أنواع الاتساع على حد قول ابن مسكين وابن هشام و السكاكي والزمخشري .

ومما يمكن الخلاص إليه هو بالدرجة الأولى تساهم في دقة العبارة عن المعنى المقصود سواء أكان في الأساليب أم في المفردات وهو بذلك خروج عن الأصل والمعروف .

1/ب/2- الاتساع عند البلاغيين:

إنّ المتصفح لكتب البلاغة يجد أن مفهوم الاتساع يدور حول ثلاثة متكررات أساسية لم ترد بمصطلح موحد لما عرف من اختلاف بين الدارسين من حيث الدال الذي عرف عندهم بالاتساع التوسعة / السعة والمدلول الذي تداولوه هو الآخر من خلال معالجتهم لمجموعة من القضايا تتمثل في علم المعاني والبيان والبديع وهذا ما يصادق عليه الدكتور عطية الغول بعد أن أطال البحث

وأمعن النظر في كتب تناولت هذه القضية وخرج بخلاصة مفادها : "أن البلاغيين توزعت أنظارهم ما بين النظر إلى هذه الظاهرة من زاوية علم البيان أو من زاوية عليم المعاني أو علم البديع"[1].

وعليه فإنه لا يسعنا إلا أن نقسم تعاريف الاتساع عند البلاغيين إلى ثلاثة أقسام هي :

1/ب/1/2- **علم البيان** :

يذكر الاتساع في علم البيان كمرادف للتشبيه في بعض المواضع وغالبا ما يرد مع المجاز بنوعيه اللغوي والعقلي ، ومع المجاز اللغوي بشطريه الاستعارة والمجاز المرسل . ومن جملة التعاريف التي تؤيد ما سبق ذكره ما جاء به عبد القاهر الجرجاني (ت471 هـ). في قوله : " اعلم أن طريق المجاز والاتساع في الذي ذكرناه قبل أنك ذكرت الكلمة وأنت لا تريد معناها ولكن تريد معنى ما هو ردف أو شبيه ، فتجوزت بذلك في ذلك في ذات الكلمة وفي اللفظ نفسه ، وإذا عرفت ذلك فاعلم أن في الكلام مجازا على غير هذا السبيل . وهو أن يكون التجوز في حكم يجري على الكلمة فقط ، وتكون الكلمة متروكة على ظاهرها ، ويكون معناها ، مقصودا من نفسه مرادا من غير تورية ولا تعويض "[2].

وفيما يلي نورد بعض الأمثلة والنماذج حول أهم النقاط التي سبق ذكرها .

- **الترادف بين الاتساع والتشبيه** :

إن دلالة الاتساع عند ابن جني تبنى في إطارها العام على أساس أنها مجاز وإذا ما تدرجنا نحو الفروع نجد أن التشبيه هو فرع من فروعه الخاصة . ونجد هذا جليا وظاهرا في قوله : " وسبب تمكن هذه الفروع عندي أنها في حال استعمالها على فرعيتها تأتي مأتى الأصل الحقيقي لا الفرع

[1] البيان والتبيين لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت 255 هـ) تحقيق عبد السلام محمد هارون ط7 ، القاهرة ، مكتبة الخانجي 1998 ، ج 1 ، ص23.

[2] دلائل الإعجاز لأبي بكر عبد القاهر بن عبدالرحمان بن محمد الجرجاني (النحوي (ت 471 هـ)) ، تحقيق أبو فهد محمود محمد شاكر ، ط5 ، القاهرة ، مكتبة الخانجي 2004 م،ص 293.

التشبيهي وذلك قولهم : أنت الأسد ، وكفك البحر ، فهذا لفظه لفظ الحقيقة ومنه المجاز والاتساع وألا ترى أنه إنما يريد : أنت كالأسد ، وكفك مثل البحر "[1].

فالتشبيه هنا هو فرع كل فروع المجاز وهذا الأخير رديف الاتساع ونفس الفكرة نجدها عند عبد القاهر الجرجاني الذي يرى أن المعاني لا تخرج من معنى إلى آخر إذا دخلت دائرة المجاز الذي يعتبر صنو الاتساع هو الآخر .

- **العلاقة بين الاتساع والمجاز:**

يصبح الأمر أكثر وضوحا عند ابن أثير المتوفى (637 هـ) الذي صنف الاتساع في باب فروع المجاز حيث ميز بينهما واعتبر الاتساع والتشبيه ركنان أساسيان يقوم عليهما المجاز وذلك في قوله : " والذي انكشف لي بالنظر الصحيح أن المجاز ينقسم قسمين : توسع في الكلام وتشبيه وإن شئت قلت إن المجاز ينقسم الى : توسع في الكلام وتشبيه و استعارة ولا يخرج عند أحد هذه الأقسام الثلاثة ، فأمها وجد كان مجازا[2] هذا ويطين مردفا أن الخروج من الحقيقة الى المجاز اتساع في الاستعمال وأن التوسع يؤتى به للتصرف في اللغة "

1/ب/2/2- في علم المعاني :

يرد الاتساع في علم المعاني رديف للتفنن في الفصاحة وغاية في التقديم والتأخير وأحيانا أخرى يرد بمعنى الإيجاز بالحذف .

[1] الخصائص ابن جني أبو الفتح عثمان (392) تحقيق محمد علي النجار ، عالم الكتب بيروت ، ج2 ، ص177.

[2] المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ابن الأثير أبو الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد بن عبد الكريم ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية بيروت 1995 م ، ج1 ، ص343.

- **التقديم والتأخير من الاتساع والتفنن** [1]:

لاشك أن التقديم والتأخير مبحثان من مبحث عام المعاني وعليه فإن ابن عبان يرى أفهم يندرجان تحت باب التوسع في الكلام والتفنن في الفصاحة . وهذا ما أكده حينما وازن بين قوله تعالى: " وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ" آل عمران الآية 126.

وقوله تعالى : " وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم" الأنفال الآية 10.

فتقديم الجار والمجرور في الآية الثانية وتأخيرا في الآية الأولى وجه من أوجه الاتساع والتفنن والفصاحة على حد قول أبي حيان.

- **الترادف بين الاتساع والإيجاز بالحذف** .

إن المتفحص لمختلف المؤلفات التي تناولت الحذف يجد أن الاتساع يذكر فيها رديفا للإيجاز والاختصار ومن بين تلك النصوص باب سماه سيبويه باب استعمال الفعل في اللفظ لا في المعنى لاتساعهم في الكلام والإيجاز والاختصار حيث جاء فيه على ذكر مجموعة من الأمثلة تحتوي على الاتساع وتدعم فكرة المواءمة بين الاتساع والإيجاز من بينها قوله تعالى : " وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا " يوسف الآية 82.[2]

والأصل اسأل أهل القرية وحصل الحذف هنا بغية الاختصار والإيجاز وهذا ما يؤكد أن من دلالة الاتساع في علم المعاني الحذف والإيجاز . هذا ولعل من أهم ما نخلص إليه أن جهود البلاغيين وإن اختلفت في وضع تعريف للاتساع إلا أننا نجدها تتحد وتتكامل في الإلمام بالمصطلح من جميع المناحي ففي علم البيان تحده بنظر إلى المصطلح من باب وجود علاقة بين الباث

[1] ينظر اتساع الدلالة في الخطاب القرآني ، د/محمد نور الدين المنجد ، تقديم الدكتور سعيد الأيوبي دمشق ، دار الفكرة 2010 ، ط1، 2010 ، ص62.

[2] ينظر؛ المرجع السابق نفسه .

والمتلقي أما في علم البديع فينظر الى المصطلح من زاوية اختلاف تباين المعاني بالقول ، الواحد أما في علم المعاني فقد تم الإلمام بالمصطلح من حيث الإيجاز والإطالة في الكلام .

1/ب/3/2 في علم البديع :

أما إذا ولينا الوجهة شطر علم البديع فإننا نجد الاتساع يحجز لنفسه تعريف متباين : الأول مفاده أن التوسع " هو الإتيان في عجز الكلام بمثنى مفسر باسمين ثانيهما معطوف على الأول نحو خبر : يشيب ابن آدام ويشب معه خصلتان : الحرص وطول الأمل[1] . والثاني ما جاء في قول ابن رشيق (ت 456 هـ) : باب الاتساع : وذلك أن يقول الشاعر بينا يتسع فيه التأويل . فيأتي كل واحد بمعنى وإنما يقع ذلك لاحتمال اللفظ وقوته واتساع المعنى [2]".

" باب الاتساع هو أن يأتي الشاعر بيت يتسع فيه التأويل على قدر قوى الناظر فيه ويحسب ما تحتمل ألفاظه كقول امرئ القيس[3].

إذا قامت تضوع المسك منهما *** نسيم الصبا جاءت بريّا القرنفل "

حيث اختلف النقاد في تأويل هذا البيت وأدلى كل منهم يدلوه وخرج بتفسير يخصه ويعزى ذلك لقوة الكلام التي جعلته يحتمل وجوها وتأويلات مختلفة سواء من حيث ما تحمله ألفاظه أو من حيث ندرة المتلقي على سبر أغوار النص وتحليل معانيه .

---

[1] التوقيف على مهمات التعاريف المناوى محمد عبد الرؤوف ، تحقيق الدكتور محمد رضوان الداية ، دار الفكر دمشق ، ط1، 1410 هـ ، ص215.

[2] العمدة في صناعة الشعر ونقده ابن رشيق القيرواني ؛ أبو علي الحسن (456 هـ) تحقيق دار نبوي عبد الواحد شعلان ، القاهرة مكتبة الخانجي ، ط1 ، 2000 ، ج2 ، ص 734.

[3] ينظر؛ شرح ديوان امرئ القيس ، تحقيق السندوبي ، شرح أسامة صلاح الدين منيمة ، دار إحياء العلوم بيروت ، ط2، 1996 ، ص66.

1/ب/4/2- الاتساع في كتب الفقه وعلم الدلالة :

إن المتصفح لكتب الدلالة يجد أن العلماء قد تداولوا الاتساع في مباحث تعنى بالتطور الدلالي للكلمة تحت بنود مختلفة ولكنها تلتقي كلها في حوض الحديث عن تطور و اتساع دائرة دلالة الكلمة واشتمالها على دلالات مختلفة ما يجعلها تخرج من إطار الخصوصية لتدخل تحت مسمى " تعميم الدلالة" الذي تناوله الدكتور ابراهيم أنيس وقال عنه بأن الناس " قد ينتقلون بالدلالة الخاصة إلى الدلالة العامة اختيارا للتسيير على أنفسهم والتماسا لأيسر السبل في خطابهم"[1].

ومثال على ذلك كلمة البأس التي توحي في معناها الخاص إلى الحرب إلا أنها أصبحت تطلق على كل شدة ما جعلها تتخلص من قيود الخصوصية وتدخل مجال تعميم الدلالة .

كما صادف الدكتور محمد مبارك على هذه التسمية ، تعميم الدلالة ،ورأى انها " توسيع معنى اللفظ ومفهومه من الخاص الدال عليه إلى معنى أعم وأشمل [2]" والمقصود بذلك استعمال كلمة لها دلالة خاصة على جنس معين للدلالة على معان مختلفة .

وهذا وينبه الدكتور فايز الداية على مسألة مهمة في الاعمام هي أن تنقل الدلالة من أصل إلى فرع لا معنى الجزء بل بمعنى الاشتقاق المعنوي وتوضيع المادة اللغوية[3] هذا وقد أثر الدكتور مختار عمر تسمية (توسيع المعنى) ويرى أن هذا الأخير يتحقق من تم الانتقال من المعنى الخاص إلى

---

[1] دلالة الألفاظ ؛ ابراهيم أنيس (د/ط) القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية (د/ت) ص 115.

[2] فقه اللغة ، دراسة تحليلية مقارنة للكلمة العربية ، محمد مبارك ، بدون طبعة ، دمشق مطبعة دار دمشق 1960 م ، 1379 هـ ، ص190.

[3] علم الدلالة العربية النظرية والتطبيق ، دراسة تاريخية تأصيلية نقدية ، فايز الداية ط 5 بيروت ، لبنان دار الفكر المعاصر ، دمشق سوريا ، دار الفكر 2006م /1427 هـ ص 307.

المعنى العام ويتضح ذلك في قوله : " توسيع المعنى أن يصبح عدد ما تشير إليه الكلمة أكثر من السابق أو يصبح مجال استعمالها أوسع من قبل"[1].

ونجده يضرب مثالا على كلمة (Salary) الإنجليزية التي تعني المرتب ، حيث كانت تعني في الأصل حصة الجندي من الملح ثم أصبحت تطلق على مرتبه ثم أصبحت تطلق على كل أنواع المرتب .

أما الدكتور محمود السعران فيرى أن من الاتساع ما أصله مجاز ونظرا لكثرة استعماله أصبح كالأصل ومثال على ذلك " تسمية كل قوائم الكرسي ، بلا مجاز ، محدد ومحسوس ، لقد حدث (تحول دلالي) وقد نتج عن ذلك اتساع استعمال كلمة (رجل) ، وهذا هو الاتساع الدلالي للكلمات لتشغل مسميات موضوعات جديدة تشبه الأصل شيئا ما"[2].

إن كلام مدعمو السعران وان اكتسى حلة حديثة وطريقة جديدة في التعبير على الاتساع فإنه لم يخرج كما جاء به العرب القدامى حيث أنهم سبق وأن أسهبوا في تعاريفهم للاتساع وخصوصا في باب المجاز ومرد ذلك أنهم كانوا يميلون إلى الاتساع وكثرة معاني الألفاظ لتيسير فهمه ولما له من وقع طيب على النفوس وعليه فإن المجاز عندهم كان متصلا موردا.

1/ب/5/2 - الاتساع في علم القراءات :

يشير مصطلح الاتساع في علم القراءات إلى إعطاء الحركة فوق حقها في المد لتصبح حرفا ، ويقول الحموي : الحركات رفع ونصب وجر ، وصف النطق بكل منهن أن تأتي بها على النصف من أمها فاتساع كل من الحركات مؤد إلى صيرورتها حرفا وذلك نحو قبيح وزيادة في كلام الله

[1] ينظر؛ علم الدلالة ، أحمد مختار عمر ، ط5، القاهرة ، عالم الكتب 1998 ، ص243.

[2] ينظر؛ علم اللغة مقدمة للقارئ العربي محمود السعران ، دار النهضة بيروت ، د ط ت ، ص214.
وينظر مباحث في علم اللغة واللسانيات ، رشيد عبد الرحمان العبيدي ، دار الشؤون الثاقفية العامة ، بغداد ط2 ، 2002 ، ص 179.

تعالى[1]. ويضيف صاحب القواعد والإشارات في أصول القراءات . في موضع آخر : " أن الاتساع هو اتمام حكم مطلوب لتضعيف الحركة قبل الهمز عند من يقرأ به ، فتتقلب ألفا قال أبو الأصبع : وقد يعبر به عن المجيء بكمال الحركة من غير اختلاس وهو قريب مما قبله"[2].

ويردف موضحا أن (الاتساع) بضده ونظره فيقول " الثلاثون الاختلاس : وهو إسراع بالحركة ليحكم السامع بذهابها وهي كاملة الوزن والصفة ، الحادي والثلاثون الاختطاف وهو يمنعه الثاني والثلاثون : الإشباع : وهو ضدهما ، وسبق معناه في الاتساع والله أعلم "[3] .

هذا ويمكن أن نعتبر تعريف صاحب كتاب أصول القراءات تعريف شاملا للاتساع على ميدان القراءات إذ تجمع جل المؤلفات على أنه إعطاء الحركة فوق حقها في المد لتصبح حرفا .

ومما يمكن أن نخلص إليه بعد كل ما تم استعراضه من مفاهيم للاتساع في مختلف الميادين تقريبا تراوحت بين اللغة والقراءات والبلاغة والدلالة ، هذا وعلى ما يبدو وأن الاتساع قد وافق القول المعروف لكل شيء من اسمه نصيب فنجده في الدراسات اللغوية يشير إلى التساهل في دقة العبارة عن المعنى المراد سواء أكان ذلك على مستوى المفردات أم على مستوى الأساليب وفي علم البلاغة يقترش لنفسه مكانة الضيف وصاحب البيت حيث يفيد دلالات مختلفة ففي علم المعاني يعد رديف المتفنن في الفصاحة وغاية في التقديم والتأخير و في علم البيان يذكر أحيانا صنوا للتشبيه وكثيرا ما يرد مع المجاز بنوعيه العقلي واللغوي فنجده يرد مع المجاز العقلي تارة والمجاز المرسل تارة أخرى . وأحيانا نجده يغيد الاستعارة أس أما إذا ولينا الوجهة شطر علم البديع فنجده يفيد دلالتين مختلفتين الأولى الإتيان في عجز الكلام بمثنى مفسر باسمين ثانيهما معطوف على الأول والثانية إيتان الشاعر ببيت يتسع فيه التأويل على قدر قوى الناظر فيه وبحسب ما تحتمل ألفاظه

[1] القواعد والإشارات في أصول القراءات ، الحموي أبو عباس ، أحمد بن عمر بن محمد بن أبي رضا ، تحقيق الدكتور عبد الكريم محمد الحسن بكار ، دار القلم ، دمشق ، ط1.1406 هـ ج1 ، ص53.

[2] المرجع السابق ؛ ص 44.

[3] المرجع نفسه ؛ ص 53.

أما في علم القراءات فهو إعطاء الحركة أكثر من حقها في المد بتصحيح حرفا . ولعل أقرب المفاهيم التي تخدم موضوعنا الذي يدور في مجمله حول محور التغاير الدلالي في الخطاب القرآني و القراءات هو ما ذكره ابن أبي الأصبع بقوله : " باب الاتساع هو أن يأتي الشاعر ببيت يتسع فيه التأويل على قدر قوى الناظر فيه ، ويحسب ما تحتمل ألفاظه ... ، وإنما أراد الأصمعي الشعر القوي الذي يحتمل مع فصاحته وكثرة استعماله ألفاظه وسهولة تركيبه وجودة سبكه معاني شتى يحتاج الناظر فيه إلى تأويلات عدة وترجيح ما يترجح منها بالدليل"[1]

وعليه فإن المتفحص لمختلف هذه المفاهيم يجد أن الاتساع في القرآن الكريم جاء ليدل على مقامات عالية من الإعجاز فهو علو شأنه ودرجات فصاحته لما يحمله من معان مختلفة وشاسعة يدل عليها تركيب لغوي واحد فقط ويؤدي اختلاله إلى ضياع المعاني مما يجبرنا على الإتيان بتراكيب بعددها لتعبر عنها .

[1] تحرير التعبير في صناعة الشعور والنشر وبيان إعجاز القرآن ، ابن أبي الأصبع ، زكي الدين عبد العظيم بن عبد الواحد بن ظافر بن عبد الله (2654 ه) تحقيق حنفي محمد شرف المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية القاهرة 1963، ص454-455.

المبحث الأول : الاتساع عند القدامى:

1/1- الاتساع اللغوي عند سيبويه : يعتبر الكتاب لسيبويه أول كتاب منهجي ينسق ويدون قواعد اللغة العربية وقد ألفه خلال القرن الثاني للهجرة الموافق للثامن من الميلاد ونظرا للمادة الغزيرة التي يحوزها حظي هذا المؤلف باهتمام بالغ من طرف الدارسين حيث تعلموا منه المعارف واستفادوا منه أيّما إفادة حيث قال فيه الجاحظ ، " لم يكتب الناس في النحو كتاب مثله " وكذلك يشهد له السيرافي بأنه كتاب لم يسبق فيه أحد ولم يلحق به من بعده وبما أن الموضوع الذي يخصنا هو الاتساع فإننا سنتبين أهم النقاط التي حواها الماضي في هذا الخصوص . والملاحظ أن أبرز آراء سيبويه في ميدان الاتساع اللغوي هي[1] :

- الاتساع في معظمه عند سيبويه يقوم على الحذف ذلك لا يوجد في الكتاب عن تصريحات كثيرة على ضرورة الحذف لأسباب مختلفة تصب في باب البلاغة تارة مثل التخفيف و الإيجاز و السعة حيث يؤكد صاحب الكتاب أنّ العرب تحبذ الحذف في وقله : " واعلم أنه مما يأخذون الكلم وإن كان أصلح في الكلام غير ذلك ويحذفون ويعوضن ويستغنون بالشيء الذي أصله في كلامه أن يستعمل حق يصبح ساقطا " ثم يقول : " وما حذف في الكلام لكثرة استعمالهم كثير من ذلك هل من طعام أي هل من طعام في زمان ومكان "[2].

وحتى تتضح الرؤية ينبه سيبويه على أن الحذف لا يكون مطلقا حيث أردنا الحذف وإنما يكون المخاطب علما به فيعتمد المتكلم على بديهة السامع في فهم المحذوف .

ومن زاوية أخرى نجد سيبويه يعرض لجميع أنواع الحذف مثل حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه ، حذف الخبر ، حذف الفاعل ، حذف الموضوع وإقامة الصفة مقامه ، وحذف الفعل سواء كان بالأفراد أو التحذير أو التعجب وحذف حرف الجر وحذف صلة الموصول ، هذا ما دعمه ابن جني حيث نجده يحذو آراء سيبويه في أهمية الحذف بقوله : إن في القرآن نيفا على ألف

---

[1] الكتاب ج175/1.

[2] المرجع نفسه ج1 ص37

موضع ولكن الحذف لا يكون في كل موضع بل في موضع دون آخر ، وابن مضاء القرطبي يقول بأن المحذوفات في كتاب الله تعالى لعلم المخاطبين بها كثيرة جدا ، وهي إذا أظهرت تم بها الكلام وحذفها أوجز وأبلغ "[1].

ومعنى ذلك أن الحذف لا يكون جزاف وإنما يحصل في مواضع معينة يكون المخاطب فيها عالما بما يفيده الحذف .

- ومن العناصر التي لقت اهتماما بالغا عند سيبويه مسألة الزيادة حيث ذكر زيادة الحروف وأثرها في الكلام وتعرض لمختلف الحروف التي تبقى زائدة في الكلام مثل الكاف ، الباء ، ومن وما ولا وإن .

فيقول عن الكاف في قولا " التجاءك أنها جاءت توكيدا وتخصيصا ولم تجيء بالإضافة لأن الاسم المقرون لا يضاف"[2].

والمعروف أن الاسم يعرف إما (بال) التعريف وإما بالإضافة ولا يجوز الجمع بينهما .

وترك الكاف زائدة لتؤدي معنى : " مثل" وتكون للتشبيه والمبالغة حيث عرف عن العرب أنهم جمعوا بين الكاف ومثل للضرورة الشعرية .

- ومن أوجه الاتساع عند سيبويه الإيجاز لعلم المخاطب بالمعنى من نحو قوله : ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداد[3] صم بكم وهم لا يعقلون . فلم يشبهوا بما يتفق وإنما شبهوا بالمتعرف به ، والمعنى مثلكم ومثل الذين كفروا كالناعق والمنعوق به الذي لا يسمع ولكنه جاء على سعة الكلام والإيجاز لعلم المخاطب بالمعنى[4]

---

[1] المرجع السابق ج1 صص15/14

[2] نفسه 12/ص203.

[3] البقرة 171.

[4] المذهر ج2 ، ص54.

فالآية فيها إيجاز والمخاطب يعلم أن هناك قرينة دالة على الإيجاز ولولاها لما جاء الإتيان بالإيجاز في هذه الآية حتى لا يبهم الأمر على المتلقي .

ويعقب الزجاج على ذلك بقوله : قال سيبويه وهذا من أفصح الكلام إيجازا شيئين بشيئين الداعي والكفار بالراعي والغنم . فاختصره ولكنه اكتفى بذكر الكفار من المتشبه والراعي من المتشبه به . فدل ما أبقى على ما ألقى وهذا معنى كلام سيبويه "[1].

فمن غير المعقول أن يشبه الكافر بالداعي للإيمان ولا يجد من ينصت إليه أو يلبي دعوته ولكن المعقول أن تشبه وعظ الكافرين الذين لا يستجيدون بدعوة الأغنام التي لا تعي .

- ومن الاتساع عند سيبويه أن يكون المصدر حين لسعة الكلام والاختصار من نحو : من سير عليه ؟ فتقول مقدم الحاج وخوف النجم [2]. وخلافه فلان فإنما هو زمن مقدم الحاج وحين تفوق النجم ولكنه ورد كذلك على سعة الكلام والاختصار .

يعني حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه ، وكذلك إن قام كم سير عليه ؟ جاز أن يكون جوابه مقدم الحاج وحقوق النجم وخلافه فلان فيكون المعنى سير عليه مدة خلافة فلان.

والمعروف عند العرب أنها تقيم الأسماء التي ليست بأزمنة مقام الأزمنة توسعا واختصارا وقد تأتي هذه الأسماء على ضروب وأنواع أجدها أن يكون أصل الكلام إضافة أسماء الزمان الى مصدر مضاف فيحذف اسم الزمان قصد التوسع رهنا عبر عنه سيبويه يعينها .

- عالج سيبويه ظاهرة الاتساع من خلال جوانب صوتية مختلفة كالإتباع الحركي والإمالة والتفخيم والتنغيم حيث يقصد بهذا الأخير – التنغيم – تغييرات صوتية تنتاب صوت المتكلم يتغير بسببها مدلول الكلام فارتفاع الصوت وانخفاضه دائم الارتباط بنفسية المتكلم فينتج عنه تعبير عن الفرح والغضب والتهكم والسخرية والنفي والإثبات والاستغراب والتعجب .

[1] الكتاب ج1/283-427.

[2] المرجع نفسه ج1/175-177.

وعليه فإن الجملة الواحدة قد يختلف معناها باختلاف النغمة كأن تقول : " زيد عنده مال"[1] وتشد صوتك على مال وتفخم الصوت فيه فيكون المعنى : أنه ذو مال وفير ، وإذا قلت عنده مال مع ترقيق الصوت وتكسره فيتغير معناها إلى أن له مال قليل لا يعتد به .

- أشار سيبويه في كتابه الى عنصر الترادف والمشترك اللفظي باعتبارهما فرعان يندرجان تحت باب التوسع في العربية والملاحظ أن المسوغ الذي جعل هذه العناصر تندرج ضمن هذا الباب هو كثرة استعمالها في اللغة العربية التي تعد الكثرة والترادف والمشترك اللفظي خاصية من خصائص الضرورية[2] .
- وفي مجال الأساليب يرى سيبويه أن الاستفهام وضع في الأصل للفعل لأن الاستفهام يقتضي الفعل ويطلبه لأنك إنما تستفهم عما تشاب فيه وتجهل عمله[3] . حيث يرى صاحب الكتاب أن دخول أدوات الاستفهام على الاسم أمر تبيع وإن كان بعدها فعل ويجير ذلك للضرورة الشعرية واستثنى من هذه الأسماء الهمزة التي يصح دخولها على الاسم من غير قبح ، وإن كان يعد الاسم فعل ومرد ذلك أنها الأصل في الاستفهام .
- ومن الأبواب التي طرقها سيبويه أن تجري الصفة مجرى الاسم من نحو : لو أن سائلا سألك فقال : هل سير عليه ؟ لقلت : نعم ، سير عليه سيرا شديدا أو سير عليه حسنا[4] .

ويرى الأعلم الشنتمري (476 هـ) إلى أن تصب سيرا في قول سيبويه يكون على وجهين : أحدهما المصدر المؤكد به والثاني على الحال تأكيدا أيضا والملاحظ هنا كلا الوجهين يؤدي أو

---

[1] معاني النحو فاضل صالح السامرائي دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع الأردن200/1420 ط1 ج1/ص11.

[2] ينظر ؛ التوسيع في كتاب سيبويه عادل هادي حمادي العبيدي مكتبة الثقافة الدينية ط1 1900 ص 53 ودراسات في فقه اللغة صبحي الصالح دار العلم للملايين 1960 ط1ص 302.

[3] ينظر ؛ الشرح المفصل يعيش بن علي بن يعيش بن أبي السرايا أبو البقاء موفق الدين الأسدي الموصلي تقديم اميل بديع يعقوب دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط1 1422هـ/2001م ج 1 ص 81.

[4] الكتاب ج 1 ، ص 228.

يصب في نقطة التأكيد ومعنى ذلك أننا ننصب سيرا على المصدر المؤكد به كقولنا ضربت ضربا وعلى الحال تأكيدا كأننا قلنا سير عليه سيرا [1].

والحق أت ورود المصدر حالا تعبير مجازي أما الوصف فهو تعبير حقيقي ويضيف الشنتمري أنه اذا عبرنا بالوصف فقد أردنا معنى واحد ما إذا قلت جاء زيد ماشيا كان ماشيا حالا ليس غير ولكنك اذا عبّرت بالمصدر اتسع المعنى وأصبت أكثر من قصد في اللغة .

- و من الأبواب التي طرقها سيبويه فيما يخص الاتساع في مجاله الصرفي و الدلالي ظاهرة التغليب دون أن يذكر المصطلح كبعض مسائل التذكير والتأنيث قال : وسمعنا من العرب من يقول ممن توثق به : " اجتمعت أهل اليمامة " المقصود أهل اليمامة فأنّث الفعل في اللفظ إذ جعله في لفظ اليمامة فترك اللفظ يكون على ما يكون عليه في سعة الكلام [2].

وقد دعم قوله يشاهد من شعر جريد في قوله :

" لما أتى خبر الزبير تواضعت ***سور المدينة والجبال الخشع ".

و من ذلك قولهم : له ثلاثة شياه ذكور ..... فأجريت ذلك على الأصل لأن الشاء أصله التأنيث وإن وقعت على المذكر[3] . وتغليب المذكر على المؤنث في باب (حبذا) ألا ترى أنك تقول بالمؤنث حبذا ولا تقول حبذه[4] . والأسباب كثيرة في اللغة العربية في هذا الخصوص وما سبق ذكره في سبيل التمثيل فقط .

- من صور الاتساع الإتباع أو الحمل على الجوار (أو أن يأتي نما على غير وجه الكلام) فقد وجدت هذه الظاهرة جذورها الأولى عن سيبوي1 حيث يقول : ومما جرى نعتا على غير وجه

[1] النكت في تفسير كتاب سيبويه لابي الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى الأعلم الشنتمري تحقيق و شرح رشيد بلحبيب وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية المملكة المغربية ط1 ج1 ص 323.

[2] نفسه ج2 ص 561 و ينظر الكتاب ج1 ص 32.

[3] نفسه ج2 ص 561.

[4] نفسه ج2 ص 180.

الكلام " هذا جحر ضرب خرب" فالوجه الرفع وهو أكثر كلام العرب وأقصهم وهو القياس لأن الخرب نعت الجحر والجحر رفع ، ولكن بعض العرب يجره وليس نعت للضب ولكنه نعت للذي أضيف إلى الضب . فجروه لأنه فكرة كالضب ولأنه في موضع يقع فيه نعت الضب صار هو والضب بمنزلة اسم واحد ألا ترى أنك تقول : هذا حب رمان ، فإذا كان لك قلت ، هذا حب رماني ، فأضفت الرمان إليك ، وليس لك الرمان إنما لك الحب [1].

- وباب النيابة من الأبواب التي حظيت باهتمام بالغ من قبل سيبويه حيث تعد نيابة الحروف بعضها عن بعض وجها من أوجه التوسع والمجاز وإن كان في القضية خلاف بين النحاة فالبصريون يرون أنه لا يجوز أن تنوب حروف الجر بعضها على بعض إلا في بعض الحالات الشاذة، أمّا الكوفيون فيرون أنّ حروف الجر ينوب بعضها عن بعض أما سيبويه فيرى أن الأصل في حروف الجر أن لا ينوب بعضها على بعض[2] ولكن قد يتوسع في استعمال المعنى فيستعمل بعضها في معنى بعض .

وهذا ما عمد ابن جني في كتابه الخصائص حيث أفرد بابا لاستعمال حروف الجر بعضها مكان بعض مدعما آراءه بشواهد من القرآن الكريم حيث قال فيه .

ومن ذلك أنهم يقولون:" إن **إلى** تكون بمعنى **مع** ويحتجون لذلك بقوله عز ّو جلّ "مِنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّه"[3] أي مع الله ويقولون إن **في** تكون بمعنى **على** ويحتجون بقوله عز وجل :" وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ"[4] . أي عليها هذا وتجدر الإشارة أن لكل حرف معناه لكن تحصل الاستعارة لتقارب المعاني .

[1] المرجع السابق نفسه ج1 432.
[2] التوسع في كتاب سيبويه ص 94.
[3] سورة الصف الآية 13.
[4] سورة طه 81.

ومما يمكن أن نخلص إليه حول الاتساع عند سيبويه أنه ليس خروجا على القاعدة بقدر ما هو تأكيد لها وتسهيل على الناس في استعمالها وقاعدة الاتساع عنده أنه نوع من أنواع الإيجاز والاختصار يقوم في معظمه على الحذف، يعمد إليه المتكلم اعتمادا منه على فهم المخاطب للكلام الذي يسمعه تبعا للقرينة اللفظية أو الحالية .

هذا ويعتبر المسائل المختلفة التي طوقها وتعوض لها سيبويه قفزة نوعية وخطوة مهمة في تحديد مسار البلاغة إذ أنها تعتبر المنبع الذي استقى منه جل العلماء ما يصفون به ابداعاتهم أمثال الجرجاني الذي استأنس بما قدمه في كثير من المباحث كالتقديم والتأخير وقضايا أخرى سنأتي على ذكرها لاحقا .

2/1- الاتساع اللغوي عند ابن السراج :

يعتبر مؤلف ابن السراج أول كتاب أصول النحو حيث سعى من خلاله إلى ضبط قواعد النحو الأساسية والعناية بدراستها وجمع مسائلها مكتفيا بالإشارة إلى الأصول التي تبنى عليها تلك القواعد.

حيث عرض فيه مادة علمية جعلته محط إعجاب الدارسين ومن بينهم ياقوت الحموي " مازال النحو مجنونا حق عقله ابن السراج بأصوله"[1]. ونحن في موضعنا هذا سنحاول تتبع أهم النقاط التي جاء بها ابن السراج وصبت في باب الاتساع في اللغة العربية حيث نجد أنّه:

- يجيز ابن السراج إقامة المصادر وظروف الزمان والمكان مقام الفاعل ونائب الفاعل إذ جعلت مفعولات على السعة . مثل سير بزيد سير شديد فيجوز نصبها على الموضع إن لم يقم المجرور مقام الفاعل يشرط أن يحذف ما يقوم مقام الفاعل ويضمر، وهذا المحذوف على ضربين:

أ- إما أن يكون الذي قام مقام الفعل مصدرا استغني عن ذكره بدلالة الفعل عليه.

- أن يكون مكانا دل الفعل عليه أيضا من نحو:

[1] معجم الأدباء ياقوت الحموي ، دار الكتب العلمية ، ط1/ لبنان 1411 هـ /1991 م المجلد 1 ص 341.

سير يزيد فرسخا (أضمر السير) لدلالة سير عليه فكأنك قلت سير السير يزيد فرسخا . ثم حذفت السير فإن كان مكان دل الفعل عليه ولا بد أن تضمر ما يدل عليه " سير" نحو الطريق أو ما أشبه ذلك من الأمكنة لأن السير لا يكون إلا في الطريق. فكأنك قلت: سير عليه الطريق فرسخا ثم حذفت لعلم المخاطب بما تعني[1]. وهذا نوع من التوسع نجد أن العرب تتداوله

و تستسيغه لانّ أهلها عل علم بالمقصود.

- أجاز ابن السراج أن تقوم الصفة مقام الاسم مثل نعم الرجل رجل قام ويقوم ومنع أن يقوم الفعل مقام الاسم نحو : نعم رجلا قام ويقوم بحذف رجل ورأيه في ذلك أنه لا يجوز أن يقوم الفعل مقام الاسم وإنما الذي يستحق أن يقوم مقامه هو الصفة لأنها في الأصل اسم يدخل عليها ما يدخل على الاسم وعليه فإن إقامتهم الصفة مقام الأسماء اتساع في اللغة [2].

والملاحظ هنا أن الحماية استثنائية جاءت على صيغة المدح ومعروف لدينا أن المخصوص بالمدح يرد اسما على اختلاف أنواعه أما ابن سراج فإنه يجيز أن تقوم الصفة مقام الاسم ففي قولنا نعم المرأة امرأه صادقة يجوز أن تقول نعم المرأة امرأة تصدق . ومنع أن نقول نعم المرأة تصدق ومرد ذلك أنه لا يمكن أن يحل الفعل مكان الاسم وإنما يجوز أن تقوم الصفة مقام الاسم لأنّها في الأصل من جنسه ويدخل عليها ما يدخل على الاسم وهذا وجه من أوجه التوسع في اللغة على حد تفسير ابن السراج .

- يعرفه حذف حروف الجر من الكلام عند ابن السراج اتساعا ومثال على ذلك قولنا ذهبت الشام ودخلت البيت والأصل عنده أن نقول ذهبت إلى الشام ودخلت في البيت وعليه فإن حذف حرف تخفيف في اللغة واتساع[3] . ومنه فإن التخفيف بحذف حرف الجر هو وجه من أوجه التوسع في اللغة ولا حاجة له ما دام المخاطب يفهم المقصود.

---

[1] الأصول ج1/ ص 171.

[2] نفسه ج1 ص 79.

[3] ينظر ؛ المرجع السابق 18 ص 171.

- عالج ابن سراج مسألة الأفعال التي تأخذ مفعولين في اللفظ وهما أن تتعدى الى المفعول الثاني بحرف جر نحو " واختار موسى – لقومه سبعين رجلا"[1]. فالأصل من قومه ، حذف الجار وأوصل الفعل فنصب . وهذا نفس ما ذهب إليه الزمخشري في قوله " وتحذف حروف الجر فيتعدى الفعل بنفسه مستشهدا بالآية 155 السابقة الذكر "[2]. حيث تعرف هذه الظاهرة بنزع الخافض الذي يعرف اصطلاحا على أنه حذف وايصال.

ويشير ابن السراج إلى أنّه ليس كل فعل يتعدى بحرف جر يمكن حذف حرف الجر منه وإنما يجوز هذا فيما سمع عن العرب في استعمالهم .

ويردف موضحا في بخصوص الأفعال المتعدية إلى ثلاثة مفاعيل في مثل قولنا سرقت عبد الله الثوب الليلة" على ألا تجعل " الليلة" ظرفا ولكنك تجعلها مفعولا على السعة وهي نفس الفكرة التي أشار إليها صاحب الكتاب سيبويه

- الاتساع في الظرف للتقريب والتشبيه من نحو : زيد دون الدار فالمقصود هنا مكانا دون الدار معنى ذلك أننا نقصد بالظرف المكانية أما إذا قلنا زيد دون عمرو فنحن هنا نقصد العلم والمكانة والمال والشرف كوجه من أوجه الاتساع حيث أن الأصل هو المكان [3].

والملاحظ أن الأصل في الظروف هو المكان ولكن قد يعدل عليه للدلالة على المرتبة والمكانة

- يعتبر ابن سراج حذف حرف الجر اتساعا في بابي المفعول معه والمفعول له وعليه فإنهما لا يجريان مجرى الظروف في التصرف في الإعراب ، وفي إقامتهما مقام الفاعل فيدلك ترك العرب لذلك أنّهما بابان وضعا في غير موضعهما اتساعا منهم فيهما من نحو : جئتك طلب الخير ، أي لطلب الخير فحذفت اللام نحو : ما صنعت وأباك أي ما صنعت مع أبيك [4]؟

---

[1] سورة الأعراف الآية 155.

[2] ينظر ؛ المفصل في علم العربية للزمخشري تحقيق فخر صالح قدارة 1425هـ/2004م ط1ص 213.

[3] ينظر ؛ الكتاب ج1 ، ص194.

[4] ينظر ؛ المرجع نفسه ، ج1 ، ص209-210.

حين يعد حذف حرف الجر هنا ضرب من التوسع بعد ما كان من حقهما أن لا يحذف فيهما حرف الجر في أي موضع .

وحذف الحروف لا يكون تعسفيا وإنما يحدث ذلك رغبة في إيجاز الكلام وهذا ما يتيحه علم المخاطب بالمقصود طبعا .

- الاتساع في المتصرف من الظروف والمصادر وقيامها مقام الفاعل إذا كان معرفة أو نكرة موصوفة من نحو سير على بعيرك فرسخان يوم الجمعة . فإن شئت نصبت يوم الجمعة على الظرف وهو الوجه وإن شئت نصبت على أنه مفعول على السعة كما رفعت فرسخين على ذلك[1]

وعليه فإن نصب الجمعة على أساس أنها مفعول جائز كوجه من أوجه الاتساع بعدما تأكد الأصل فيها على أساس أنها ظرف .

- الاتساع في مسائل الدعاء والأمر والنهي فإذا قلت زيد قطعت يده كان قبيحا لأن يشبه الخبر ، وهو جائز إذا ما يشكل وإذا قلت زيد ليقطع الله يده . كان أمثل لأنه لا ليس فيه وهو بذلك اتساع في الكلام لأن المبتدأ ينبغي أن يكون خبره فيه الصدق والكذب والأمور والنهي ليس من أضرب الخبر والدعاء كالأمر وإنما قالوا زيد قم إليه واضربه اتساعا كما قالوا زيد هل ضربتة فسد الاستفهام مسد الخبر وليس يخبر على الحقيقة[2].

والملاحظ هنا أننا نخرج من الجملة الخبرية بعد المبتدأ وهو الأصل إلى الإنشاء بصيغة المختلفة وهذا ما يعتبره ابن السراج وجها من أوجه التوسع الذي يزيد اللغة رونقا و جمالا .

- الاتساع في إقامة أسماء ليست بأزمنة مقام الأزمنة اتساعا واختصارا وهي على ضربين :

[1] ينظر ؛ الأصول ، ج1 ص 203.
[2] نفسه ج 2 ، ص 170.

أ- ما يكون فيه اسم الزمان مضافا إلى مصدر مضاف في حذف اسم الزمان . للاتساع من نحو جئتك مقدم الحاج ... أي جئتك وقت مقدم الحاج[1] .

فهنا نجد الظرف يحذف وسجل المصدر محله وذلك بعلم السامع به وهذا أيضا باب من أبواب الشجاعة اللغة .

ب - ما يكون فيه اسم الزمان موصوفا فيحذف اتساعا وقام الوصف مقام الموصوف نحو طويل وحديث ، وكثير وقليل ... فإذا وصف اسم من أسماء الزمان جاز أن يكون اسما و أن يكون ظرفا فلك أن تنصبه على السعة نصب المفعول بهمن نحو قمت اليوم و قعدت الليلة فتنصبه نصب زيد فتقول ضربت زيدا أو ضربته وقمت اليوم وقمته . وإذا نصبته نصب الظرف قلت : قمت فيه ، وإذا وقع موقع المفعول فيما لم يسم فاعله جاز أن يقوم مقام الفاعل من نحو صيد عليه يومان[2] .

وعليه فإننا نجد أن اسم الزمان يخرج من إطار الظرفية إلى باب المفعول أو الفاعل الذي لم يسم فعله أو يحذف .

- ومن الاتساع أيضا عند ابن السراج تعدد وظائف (لا) قال في باب تصرف لا "للا في الكلام مواضع ، وجملتها النفي ، مواضعها تختلف ، فتقع على الأسماء ، في قولك ضربت زيدا لا عمرا ... وتقع على الأفعال في القسم وغيره ، وتقول لا يخرج زيد ولا ينطلق عمرو ... ويجزم بها الفعل ، فيكون بحذاء قولك في الأمر ليخرج عبد الله .... ويقع بعضها في القسم الفعل الماضي بمعنى المستقبل وذلك قولك : والله لا فعلت: إنما المعنى : لا أفعل ... ويجوز أن تحذف (لا)".

وأنت تريد النفي وجائز أن تقول : لا قام زيد ولا قعد عمرو ، تريد الدعاء عليه وهذا مجاز وحق هذا الكلام أن يكون نفيا لقيامه وقعوده فيما مضى .1

[1] المرجع السابق نفسه ج1 ، ص193.

[2] نفسه ج1/ 193وينظر الكتاب ج1/ص114.

وعليه فإن الأصل في لا هو النفي ولكنها تخرج على هذا الى باب الدعاء مجازا لأن العمل الذي يليها في زمن الماضي وهو يخول له ولكن جاء الدعاء هنا كوجه من أوجه التوسع والشجاعة في اللغة . ومما نخلص إليه من خلال هذا العرض الموجز لأهم البنود التي عالجها ابن السراج بخصوص موضوع الاتساع ما يلي :

- لقد تبنى ابن سراج في أيما موضع آراء سيبويه كالأفعال غير المتعدية بنفسها بل حرف جر، والمتعدية إلى مفعولين في اللفظ وحق ثانيها أن يتعدى بحرف الجر ، والمتعدية إلى مفعولين في اللفظ وحق ثانيها أن يتعدى بحرف الجر وكذا المتعدية إلى ثلاث مفاعيل .
- إن الاتساع في أغلب مواضعه عند ابن السراج يقوم على الحذف .
- الاتساع عند ابن سراج ليس اعتباطا بل هو مرتبط بأسباب منها التخفيف واختصار الكلام ، وتجنب التفصيلات لأن كثرة الاستعمال تجعل المخاطب على علم بها إما بالقرائن اللفظية أو القرائن العقلية.[1]

3/1-الاتساع اللغوي عند ابن جني :

تناول ابن جني ظاهرة الاتساع في أيما موضع في كتابه الخصائص وباب (شجاعة العربية) أكبر شاهد على ذلك لما فيه من تفصيل في الاتساع . حيث اتسع هذا الباب والحال وذلك نتيجة كثرة عناصرها ومكوناتها من حذف وزيادة وتقديم وتأخير وغير ذلك حيث يعد الحذف أبرز النقاط التي تطرق لها ابن جني ونجده قد التقى بسيبويه وابن السراج في جوانب ونواحي كثيرة من معالجاته ومن أهم آرائه في الاتساع اللغوي :

- من أوجه الاتساع عند ابن جني الحذف وهو على ضروب :
- حذف الجملة ومقصور على جملة الفعل والفاعل نحو قولهم في القسم : والله لا فعلت وأصله أقسم بالله . فحذف الفعل والفاعل وبقيت الحال من الجار و المجرور دليلا على الجملة المحذوفة.

[1] الأصول في النحو ، ج1/ص487.

- حذف الأفعال في الأمر[1] والنهي والتحضيض نحو : زيدا، إذا أردت اضرب زيدا وإياك، إذا حذرته . أي احفظ نفسك وكذلك ما تجده في أسلوبي الإغراء والتحذير حيث أن الأفعال تحذف جوازا مرة ووجوبا مرة أخرى . ومن ذلك قوله تعالى : " فمن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ "[2] . أي فحلق فعليه فدية. فالفعل (حلق) حذف لدلالة السياق عليه ولأنّه معلوم لدى السامع ولا داعي لذكره وإنما يحدث ذلك توسعا .
- حذف المبتدأ من نحو قوله تعالى : " أَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ ۚ بَلَاغٌ ۚ "[3] . أي ذلك بلاغ أو هذا بلاغ .
- حذف الخبر من نحو قوله تعالى : " طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ" [4].
- قال ابن جني إن شئت كان على أمرنا طاعة وقول معروف وإن شئت كان على طاعة وقول معروف .
- حذف المضاف ومثال على ذلك قوله تعالى : " وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَىٰ"[5] .

والأصل ولكن البر بر من اتقى أو ولكن ذا البر من اتقى والأول أجود لأن حذف المضاف ضرب من الاتساع والخبر أولى بذلك من المبتدأ لأن الاتساع بالأعجاز أولى من الصدور .

- يحذف أيضا المضاف إليه مفردا وجماعة أما المفرد فنحو قوله تعالى : " لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ"[6] .

أي من قبل ذلك ومن بعده مهنا اكتفينا بالظرف وحذف المضاف إليه . أما الجملة فنحو يومئذ وحينئذ أي ذاك كذلك[7] . فالحذف بنوعيه إذ في الجمل والمفردات وجه وشاهد على ضروب التوسع في اللغة

---

[1] الاتساع اللغوي بين القديم والحديث ص 26 .
[2] سورة البقرة الآية 196.
[3] سورة الأحقاف الآية ص 35.
[4] سورة محمد الآية 21.
[5] الخصائص لابن جني عالم الكتب للطباعة و النشر و التوزيع 2006 ج2/ ص 362.
[6] الروم الآية 07.
[7] المصدر السابق ج2/ص363.

- ويحذف الموصوف وتقام الصفة مقامه وذلك في حال قيام الدليل عليه أو شهدت به الحال مثل : مالك عندي غير سهم وحجر وغير كبداء شديدة الدثر

جاءت بكفي كان من أرمى البشر[1] .

أي بكفي رجل أو انسان كان من أرمى البشر فحذف الموصوف (رجل/إنسان) حذف لدلالة السياق عليه وهذا ضرب من أضرب التوسع عند ابن جني .

- تحذف الصفة إذا دلت الحال عليها من تطريح وتطويح وتفخيم و تعظيم في الصوت يقوم مقام القول[2] .

وذلك أن تكون في مدح إنسان والثناء عليه فتقول : كان والله رجلا !

فتزيد بقول اللفظ بالله ، وتمكّن في تمطيط اللام ، وإطالة الصوت بها أي رجلا شجاعا أو كريما أو فاضلا ونحو ذلك[3] . وكذا إن ذممته وصفته بالضيق قلت : سألناه وكان إنسانا !

وتزوي وجهك وتقطبه ، فيعني ذلك على قولك : إنسانا لئيما أو لحزا أو مبخلا أو نحو ذلك. إذ أن للنبر والتنغيم وتغير ملامح الوجه دور في تغيير سياق الكلام .

وكذلك في قولهم : سير عليه ليل وهم يريدون ليل طويل . فالنبر وتفخيم الصوت يغير المقام من حال إلى حال ومن سياق إلى آخر .

- ويحذف المفعول به نحو قوله تعالى : " وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ"[4] .

---

[1] ينظر المرجع السابق ج2/ص 367 ، وينظر الاتساع اللغوي بين القديم و الحديث ص 27.

[2] نفسه ج2 ، ص 370 وينظر ظاهرة الاتساع في النحو العربي / حسن محمود شيانة ط 1 /2011 ص 160.

[3] نفسه

[4] سورة النمل الآية 23.

أي أوتيت منه شيئا أي أن النبأ الذي جاء به أنه وجد فيهم امرأة تملك قبيلة سبأ تملك من كل ما يؤتاه الملوك من أموال وسلاح وجنود وحصون وقلاع ونحو ذلك ، وإنما حذف المفعول هنا توسعا .

- حذف الظرف من نحو قول الشاعر :

فإن مت فانعيني بما أنا أهله : وشقي على الجيب يا ابنة معبد .

أي إن مت قبلك فالظرف (قبل) محذوف هنا توسعا لدلالة السياق عليه لأنه من الواضح أنها ستنعيه بعد موته إذا كانت حيّة يعني إن مات قبلها وهذا باب من أبواب الشجاعة في اللغة حسب ابن جني.

- يحذف المعطوف تارة ، والمعطوف عليه تارة أخرى [1]، فمن حذف المعطوف

قولهم : راكب الناقة طليحان ، أي راكب الناقة والناقة طليحان ، ومن حذف المعطوف عليه : الذي ضربت وزيدا جعفر ، تريد الذي ضربته وزيدا .

ففي الوجه الأول حذف المعطوف (الناقة) ايجازا واختصارا وفي الوجه الثاني حذف المعطوف عليه لدلالة السياق عليه توسعا .

- ويحذف المستثنى نحو : جاءني زيد ليس إلاّ أي ليس إياه.

وليس غيره والأصل هنا ما جاءني إلا زيد ولكن جاء الاستثناء على الصورة الأولى كوجه من أوجه الاتساع.

- ويحذف المنادى فيما أنشد أبو زيد من قوله :

فخير نحن عند الناس منكم إذا الداعي المثوب قال يالا

[1] الخصائص المرجع السابق ج2 ص 373.

أراد لبني فلان[1]. وفهنا حذفت بني فلان لغرض التوسع وذلك لعلم المخاطب بها . والحذف هنا ليس جزافا وإنما يعزى إلى جمالية يضفيها الاتساع في الكلام من إيجاز واختصار .

ويسترسل حسن محمود شبانة موضحا أن في قوله تعالى : " ألا يسجدوا"[2] فليس المنادى محذوفا ولا مراد كما ذهب إليه محمد بن زيد وأن (يا) هنا أخلصت للتنبيه مجردا من النداء[3] . وعلى كل فإن المنادى المحذوف يوضحه السياق ولا يحذف كما سبق الذكر جزافا وإنما لأغراض بلاغية تجيزها العرب .

- يرى ابن جني أن تقديم المعطوف على المعطوف عليه في الواو وحدها من نحو : قام وعمرو وزيد ، والاتساع فيه دخول الواو وعلى المعطوف قبل استقلال الفعل بفاعله[4] .

فالأصل هنا أن يذكر الفاعل بعد فعله ثم يليه حرف العطف والمعطوف لكن يحدث أن يتقدم حرف العطف ويتوسط الفعل والفاعل شجاعة واتساعا عند العرب .

- يرى ابن جني تقديم إذا الظرفية لتعلقها بمحذوف دل عليه دليل في الجملة وجه من أوجه الاتساع وذلك نحو قوله تعالى : " فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا"[5].

فقدم إذا وهي منصوبة بشاخصه ، فكأنه قال فإذا هي شاخصة هي أبصار الذين كفروا ، و انصراف مما يتسع ولا تضيق مساحة التعذر له بأن إذا تعلقت بمحذوف دلت عليه شاخصة [6].

- يشير ابن جني أنه قد يتسع في الكلام فيوضع كل واحد منهما موضع الآخر فيما يسمى بالتضمين حتى يتوسع في استعمال اللفظ توسعا يجعله مؤديا معنى آخر مناسب له وهو عند

---

[1] ينظر المرجع نفسه ج2 ص 375.
[2] النمل الآية 25.
[3] المرجع السابق نفسه ص 376.
[4] المرجع السابق 385.
[5] سورة الأنبياء الآية 97.
[6] الاتساع اللغوي بين القديم والحديث ص 28.

البعض إشراب لفظ معنى لفظ آخر وإعطاؤه حكمه ، لتصير الكلمة تؤدي معنى الكلمتين[1] . ومفاد ذلك أن تفيد كلمة معنى آخر لا تحيل إليه في الأصل .

ومثال على ذلك قوله تعالى : " وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا" وكذلك قوله تعالى : " مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ"[2] .

أي إلى الله وأنت لا تقول سرت إلى زيد أي معه ولكن لما كان معناه من ينضاف في نصرتي إلى الله ؟ جاز لذلك أن تأتي هنا بإلى .

ونحو قوله تعالى : " قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ"[3] فحديث النمل كما يراه ابن جني أشبه بالاعتقاد فكان الأجدر به القول الذي يستعمل في الرأي والاعتقاد لخفائه فاستعمال الكلام جاء في موقع القول . فالتبتل مراد به الانقطاع ولكن في هذه الآية يقصد التفرغ لعبادة الله تعالى . وعليه فإن هذه المفردة قد خرجت من معنى الانقطاع إلى عبادة الله والتقرب إليه .

- لقد غلط ابن جني كل الذين قالوا بالإتباع في جملة " هذا جحر ضب خرب" ورد قولهم حيث رأى أن في هذه الجملة توسع بقوم على حذف المضاف لا غير وأنه إذا حمل على محمل حشو الكلام من القرآن والشعر ساغ وسلس وشاع وقبل ، ووجهه على الأصل الذي يراه وهو : هذا جحر ضب خرب جحره فيجري خرب وصف على ضب وإن كان في الحقيقة للجحر .. فلما كان أصله كذلك حذف الجحر المضاف إلى الهاء ، وأقيمت الهاء مقامه فارتفعت لأنّ المضاف المحذوف كان مرفوعا . فلما ارتفعت استتر الضمير المرفوع في نفس " خرب"[4].

وبهذا يكون ابن جني قد خالف النحاة في نظرتهم إلى هذه الجملة فقد حاموا حول الحمل على الجوار أو الإتّباع . أما هو فقد قدر المحذوف ورده على ما يقع وصف عليه واستقام الحكم في نظره ، وتتبع الشواهد في القرآن الكريم . فوجدها تربو على ألف شاهد .

---

[1] الآية 8 سورة المزمل .

[2] الآية 52 من سورة آل عمران .

[3] الآية 18 من سورة النمل .

[4] الخصائص ج1/ص 191-192.

- ومن أوجه الاتساع عند ابن جني تغليب الفروع على الأصول فيما يسمى بالتشبيه المقلوب والغرض منه المبالغة من نحو قوله ذي الرمة

ورمل كأوراك العذارى قطعته *** إذا ألبسته المظلمات الحنادس

حيث جعل ذو الرمة الأصل فرعا والفرع أصلا حين شبه كثبان الرمل بأعجاز النساء فقلب بذلك ما جرى به العرف والعادة وهو تشبيه أعجاز النساء بكثبان الأنقاء . " فهذا من حملهم الأصل على الفرع فيما كان الفرع أفاده من الأصل"[1].

وهو التشبيه المقلوب عند علماء البيان وانتقل هذا الفهم لمعنى حمل الأصل على الفرع من دائرة البلاغة إلى دائرة النحو .

- ومن أبواب الاتساع عند ابن جني الاستغناء عن الشيء حتى يصبر المستغنى عنه مسقطا من كلامهم وغير متداول على الإطلاق ومن أمثلة ذلك استغناؤهم بترك عند ودع .. واستغناؤهم بلمحة عن ملمحه [2]. والمقصود أن المستغنى عنه ليس مسقطا فعلا أو مخطأ في اللغة وإنما لسكوت العرب عنه وقلة استعمالهم له أصبح ضرب من ضروب التوسع .

- من صور الاتساع عند ابن جني في الأفعال حمل الشيء على نقيضه كما يحمل على نظيره في قول الشاعر .

إذا رضيت علي بنوقشير لعمر الله أعجبني رضاها .

وهو يقصد بعلي عني ووجهه أنها إذا رضيت عنه أحببته وأقبلت عليه وكذلك استعمل " علي" بمعنى " عن".

كان أبو علي يستحسن قول الكسائي في هذا لأنها قال : لما كان رضيت ضد سخطت عدّى رضيت بعلى حملا للشيء على نقيضه كما يحمل على نظيره .

[1] المرجع السابق ج1/ص 300-303.
[2] نفسه ص 267.

فتتعدى رضيت بعلى حملا على النقيض وجه من أوجه التوسع عند ابن جني شأنه شأن الحمل مع النظير .

- الاتساع في الحمل على المعنى من أهم الأبواب التي عالجها ابن جني حيث استهل هذا الفصل بقوله: " اعلم أن هذا النوع غور من العربية بعيد ومذهب نازح " فسيح " قد ورد به القرآن وفصيح الكلام منثورا ومنظوما كتأنيث المذكر وتذكير المؤنث وتصور معنى الواحد في الجماعة والجماعة في الواحد وفي حمل الثاني على لفظ قد يكون عليه الأول"[1].

وهو ينقسم الاتساع في الحمل على المعنى الى :

- تذكير المؤنث وتأنيث المذكر ، فمن نحو تذكير المؤنث قوله تعالى : " فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي"[2] . يقصد هذا الشخص أو هذا المرئي وقوله أيضا : " فَمَن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ" [3]. لأن الموعظة والوعظ واحد .

فجاءه في هذا المقام تستدعي مذكر ولكن ألحقت بالمؤنث والأصل جاءته موعظة وإنما حصل ذلك لغرض التوسع في اللغة .

ومنه في الشعر

وإن امرءا غرّه منكن واحدة **** بعدي وبعدك في الدنيا لمغرور

فالأصل هنا غرّه واحدة ولما فصل بين الفعل والفاعل حذف علامة التأنيث وإن كان حقيقيا والأصل غرته منكن واحدة ولكن الاتساع يجيز حذف علامة التأنيث لدلالة المعنى عليها . ومنه قولهم حضر القاضي امرأة [4].

---

[1] الخصائص ج2 ص 411.

[2] الأنعام الآية 78.

[3] البقرة الآية 275.

[4] ينظر المرجع السابق ج2 ، ص 414/412.

وتذكير المؤنث واسع جدا لأنه رد فرع إلى أصل ، أما تأنيث المذكر فأذهب في التناكر والإغراب . وما جاء منه فقد حمله ابن جني على المعنى .

- أما تأنيث المذكر فقد حمله ابن جني على المعنى كما سبق الذكر كقول الشاعر

أيها الراكب المزجي مطيه سائل *** بني أسد ما هذه الصوت .

ذهب في تأنيث الصوت في قوله : ما هذه الصوت إلى معنى الاستغاثة[1] وحكى الأصمعي

(ت216 هـ) عن أبي عمرو أنه سمع ، بلا من أهل اليمن يقول : فلان لعوب جاءته كتابي فاحتقرها ! فقلت له : أتقول جاءته كتابي ! فقال نعم أليس بصحيفة ! قلت : فما اللغوب ؟ قال: الأحمق[2] فمادام اللغوب معناه الاحمق أنّث ما قبله في قوله جاءته وكذا في قوله جاءته كتابي فأنثه بناء على معنى الكتاب وهو الصحيفة ويحدث هذا لغرض التوسع في اللغة .

- استعمال الواحد في معنى الجماعة كقولهم : هو أحسن الفتيان وأجمله فأفرد الضمير في (أحسن) والأصل هنا يقول وأجملهم ولكنها جاءت على صورة الإفراد توسعا ومثله قول ذي الرمة.

ومية أحسن الثقلين وجها *** وسالفة و أحسنة قدالا .

فأفرد الضمير في " أحسنه" مع قدرته على جمعة " فأحسنهم" وقد تقدم في الأول لفظ الجمع في الثقلين فترك اللفظ وموجب الموضع إلى الإفراد لأنه مما يؤلف في هذا المكان[3] .

فورود أحسنة على وجه الإفراد لا يضر بالمعنى ولا يفسده وهو أمر مألوف لدى العرب شجاعة منهم في استعمال اللغة .

- استعمال الجماعة في معنى الواحد ومنه قول الفرزدق :

وإذا ذكرت أباك وأيامه أخزاك حيث تقبّل الأحجار

[1] المرجع السابق ج2 ص 417.
[2] نفسه ج2 416.
[3] الخصائص الجزء 2 ص 419.

يريد الحجر فإنه جعل كل ناحية حجرا ألا ترى أنك لو مسست كل ناحية منه لجاز أن تقول: مسست الحجر . وعليه شابت مفارقه وهو كثير العثانين وهذا عندي سبب إيقاع لفظ الجماعة على الواحد [1].

وهذا التحليل يردنا إلى برهان سيبويه الذي جعل سبب ذلك هو ائتلاف المفرد من أجزاء. ولذلك جاز لنا أن نخرج به من دائرة الإفراد إلى حيز الجماعة .

- الاتساع في المجاز لما فيه من الحذف والتشبيه والتوكيد ومنه قوله تعالى " وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا " [2].

ويكمن الاتساع هنا في أنه استعمل السؤال مع ما لا يصح في الحقيقة سؤاله والأصل هنا اسأل أهل القرية فحذف المضاف . وأما التشبيه فلأن القرية شبهت لمن يصح سؤاله لما كان بها ومؤلفا لها .

وأما التوكيد فلأنه في ظاهر اللفظ إحالة بالسؤال على من ليس من عادته الإجابة فكان أولاد يعقوب تضمنوا لأبيهم عليه السلام أنه إن سأل الجمادات والجبال أنبأته بصحة قولهم . وهذا تناه في تصحيح الخبر ... ويختم ابن جني حديثه عن الاتساع بوقله : وكيف تصرفت الحال فالاتساع فاش في جميع أجناس شجاعة العربية [3].

وهذا ما يؤكد أن الاتساع خاصية من خصائص العربية . وخلاصة القول أن الاتساع عند ابن جني وإن كان في معظمة يقوم على الحذف بكل ضروبه وأنواعه إلا أنه لم يغفل الجوانب الأخرى بهذا الاتساع من زيادة وتقديم وتأخير وتغليب وغير ذلك .

[1] المرجع السابق ج 2 ص 422.
[2] سورة يوسف الآية 82.
[3] ينظر الخصائص ج2 447.

كما صحح بعض المسائل التي أوردها بعض النحاة وعرها غالط وأدخلها في باب الشاء الذي لا يحمل عليه ولا يجوز غيره إليه من نحو قولهم " جحر ضب خرب".

كما نجد أن ابن جني قد استقصى أحوال الاتساع استقصاء غير مسبوق عند المتقدمين ولا عند المتأخرين . فقد نقب عن مجموعة واسعة من المسائل وجمعها في باب خاص سماه : شجاعة العربية : فصل وتحدث فيه عن الحذف والزيادة والتقديم والتأخير و مسائل عديدة أخرى .

مثل تتبع الحروف التي يتسع فيها فينوب بعضها عن بعض والشأن نفسه بالنسبة للأفعال والحمل على المعنى وقد التقت آراؤه بآراء سيبويه وابن السراج في هذا الصدد في كثير من معالجاتهم

المبحث الثاني : الاتساع عند المحدثين:

1 تمام حسان : يعد مؤلف اللغة العربية معناها ومبناها أهم مؤلف أحدث تغييرا في مجال الدراسات اللغوية حيث أنه غير طريقة دراسة اللغة بتقديمه لطرح جديد للتراث حيث ظهر هذا المؤلف سنة 1973 وأعيد طبعه سنة 1979 لما يحويه من أفكار تستتحق النظر والتحقيق إذ أنه أثار اهتمام جمهور الدارسين لما فيه من نقاط لم يسبقه

إليها أحد ودعا الباحث تمام حسان إلى مجموعة من الأفكار تندرج ضمن التوسع والتيسير في النحو يمكن حصرها فيمايلي:.

- تطرق تمام حسان إلى قضية المعنى التحليلي الوظيفي الذي درسه النحاة وجعلوه حقل تخصصهم في ثلاث شعب أو فروع فرع يعني بالدراسة الصوتية والثاني يهتم بالدراسة الصرفية أما الثالث فيعنى بدراسة النحو حيث نقد بشدة منهج النجاة القدماء في طريقه معالجتهم له من حيث تركيزهم وعنايتهم ووقوفهم عند حدود اللفظ وإهمالهم لجانب المعنى ، هذا الذي يعتبر الركيزة الأساسية في الدراسات اللغوية حيث أن لكل دراسة لغوية في أي لغة من لغات العالم موضوعها الأول والأخير هو المعنى وكيفية ارتباطه بأشكال التعبير المختلفة[1] . حيث يرى أن القدامى خرجوا عن دائرة المعقول في أية دراسة لغوية على المستوى العالمي بإهمالهم للمعنى وقلة تطرقهم له .
- أشار تمام إلى أن النحاة العرب قد درسوا لهجات عربية متعددة وحاولوا استخراج نظام نحوي موحد زد على ذلك أنهم درسوا هذه اللهجات في مراحل متعددة من نموها وتطورها لكن ما أعابه عليهم أنّهم لم يتفطنوا لضرورة الفصل بين مرحلة ومرحلة أخرى من تطور اللغة كما فعل أصحاب تاريخ الأدب بتطور التعبير اللغوي الجميل [2].ما جعله يخلص إلى أن هؤلاء النحاة خلت

[1] ينظر ؛ اللغة العربة معناها ومبناها تمام حسان عمر عالم الكتب ط5 1427هـ/2006م ص 15.

[2] ينظر ؛ المرجع نفسه ص14.

دراستهم النحوية من أساس نظري ترتكز وتبنى عليه آرائهم بحيث تعرض بطرق موضوعية تستقصي النماذج وتعززها بالنصوص من المصادر الأولى [1].

وخير دليل على ذلك قول ابن مالك عليه رحمة الله : " فيما أبيح افعل ودع ما لم يبح "[2].

ومرد كل هذا في نظره أن معالجتهم للعديد من اللهجات في أطوار مختلفة لفترة تزيد عن خمسة قرون دون التمييز بين مرحلة وأخرى جعلهم يكثرون من التخريج والتأويل والتحليل فيما خالف القواعد التي اصطلحوا عليها .

ويرى د/- تمام حسان أن هؤلاء النحاة لو استقرأوا نصوص اللغة بجميع لهجاتها في جميع مراحلها لكانت أكثر إصابة وأكثر اقترابا من المنهج الدراسي الصحيح . ولكانت أحكامهم النحوية أكثر إصابة .

- يرى تمام حسان أن أخذ النحاة من قبائل وإهمال الأخرى حيث وضعوا لأنفسهم معيارا خاصا للاختيار فلم يأخذوا عن حضري قط ولا عن سكان أطراف الجزيرة الذين كانوا يسكنون الضواحي وهذا ما عده الباحث موقفا تلفيقيا قام به النحاة حيث كان له أثره في المعنى النحوي والصرفي سواء كان ذلك متصلا بالرواية أو بالاستشهاد أم بالسماع أم بالقياس أم بالتمرينات التي تأخذ صورة تراكيب لم تسمع عند العرب . أو بموقفهم من الصحة والخطأ[3] . فهو يرى أن أخذهم عن البعض دون الآخر يفقد الأحكام النحوية قوتها فقد نجد ما يفندها عن القبائل المتروك الأخذ عنها .
- ولما أولى النحاة عناية كبيرة بالجانب التحليلي للتركيب أكثر من الجانب التركيبي نفسه ، وقعوا في هفوات وأخطاء منهجية على حد تعبير تمام حسان وقد كان من أخطرها في رأيه أنهم درسوا الزمن النحوي في الجملة الخبرية البسيطة فترسخت قواعد الزمن الماضي ماض ، والحاضر

[1] د. خليل عمايرة ؛ في نحو اللغة وتراكيبها منهج تطبيق عالم المعرفة للنشر والتوزيع جدة ط1 1404 هـ /1984 ص 29.
[2] الفية ابن مالك (محمد بن عبد الله بن مالك) ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان 1405 هـ 1985م ص 25.
[3] ينظر ؛ الاتساع اللغوي القديم والحديث .

حال أو استقبال ، حتى إذا أرادوا النظر في أساليب الإنشاء نسبوا الزمن فيه إلى الأدوات وهي براء وإلى الظروف وهي تفيد معجميا لا وظيفيا[1] .

وهو يقصد بذلك أنهم لم يعطوا عناية كافية للجانب الآخر من دراسة النحو وهو الجانب الذي يشتمل على طائفة من المعاني التركيبية والمباني التي تدل عليها فمن ذلك مثلا الإسناد باعتباره وظيفة ثم باعتباره علاقة ثم تفصيل القول في تقسيمه إلى إسناد خبري وإسناد إنشائي وتقسيم الخبري إلى مثبت ومنفي ومؤكد ، والتقسيم الإنشائي إلى طلبي وغير طلبي ... إلخ . مما يتصل بتحديد التركيب المناسب لكل إسناد من حيث الأداة والرتبة والصيغة والعلاقة .

- يتفق الدكتور تمام حسان مع الأستاذ ابراهيم مصطفى في فكرة مفادها أن قضية الإعراب تعتمد على ما وراء الألفاظ من معان ودلالات .

حيث يرى أن الإعراب يتوقف على وظائف الأصوات ووظائف القرائن ونظام العلاقات في قوله : " وللتعليق وسائله المختلفة معنوية كانت كعلاقات الإسناد ذاته وكالتخصيص والنسبة والتبعية أو لفظية للتعبير شكليا عن هذه العلاقات كالعلامة الإعرابية والربط والمطابقة والصيغة والرتبة والأداة والنغمة وذلك مع تحديد مجالات المطابقة في العلامة الإعرابية والنوع والعدد والشخص والتعيين"[2].

هذا ويضيف أن الفصل في الذهن بين كل ذلك لا يكون إلا لأغراض التحليل اللغوي .

- أعاب تمام حسان على النحاة إكثارهم الحديث عن العامل بوصفه تفسيرا للعلاقات النحوية أو بوصفة مناط التعليق . تم بناؤهم عليه فكرتي التقدير والمحل الإعرابي وإكثارهم من تأليف الكتب في العوامل .

[1] ينظر ألفية ابن مالك المرجع السابق ص15.

[2] اللغة العربية معناها ومبناها ، ص16.

وهو بهذا يضيف فكرته لنفس ما جاء به دا شوقي ضيف والأستاذ ابراهيم مصطفى في أنهم حملوا على نظرية العامل وعدوها مسؤولة عن عدم العناية بمعاني الكلام الأمر الذي بعثر النحو ومزق أوصاله[1] .

والملاحظ أن الدكتور تمام حسان يهتم بموقف المعنى حيث يرى أن كل كلمة في الجملة تتظافر أو يتناسق بعضها ببعض حيث نجد أن الجملة في تصوره عبارة عن منظمة من الأجهزة والمقصود بالأجهزة الوظائف التي ترتبط بالكلمات المستخدمة في الجملة .

فالفعل والفاعل والمفعول مثلا يرتبط بعضها ببعض في الجملة لتكون معنى واحد فلا داعي للحديث عن كون واحد من العناصر عاملا في الآخر ، وقد قسم الأستاذ تمام في مبحثه عن القرائن النحوية المتظافرة إلى القرائن النحوية اللفظية والقرائن النحوية المعنوية وذلك في قوله : إن القرائن تتظافر بمختلف أنواعها وتؤدي المعنى المقصود من كل أسلوب ، وإنها بذلك تغني عن نظرية العامل عند النحاة ".

أما عن دور الحركة الإعرابية فما هي إلا إحدى هذه القرائن وقد تتخلف ويحل محلها القرائن الأخرى . وهذا يعني أن تمام حسان لم يلغ حركة الإعراب ولكنه قلل من دورها .

- نقد تمام حسان منهج ابن مضاء حيث عده من النحاة الذين أكثروا الكلام عن العامل باعتباره تفسيرا للعلاقات النحوية و بعبارة أخرى باعتباره مناط التعليق وجعلوه تفسيرا لاختلاف العلامات الإعرابية وبنوا على القول به فكرتي التقدير والمحل الإعرابي وألفوا الكثير من الكتب في العوامل سواء ما كان منها لفظيا أو معنويا .

و عالج ابن مضاء هذا الفهم لطبيعة العلاقات السياقية بالنقد والتنفيذ والتجريح ولكنه بعد أن أبان فسادها بالحجج المنطقية لم يأت بتفسير مقبول لاختلاف العلامات الإعرابية باختلاف المعاني النحوية . ولم يقم مقام العامل فهما آخر لهذه العلاقات غير قوله إن العامل هو المتكلم

[1] الاتساع اللغوي بين القديم والحديث ، ص103.

فيجعل اللغة بذلك أمرا فرديا يتوقف على اختيار المتكلم ونفى عنها الطابع العرفي الاجتماعي الذي هو أخص خصائصها[1] .و في الحقيقة هذا ما تجده عند عامة المحدثين فهم دائما ينتقدون ما جاء به القدامى و لكنهم لا يأتون بالمبررات المنطقية لبرهنة صحة أقوالهم

" كما نقد منهج ابراهيم مصطفى في تفسير العلامات الإعرابية حين رأى الضمة على الإسناد ، والكسرة علم الإضافة ، والفتحة علم الخفة[2] .

والضمة والكسرة والفتحة بوصفها علاقات إعرابية ليست أكثر من واحدة من القرائن التي يتوقف عليها فهم الإعراب الصحيح ".

أما ما جاء به الإمام عبد القاهر الجرجاني (ت 471 هـ- 1087 م) من تفسير العلاقات السياقية فقد عدّها تمام حسّان بأنّها من أذكى المحاولات في تاريخ التراث العربي التي أوردها تحت عنوان النظم وفسر جوانبها بأربعة مصطلحات هي : النظم – البناء – الترتيب والتعليق [3].

وهذه المصطلحات تتكامل في إلقاء الضوء على العلاقات السياقية . واعتبر د/ تمام حسان جانب التعليق من أخطر ما تحدث عنه الجرجاني ، لأنّه يعني إنشاء العلاقات بين المعاني النحوية بواسطة القرائن اللفظية والمعنوية والحالية . وأن فهم التعليق على وجه كاف للقضاء على خرافة العامل النحوي والعلامات النحوية . ومعنى ذلك أن فهم المعاني والعلاقات القائمة بينهما يغنينا عن الاعتماد على الحركات الإعرابية ويقلل من فوبيا نظرية العامل في التخريجات النحوية .

- من القضايا التي لا جدال فيها حسب رأي دا تمام حسان صعوبة النحو وهو ارتباطه بطابع الصناعة وخلوه من المضمون . والباحثون في العربية أقدر من غيرهم على تشخيص هذه

[1] اللغة العربية معناها ومبناها ، ص185.

[2] الاتساع اللغوي بين القديم والحديث ص 103.

[3] عبد القاهر الجرجاني ؛ دلائل الإعجاز ، صححه الشيخ محمد عبده ، والشيخ محمد محمود الشنقيطي ، دار المعرفة بيروت 1398 هـ /1978م ص 43-44.

الصعوبة . وأن المزج بين معطيات علم النحو ومعطيات علم المعاني يعني دراسة النحو العربي دراسة تعنى بالتراكيب وتعنى بالتحليل . وتحتفي بمعاني الجمل كما تحتفي بمعاني الأبواب الفرعية التي في داخل الجمل .

وهذا ما يجعل علم النحو يقدم لا على أنه علم الإعراب على أهميته بل أنه علم التراكيب والأسلوب وتمتزج فيه مسائل تقديم المبتدأ أو الخبر أو الفاعل أو غيرها بمسائل علم المعاني بما فيها من جمال الأداء ودقة التعبير[1] .

ومعنى ذلك أن هذا الخروج من الإطار النحوي إلى إشكالية العناية بالتراكيب يجعل المسائل تكتسي الكثير من الصعوبة التي نحن في غنى عنها .

وخلاصة القول أن تمام حسان كان ضليعا بدقائق هذا العلم وسبر أهم نقاط قوته ونقاط ضعفه مقتديا في ذلك بمنهج عبد القاهر الجرجاني والدراسات اللغوية المعاصرة إلا أنه على الرغم من كل هذا لم يقدم ما قصّر غيره عن القيام به ولم يقدم لطلبة العلم مشروعا ييسر ويبسط فيه النحو وتمتزج فيه معطيات علم الإعراب بمعطيات علم المعاني .

2/2- الاتساع عند الأستاذ ابراهيم مصطفى .

تعد محاولات الأستاذ ابراهيم مصطفى من أجرأ الأصوات حيث تجسد ذلك في كتابه القيم

" إحياء النحو" الذي أصدره عام 1937 م وكان بحق قفزة في المنظور النحوي الصادق في دعوته إلى التجديد و طموحه إلى التيسير في مجالات محددة . حاول من خلالها نفض الغبار عن التراث العربي في النحو وإعادة الأصالة إليه في كشف علل الإعراب وفلسفة العامل ونقد والمذهب النحوي في العامل .

وفيما يلي نستعرض أهم الآراء التي جاء بها ابراهيم مصطفى في قضية الاتساع وتيسير النحو

[1] ينظر ؛ اللغة العربية معناها ومبناها ص186.
وينظر ؛ الاتساع اللغوي بين القديم والحديث ، ص104.

- من المعروف أن القدماء عرّفوا النحو على أنه " علم يعرف به أواخر الكلم إعراب وبناء" إلا أن الأستاذ ابراهيم مصطفى يرى أنهم قصروا بحثهم في النحو على الحرف الأخير من الكلمة أو على خاصية من خواصه وهي الإعراب والبناء . وأنهم لم يولوا هذا البناء ما يستحقه من البحث في أحكامه بل وقفوا عند حدود بيان أسبابه وعلله [1].

مما نتج عنه عدم السماع للدراسين بالاطلاع وسير أغوار الكثير من أسرار اللغة العربية وأساليبها المتنوعة وكذا مقدرتها في التعبير بالإضافة إلى أنهم اهتموا باللفظ من غير مراعاة جانب المعنى .

أما عنه فهو يرى أن الأجدر أن تدرس أحكام نظم الكلام وأسرار تأليفه من نحو طرق الإثبات ، والنفي والتأكيد ، والتقديم ، والتأخير تدرس على شكل أساليب لتعرف خصائصه وتميز أساليبه ، لا أن يدرس مفرقا في أبواب مختلفة[2].

- الإعراب عند النحاة أثر للعامل ، والعامل عندهم لفظي ومعنوي وعرفوا اللفظي بأنّه ما يكون للسان في نطقه حظ ، واللفظي إما ظاهر أو مقدر ، وعرفوا المعنوي بأنه[3] ما لا يكون للسان في نطقه حظ .

ووضعوا للعاملين (اللفظي والمعنوي) أسسا وقواعد وأسبغوا عليها ألوانا من القوة وصنوفا من المزايا تجعلهما يتحكمان بغير حق في المتكلم ويفسدان عليه تفكيره ويعوقانه من الأداء.

وقد نقد الأستاذ ابراهيم مصطفى الأوائل في نظرية العامل الذي يراد به تسوية صناعة الإعراب. حيث يرى أن النحاة بهذا التقدير قد أضاعوا حكم النحو بكثرة احتماله لأنواع الإعراب وتكثير أوجه الكلام هذا كله جاء بعد عرضه لأصول نظرية العامل وما أدت إليه في التطبيق على الدرس النحوي وخلص إلى أن أكبر ما يوجه لنظرية العامل من نقد أنهم جعلوا الإعراب حكما

[1] ينظر ؛ الإحياء النحو إبراهيم مصطفى مصر ط /2 1413/1992هـ ص1.
[2] نفسه ص 2.

لفظيا خالصا يتبع لفظ العامل وأثره. ولم يروا في علاماته إشارة إلى معنى ولا أثرا في تصوير المفهوم[1].

لذلك راح يبحث عن معاني العلامات الإعرابية وأثرها في تصوير المعنى فلا يهمه البحث عن العامل الذي أحدث الحركة ولكن يهمه المعنى الذي تشير إليه الحركة.

وخلص ابراهيم مصطفى بعد دراسته للعلاقة بين المعنى والعلامة الإعرابية إلى قوله " فأما الضمة فإنها علم الإسناد أو دليل أن الكلمة المرفوعة يراد أن يسند إليها ويتحدث عنها. وأما الكسرة فإنها علم الإضافة أو الإشارة إلى ارتباط الكلمة بما قبلها سواء كان هذا الارتباط بأداة أو بغير أداة كما في (كتاب محمد) و (وكتاب لمحمد) ولا تخرج الضمة ولا الكسرة عن الدلالة على ما أشرنا إليه . إلا أن يكون ذلك في بناء أو في نوع من الاتباع أمّا الفتحة فليست علامة إعراب ولا دالة على شيء بل هي الحركة الخفيفة المستحبة عند العرب التي تنتهي بها الكلمة كلما أمكن ذلك فهي بمثابة السكون في اللغة العامة "[2].

وقد استهدى بما أصل إليه بقول قطرب (محمد ابن المستنير 206 هـ ./821م) إنما أعربت العرب لكلامها في حالة الوقف يلزمه السكون فجعلوه في الوصل محركا حتى لا يبطئوا في الإدراج وعاقبوا بين الحركة والسكون، وجعلوا لكل واحد أليق الأحوال به.

ولم يلزموا حركة واحدة لأنهم أرادوا الاتساع فلم يضيقوا على أنفسهم وعلى المتكلم بخطر الحركات إلا حركة واحدة[3] .

وتكمن خطورة هذا الرأي إذا عمل به إلى إبطال الإعراب وإلى شيوع اللحن والعامية وكذا إلى التوسع الذي يقود إلى الفوضى في حركة آخر الكلام .

---

[1] ينظر ؛ المرجع السابق ص 41.

[2] ينظر ؛ نفسه ص50.

[3] ، الأشباه والنظائر في النحو ، جلال الدين السيوطي دار الحديث للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت لبنان ، ط3، ج1، ص79.

ثم رأي أبي اسحاق الزجاجي (ت 311 هـ) أن العامل في المبتدأ ما في نفس المتكلم من إرادة الإخبار عنه [1].

ثم رأي أبي القاسم الزجاجي (ت 337 هـ) الذي يذهب إلى أن الأسماء لما كانت تعتريها المعاني وتكون فاعلة ومفعولة ومضافة جعلت الحركات الإعرابية تنبئ عن تلك المعاني وتدل عليها لأنّه لا في صور الأسماء ولا في أبنيتها ما يدل على إعرابها وكان في هذا متسع لهم في تقديم البنى وتأخيرها[2] .

وأهم ما يلاحظ أن جملة ما جاء به الدكتور ابراهيم مصطفى تداخلت فيه نظرتان : نظرته إلى الحركات ونظرته إلى العامل فيها ويرى الباحثون أنه كان يجدر به أن يلغي هذا التداخل الذي نتج حسب رأيهم عن سرعته في عرض آرائه وكذا تحمسه الشديد حيث أنه أفرد مكانا للبحث في العامل في موضوع أصل الإعراب .

وفيما يلي نستعرض أهم النقاط التي جاء بها صاحب الإحياء ليبين صدق نظريته .

أ- إذا كانت الضمة عند صاحب الإحياء علم الإسناد وأن موضعها المسند إليه فإنه يرى أن ما ينضوي تحت هذا المسند إليه يجب أن تكون في باب واحد . لاتفاقها في كثير من الأحكام .

ب- المنادى المضموم : يقول ابراهيم مصطفى فأما المنادى فليس بمسند إليه ، ولا بمضاف فحقه النصب على الأصل الذي قررنا[3] .

وانتهى صاحب الإحياء الى قوله : إنه إذا أريد بالمنادى المنون معيّن حرم التوين الذي هو علامة التنكير ومتى حرّم التنوين ضم آخره فرارا من شبهة الإضافة إلى ضمير المتكلم . وهي حسبه قاعدة تنم على روح العربية . ووجه ابانتها في المعاني واحتياطها لبعض اللبس .

---

[1] ينظر ؛ معاني النحو فاضل صلاح السامرائي جامعة بغداد مطبعة التعليم العالي بالموصل ط1 1989 .ج1/ص24/ص25

[2] ينظر ؛ الإيضاح في علم النحو الزجاجي تحقيق مازن مبارك مطبعة المدني مصر 1378هـ 1985م، ص69.

[3] إحياء النحو ، ص61.

ج- الكسرة علم الإضافة وموضعها هو المضاف إليه حسب صاحب الإحياء وأن بابها من أكثر أبواب العربية شيوعا في الكلام . وهي مسؤولة عن بيان الفاعل من المفعول وكذا الزمان من المكان .

نحو خلق الله (فاعل) أو خلق السماوات (بيان المفعول به). أو بيان المكان نحو (ظباء وجدة) أو بيان الزمان من نحو (مكسو الليل)[1].

ويضيف ابراهيم مصطفى أن الإضافة في الكلام واسعة الاستعمال فأكثر الأبواب النحوية دورانا على الألسن ، ثم يبين أنماط الإضافة فأنهم يضيفون الأدنى ملابسة ومن الأسماء ما لا يكون إلا مضافا وحروف الجر أو الإضافة واسعة الاستعمال أكسبت اللغة المرونة والقدرة في التصوير ، وإن النحاة أهملوا بيان فائدتها في تصوير المعاني وتصرف العرب فيها وبهذا فإنه ينهي مبحث الكسرة علم الإضافة .

د- وفي ميدان الكلمات المبنية على السكون فليس هو الأصل وإذا ما سكن العرب أواخر الكلمات فلأنهم لم يكن لهم من التحريك غرض ، في حين أن الإمام الزمخشري (ت 538 هـ/1143م) يرى أن البناء على السكون هو القياس[2] .

ولقد حاج صاحب الإحياء النحاة فأكثر حجاجهم وعلق على قول الزمخشري بأن الأصل أي الراجح والمصطحب لا الغالب . إذ ليس أغلب المبنيات ساكنا .

داعيا الباحثين في مجال تيسير النحو حين يؤلفون الكتب أن يلتفتوا إلى المعاني التي تشير إليها الحركات. وأن يدلوا عليها، وضرب مثالا على ذلك فعل الأمر المبني على السكون . بأن السكون في آخره تدل على القوة والبث في الموضوع والتشدد في الطلب[1].

---

[1] ينظر ؛ المرجع السابق ص75.

[2] ينظر؛ شرح المفصل يعيش بن علي بن يعيش موفق الدين إدارة الطباعة المنيرية 2008ج2-ص 83 ، وينظر حاشية الصبان أبو العرفان محمد بن علي الصبان الشافعي دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط1 1417هـ/1997م ج1 ص94 والإحياء ص104.

هـ-وفي مجال العلاقات الفرعية للإعراب نقد صاحب الإحياء النحاة القدامى قولهم بالعلامات الفرعية التي جعلوها نائبة عن العلامات الأصلية في الأسماء الخمسة وجمع المذكر السالم والممنوع من الصرف .

وفيما يلي استعراض لأهم الآراء والنقاط التي جاء بها في هذا الخصوص

- **الأسماء الخمسة .**

يبطل ابراهيم مصطفى الإنابة التي قال بها النحاة ويرى أن هذه الأسماء معربة بالحركات ، فالضمة للإسناد والكسرة للإضافة والفتحة في غير هذين غير أن الذي حدث فيها هو مد هذه الحركات حتى نشأت عنها مجانستها المدّية وهي الواو والياء والألف [2].

ويرى أن سبب هذا المكون هذه الكلمات ذات وضع خاص فقد بني بعضها على حرف واحد (ذو ، فو) والبقية بقيت على حرفين الأول منها حلقي (أبو ، أخو، حمو) وطبيعتة الصوتية ضعيفة في النطق قليلة في الظهور كما أن طبيعة العرب أن تستروح بنطق الثلاثي[3] .

ويؤنسنا برأيه هذا أنه عندما تنون هذه الكلمات أو توصل (بال) فتعرب بالحركات مثل أب – أخ و الأب – الأخ ووجود الألف واللام والتنوين أغنى عن مد الحركة .

ويرى أن سبب اضطراب النحاة في نحو (لا أبا لك) وهو غير مضاف وليس فيه (ال) ناشئ من أنهم لا يرون إعراب الأسماء الخمسة بالحروف إلا حين تكون مضافة منتميا في كل هذا إلى مذهب المازني (ت 247 هـ)[4].

2/2/2- هـ /2 – جمع المذكر السالم .

---

[1] ينظر ؛ المرجع السابق ص 107

[2] ينظر إحياء النحو ص 108-109.

[3] نفسه ص 109.

[4] ينظر المرجع السابق ص 112.

وأمر الواو و الباء والألف فيه أمرها في الأسماء الخمسة ويرى بأن أمره أهون ، وأغفل الفتح لأنّه ليس بإعراب فلم يقصد أن يجعل له علاقة خاصة ونظيره جمع المؤنث السالم إذ اكتفى بالضمة والكسرة وأغلقت الفتحة مماثلة للجمعية مع جمع المذكر السالم .

- **الممنوع من الصرف :**

يقول صاحب الإحياء أن الفتحة لم تنب عن الكسرة وإنما الذي كان أن هذا الاسم لما حرم التنوين أشبه في حال الكسر المضاف إلى ياء المتكلم إذ حذفت ياؤه وحذفها كثير جدا في لغة العرب[1] .

حتى إذا آمنوا هذا الالتباس رجعوا إلى حالته الأولى وذلك عند التفريق بـ (ال) أو بالإضافة أو عند التفريق لسبب ما .

غير أن بعض النحاة مثل الأخفش (سعيد بن مسعدة ت 215 هـ - 830 م) والزجاج (ابراهيم بن السري بن سهل ت 311 هـ - 923م) والمبرد(محمد بن يزيد ت 285هـ - 818 م) رأوا أن غير المنصرف في حال الجر مبني على الفتح لخفته وليكون كالفعل المشابه في التعري من الجر[2] . وقد أيد صاحب الإحياء هذا الرأي .

- وفي مجال التوابع (النعت والعطف والبدل وعطف البيان وعطف النسق والإتباع على المجاورة) .

وخلص صاحب الإحياء بعد مناقشته لعنصر الإتباع في العطف إلى أنه ليس في العطف إتباع ولكنه كما قال سيبويه : " تشريك" .

ويرى أن الذي حمل النحاة على أن يجعلوا للعطف بابا خاصا هو فلسفتهم في العامل أما سائر التوابع بعد العطف فهي في نظره نوعان يختلفان في أداء المعنى وفي حكم اللفظ .

---

[1] ينظر الإحياء ص 109.

[2] ينظر الإحياء ص 115-116- وينظر الاتساع بين القديم والحديث ص96.

أما الأول : تكون فيه الكلمة الثانية من الأولى بمنزلة المكمل للمعنى والمتمم له ، ولا يفهم المعنى إلا بهما معا من نحو استشر عاقلا نصيحا (فعاقلا نصيحا) نعت والنعت والمنعوت كالاسم الواحد[1] .

وأما الثاني : فيشمل البدل التوكيد والعطف وتقف فيه الكلمتان في الإعراب من حيث كان مدلول الأولى مدلول الثانية ، والحكم على إحداهما بأنه متحدث عنه أو مضاف إليه حكم على الأخرى ، واتفاق المدلول فيهما لا يلزم أن يتفق اللفظان في التعريف ، والتنكير وقد يغلب أن يكون الثاني أعرف من سابقه أو مثله في التعريف وربما أقل منه تعريفا إذا كان قرنه إليه وإتلاؤه له يزيد السابق بيانا [2].

ومما يمكن أن نخلص إليه أن محاولات الأستاذ ابراهيم مصطفى قائمة على نقد النحو القديم وبناء نحو جديد يتخفف من كل التخريجات والآراء المتتبعة ولكنه ظل وفيا للقديم ملتصقا به ولم يستطع التخلص منه وهو بعمله هذا قدم نموذجا أو بالأحرى مشروعا للنحو قصد فيه تهذيب هذا النحو الذي صعب و استعصى فهمه على طلبه العلم المتخصصين ، ودعا إلى الخلاص من العامل ونبذ العلل النحوية .

وعلى كل فإن ابراهيم مصطفى ليس الوحيد الذي ظل رهينة للنحو القديم إذ أن الملاحظ أن جل النحاة الذين سبروا أغوار النحو ودرسوا قواعده ودعوا إلى تجديده وتيسيره وكذا التوسع في فهم قضياه قد كبلتهم قيود الأصوليين فما خرجوا عنها وما اسطاعوا أن يأتوا لها بالبديل .

3/2 الاتساع اللغوي عند دا شوقي ضيف :

يعتبر الدكتور شوقي ضيف من بين أبرز الدارسين المحدثين الذين بذلوا مجهودات واضحة في العمل على تيسير النحو وتجديده منذ 1947 حيث قام بتحقيق كتاب " الرد على النحاة"

[1] الكتاب ج1/ص422.
[2] الإحياء ص 121.

لصاحبه ابن مضاء القرطبي حيث قدم في شأنه مدخلا طويلا حوى دراسة لمضمون الكتاب اشتملت على مجموعة لا بأس بها من الاقتراحات دعا فيها إلى تيسير النحو التعليمي وفي سنة 1971 قدم مجموعة من الرأى والاقتراحات لمجمع اللغة العربية دعمها بكتاب " تجديد النحو" جعل منه تطبيقا علميا لما سبقه من المحاولات يقول فيه : " رأيت من واجبي أن أضع كتابا تطبيقيا أصور فيه كيف يصاغ النحو صياغة مبسطة تذلل قواعده للناشئة وترفع عنها كل ما يبهظها من صعوباته وتعقيداته العسرة".

وقد اقترح في مشروعه هذا تصنيفا جديدا للنحو بذلل فيه صعوباته حيث أعرب عن مجموعة من الأسس يمكن ايجازها في النقاط التالية :

- **إلغاء نظرية العامل** :

هاجم دا شوقي ضيق نظرية العامل هجوما شرسا ودعا إلى الانصراف عنها وعما يتصل بها من عوامل قوية وضعيفة مؤيدا بذلك العلامة ابن مضاد القرطبي في آرائه بهذا الخصوص ويفسر موقفه هذا بقوله " أليست فكرة العامل تجعلنا نفكر في محذوفات ومضمرات لم يقصد إليها العرب حين نطقوا بكلامهم موجزا ، ولو أنهم فكروا فيها لنطقوا بها ولخرج كلامهم من باب الإيجاز إلى باب الإطناب ، وانكفت منه مسحة الاقتصاد البليغ في التعبير"[1].

فالمعروف عند العرب توخي الاختصار والايجاز في كلامهم ونظرية العامل تجعل المتلقي يفكر في تخريجات تجعل الكلام مثقلا بما هم في غنى و يعزي رفضة لنظرية العامل إلى ثلاثة أسباب يؤيد فيها ابن مضاد القرطبي هي :

1)قسم حذف لعلم المخاطب بها:مثال على ذلك قوله عز وجل : " وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۚ قَالُوا خَيْرًا" والمقصود " أنزل خيرا".

[1] ينظر ؛ شوقي ضيف الرد على النحاة ابن مضاء القرطبي تحقيق شوقي ضيف دار الفكر العربي القاهرة ط1 1366هـ 1947م ، ص26.

2)قسم حذف والكلام لا يفتقر إليه نحو : أزيدا ضربته ؟

فالنحاة يرون أنّ نصب (زيدا) يعزى إلى عامل محذوف يفسره الفعل المذكور ، وهذا مرفوض بالنسبة لهما (ابن مضاد – شوقي ضيف) لأنه تخريج لا يمكن أن يكون المتكلم قد قصد إليه ويرد الأسباب التي دعت النحاة إلى اعتماد ذلك إلى قاعدتهم التي وضعوها في باب العامل .

3)وقسم ثالث يحمل فيه على تقدير النحاة لعوامل محذوفة في عبارات لو أنها أظهرت لتغير مدلول الكلام .

ومثال على ذلك تقديمهم في باب المنادى[1] .

يا عبد الله ← مفعول به لفعل محذوف تقديره (أدعو).

والبين أننا لو اعتمدنا هذا التخريج وقلنا أدعو عبد الله لتغير معنى الكلام ومدلوله وزاح عن رواق الإنشاء وأصبح خبرا .

- **إعادة تنسيق أبواب النحو[2] :**

لقد قام شوقي ضيف بإعادة تنسيق أبواب النحو حيث أنّه استغنى عن بعضها ورد الآخر إلى أبواب أخرى ليخلص إلى تقسيم كتاب " تجديد النحو" إلى ستة أقسام تضم ثلة لا بأس بها من المباحث تصدرها مبحث صوتي في نطق الكلمة استقاه من علم التجويد تليه مباحث صرفية تناول فيها أبينة الفعل وأقسامه وتصاريفه وأنواع الحروف وأقسام الاسم المتنوعة ليقفز بعده إلى المباحث النحوية فتحدث علن المرفوعات كركني الجملة الإسمية (المبتدأ والخبر) ثم إن وأخواتها ولا النافية للجنس والفاعل ونائبه لينتقل بعده إلى ساحة المنصوبات فتحدث عن المفعولات والاستثناء والحال والتمييز والنداء على التوالي تم صيغ الفعل ثم العدد ثم الممنوع من الصرف ، ثم عمل

[1] ينظر ، المرجع نفسه ، ص26.

[2] ينظر ؛ تجديد النحو د/- شوقي ضيف دار المعارف القاهرة ط 6 1980 ص 32/11 / وتسير النحوالتعليمي أحمد شوقي ضيف ط1 1993 ص 49-53 (بتصرف).

المصادر والمشتقات ثم حروف الزيادة ثم انتقل بعد ذلك إلى الإضافات كالذكر والحذف والتقديم والتأخير وأنواع الجمل ليكتفي بما سبق ذكره في مباحث النحو ويلغي منها ثمانية عشر بابا مثل باب كان وأخواتها ، وباب ما ولا ولات العاملات عمل ليس وباب كاد وأخواتها وظن وأخواتها .وكذا أعلم وأخواتها وباب التنازع وباب الاشتغال وباب الصفة المشبهة وباب اسم التفضيل وباب التعجب وباب المدح والذم وباب كنايات العدد وباب الاختصاص وباب التحذير وباب الإغراء وباب الترخيم وباب الندبة وباب الاستغاثة .

والقول بأنه ألغى هذه الأبواب لا يعني أبدا أنه أخرجها وأمثلتها من كتب النحو وإنما أدمجها في أبواب أخرى رآها أولى بها .

حيث ضم أبواب (كان وكاد وظن وأعلم) الى باب المفعول به على اعتبار أنها أفعال تامة ، و مرفوعها فاعل ومنصوبها حال أو مفعول وفقا لنوع الفعل .

إلغاء الإعرابين التقديري والمحلي في الجمل والمفردات المقصورة والمنقوصة والمبنية:

دعا الباحث إلى منع التأويل والتقدير في الصيغ والعبارات على أساس من رأي ابن مضاء وأن منع التأويل ضرورة من ضرورات فهم الأساليب العربية فهما دقيقا . وعليه فإننا نجده يرتب أبواب الإلغاء في ثلاث نقاط يرى أنها تغنينا من ثلاثة أشياء هي [1]:

1)تقدير الفاعل المضمر الذي يقره النحاة جوازا ووجوبا لأنّه يرى أن الإضمار مجرد وهم لا يسمن ولا يغني من جوع . إذ أنه ليس من الضروري أن يكون لكل فعل فاعل حيث أننا نجد في أمثلة اللغة العربية أمثلة توفر فيها الفعل والفاعل وأمثلة يتوفر فيها الفعل ويحذف الفاعل لأنّه يدل عليه بنفسه ، وصحة هذه الفكرة تتبدى في نظره في أبواب التعجب في مثل ما أحسن السماء !

[1] المرجع السابق ، نفسه .

حيث يرى دا شوقي ضيف أن المسند إليه في الواقع هو السماء و عليه فإنّه لا يمكن تصور هذا الفاعل المضمر والتقدير هنا حسن السماء : وإعرابها على التقدير المتبنى من ابن مضاء على النحو التالي : أحسن : فعل ماض .

السماء : مفعول به .

ولا دعي هنا لذكر الفاعل ما دام لم يرد في الجملة [1]. وكذلك القول في أفعال الاستثناء : خلا – عدا – حاشا ففاعلها محذوف ولا فائدة من التحدث عنه على حد قول شوقي ضيف[2] .

2/- إلغاء تقدير متعلق الجار والمجرور فهما اللذان يشغلان الوظيفة النحوية ولا يتعلقان بمحذوف فنقول زيد عندك : خبر ولا نقول بأنه متعلق بمحذوف خبر . وفي ذلك توسع و تسهيل على المتلقي بجنبه صعوبة التأويل الذي لا ضرورة له[3] .

أما بخصوص الفعل المنصوب قد ألغى عمل (أن) المصدرية المقدرة مؤيد في ذلك آراء ابن مضاء في هذا الشأن حيث يرى د ا شوقي ضيف أنه يمكننا الاكتفاء بالقول أن هذا الفعل منصوب فقط من دون تقدير أن الناصبة و في ذلك اتساع أيضا.

هذا وما يصدر في حق الفعل المضارع بصدر في باب الاشتغال، والإغراء والتحذير، والمصادر المنصوبة والمنادى المضاف فهذه كلها منصوبة من غير تقدير عامل ما في نصبها[4].

3/- إلغاء العلامات الفرعية في الإعراب، وهذا يعني أن كل علامة أصلية في موضعها ولا تنوب علامة عن علامة.

[1] ينظر ، الرد على النحاة ص 57-58.

[2] ينظر؛ المرجع نفسه ص 58 نقلا عن الاتساع بين القديم والحديث ، ص 100.

[3] نفسه .

[4] نفسه ص 59.

فهو يرى أن في المفردات المقصورة والمنقوصة والمبنية فالأجدر أن نلغي التأويل فيها عن أن تقع مبتدأ أو خبر أو فاعل أو مفعول. وتكتفي ببيان وظيفة الاسم المبني فنقول عنه: إنه مبتدأ أو فاعل فقط.

من غير أن نقول أنه مرفوع بضمة مقدرة على الألف منع من ظهورها مانع كالثقل أو التعذر أو نقول مبتدأ مبني على الفتح في محل رفع في إعرابنا لمثال هو محمد.

وهذا ما يجعلنا نخلص إلى نتيجة مفادها أن المبنيات لا تعدل لأنّها لا تخضع لنظرية الإعراب . بل إنها تلزم حالة واحدة في شكل آخرها [1].

حتى أننا لسنا مجبرين على إعراب هذه المفردات دون الحاجة إلى إعرابها فاكتفاؤنا بإعراب

(إذا) : أداة شرط دخلت على فعلين أجدر من قولنا إذا : ظرف لما يستقبل من الزمان خافض شرطه ، منصوب بجوابه[2] ...

والملاحظ هنا أن توخي الاختصار والإيجاز ، أبلغ من الإكثار والإطناب في نظره .

- **الإعراب لصحة النطق** :

يرى شوقي ضيف أن الإعراب إذا لم يصحح نطقا فلا فائدة منه فهو بذلك وسيلة لصحة النطق وأن الأصل أنه ليس غاية في ذاته وترتب على ذلك إلغاء إعراب لا سيما وبعض أدوات الاستثناء وأدوات الشرط الاسمية وكم الاستفهامية والخبرية وأن المخففة من الثقيلة وكأن الخفيفة [3].

فهو يرى في قوله تعالى : " أَفَلَا يَرَوْنَ أَن لَا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا[1] " الآية 89 من سورة طه .

---

[1] ينظر الرد على النحاة ص 64-65 ، وينظر الاتساع اللغوي بين القديم والحديث ص 101.

[2] يراجع شوقي ضيف ، محاضرات مجمعية الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية الجمهورية العربية المصرية ط1 ، 1998 ، ص81.

[3] ينظر ؛ تجديد النحو ص 26 وتيسير النحو ص 58-60.

فإن هنا مخففة وهي أداة ربط لا غير وكذلك القول في أن الواردة في قوله عز وجل " فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ[2]" سورة المؤمنون الآية 27.

أما بخصوص لاسيما فيرى ضيف أن النحاة قد بالغوا مبالغة لا فائدة منها لأن ما بعدها يجوز فيه الرفع والنصب والجر فطبيعي أن يلغى إعرابها ما دام العناء فيها لا يسمن ولا يغني من جوع .

ويضيف أنه ينبغي أن يلغى إعراب أفعال الاستثناء خلا عدا حاشا والأجدر والأفضل أن تعربها أدوات استثناء وما بعدها مستثنى منصوب[3] .

وكذلك ينبغي أن تعرب (غير – سوى) في الاستثناء حالا .

أما بخصوص الاستثناء المفرغ فيرى بوجوب إخراجه من باب الاستثناء لأنّه في نظره قصر وتخصيص [4]. وما نلمسه من هذه التصنيفات أن شوقي ضيف يحاول أن يسهل على المتلقي سبر أغوار أبواب النحو بتقسيمات و تصنيفات أراها في كثير من الأحيان صائبة ومعقولة .

وكذلك ينبغي إلغاء إعراب (كم) الاستفهامية والخبرية وتكتفي بإعرابها على أساس أنها خبرية أو استفهامية.

وكذلك أسماء الشرط (من – ما – مهما- أي – أنى – أين- حيثما – متى – إذا – كيفما) ينبغي أن يلغى إعرابها لأنه لا يفيد شيئا في صحة النطق [5].

ويجدر بنا الإشارة ها هنا أن بعض الباحثين قد أعابوا على شوقي ضيف عدوله على بعض النقاط التي أوردها ثم أسقطها لأسباب مقصودة أو غير مقصودة[1] .

---

[1] سورة طه الآية 89.

[2] سورة المؤمنون الآية 27.

[3] ينظر تيسيرات لغوية ص 30.

[4] المرجع السابق ص 122 ، وما بعدها .

[5] ينظر نفسه ص 109.

فهم يرون أنه بذلك قد أحدث خللا وشرخا واضحا في المنهج الذي سطره لإعادة تصنيف النحو إلا أن البعض الآخر يرى أن ذلك أمر محمود ففي عدوله خير للنحو .

- **وضع تعريفات وضوابط دقيقة :**

في سنة 1977 قدم داشوقي ضيف هذا البند (الأساس) إلى المجمع اللغوي بالقاهرة لتيسير النحو وهو وضع تعريفات وضوابط دقيقة لبعض أبواب النحو التي لم تسمح لها الفرص بأن تعرّف تعريفا دقيقا وسديدا من طرف النحاة ثم عرض تعريف ابن هشام للمصطلحات الثلاثة مبينا أنها مضطربة وغير دقيقة ثم سن تعريفا لكل منها على النحو التالي [2]:

أ- المفعول المطلق : هو عند ابن هشام اسم يؤكد عامله أو يبين نوعه أو عدده.

وعند دا ضيف هو: اسم منصوب يؤكد عامله أيصفه أو يدينه ضربا من التبيين .

وتدخل في كلمة ضربا من التبيين جميع الصيغ التي تنوب عن المفعول المطلق .

ب- المفعول معه : هو عند ابن هشام : " اسم فضله تال لواو بعد مع تالية لجملة ذات فعل أو اسم فيه معناه وحروفه".

وعند دا ضيف هو اسم منصوب تال لواو غير عاطفة بمعنى مع .

ج- الحال : هو عند ابن هشام وصف فضله مذكور لبيان الهيئة وعند دا شوقي ضيف هو صفة لصاحبها نكرة مؤقتة منصوبة[3] .

وفي هذا الصدد نجد أن الدكتور علاء اسماعيل " اسماعيل الحمزاوي" يتفق مع ما جاء به

---

[1] المرجع السابق ص 103-109.

[2] ينظر ؛ ابن هشام أوضح المسالك الى الفية ابن مالك لابن هشام تحقيق يوسف الشيخ محمد البقاعي دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع ج2 ص 35وينظر تجديد النحو 30-34 وينظر تسير النحو ص 60-61.

[3] المرجع السابق نفسه .

دا ضيف إلا أنه يقترح مفهوما آخر للحال وهو : اسم نكرة منصوبة صفة مؤقتة لصاحبها كما يأخذ عليه تعريفه للمفعول المطلق ويرى أنه بتخريجه هذا عاد إلى نظرية العامل بعدما نادى بإلغائها ودليل ذلك قوله : " هو اسم يؤكد عامله..." أي فعله الذي عمل فيه النصب .

- **حذف زوائد كثيرة**[1] :

رأى الدكتور شوقي ضيف أن من أوجه تيسير النحو وتجديده حذف بعض الزوائد التي لا تخل بالقواعد العامة . ومن ذلك أن تحذف شروط اسم التعجب وشروط فعل التعجب وكذا قواعد اسم الآلة لأنّه يعتمد على السماع وشروط التصغير وصيغة غير المتداولة كتصغير فعل التعجب ومعظم قواعد النسب التي لا حاجة لنا بها الآن ، وأكثر شروط تقديم المبتدأ وجوبا وتقديم الخبر وجوبا ، وجعل ذلك في باب التقديم والتأخير ، وكذلك شروط حذف المبتدأ أو حذف الخبر ، وجعل ذلك في باب الذكر والحذف ، وحذف أعمال ليت مع (ما) الكافة لعدم استعمالها في الواقع اللغوي . وحذف ما يسمى بالعطف على (إن واسمها) ورأى أنه مبتدأ خبره محذوف لدلالة السياق عليه وكذلك ما قوره النحاة من أن نعت (اسم إن) و (اسم لا النافية للجنس) أو توكيده أو البدل منه يجوز فيه الرفع والنصب وحذف وجه الرفع مكتفي بالنصب تيسيرا على الدارسين .

وحذف من الكتاب وجوه الإعراب المتعددة في(لا حول ولا قوة إلا بالله) كما حذف شروطا كثيرة للمفعول معه مع حذفه لكثير من كلام النحاة عن تابع المنادى وما يجوز فيه من رفع ونصب بحجة أن كل نماذجه من اصطناع النحاة ، كما أنه حذف عمل المصدر منكرا أو معرفا بـ (ال) لأنّه غير مستعمل في اللغة وكذلك إضافة المصدر لمفعوله قبل الفاعل . كما حذف ما أسماه النحاة فاعل سد مسد الخبر لأنّها هي الأخرى غير مستعملة في اللغة وغير ورادة في القرآن .

[1] ينظر تجديد النحو ص 34.41 وينظر تيسير النحو ص 61-63.

وعليه فإن دا شوقي ضيف يصر على حذف هذه الزوائد من كتب النحو التعليمي لأنّها في نظره ستتحول جوانب منها أحيانا إلى ما يشبه الألغاز النحوية التي يصعب حلها فيصبح تعليم النحو أكثر صعوبة . لذا كان حذفها سبيلا من سبل تسهيل تعليم النحو عند الناشئة . ويكفيهم أن يعرفوا ما يقيمون به ألسنتهم وما يقيهم إشكالات الوقوع في الخطأ واللحن في اللغة العربية .

- **إضافات متنوعة :**

في اللغة العربية إضافات كثيرة ومتنوعة وقد ركز عليها الدكتور ضيف باعتبارها تهدف إلى توضيح الصياغة العربية في نفس دارس النحو . ومن تلك الإضافات المبحث الخاص بقواعد النطق وعلته في ذلك أن قواعد النطق كانت تدرس للناشئة قديما مع حفظهم للقرآن الكريم .

وقد شملت هذه الإضافات الحديث عن تاء التأنيث ودلالتها المتنوعة ونوني الجمع والمثنى على أنّها بدل من التنوين في المفرد ، والفرق بين اسم الجمع واسم الجمع الجنسي[1] .

كما تحدث عن المضاف والمضاف إليه والتابع والمتبوع في القسم الصرفي وعليه فإن هذه الأسس هي التي عدها شوقي ضيف بمثابة الحجر الأساس لكتب النحو وحرص فيها على تنسيق أبواب النحو تنسيقا محكما . حتى يكون بإمكان المتعلمين معرفة تفاصيل العربية ومعرفة مقومات ودعائم الصياغة الصحيحة في الكلم والجمل معرفة سليمة تتناسب مع مستواهم التعليمي .

والخلاصة أن العلامة شوقي ضيف ساهم مساهمة فعالة في تأطير الأسس والمبادئ التي يجب أن يقوم عليها مجال تجديد النحو التعليمي .

حيث أنه أشار ونادى بتصنيفات جديدة أضاف فيها أبوابا وحذف منها أخرى ليخرج بستة أسس في التجديد قال في شأنها في محاضرة له ألقاها برحاب مجمع اللغة العربية الأردني : اقتنعت بمحاولة تيسير النحو الجديدة التي عرضتها على حضراتكم ولا ريب أن الباب سيظل مفتوحا

[1] ينظر تجديد النحو ص 98.

لمحاولات أخرى قد تكون أكثر دقة وفائدة في تيسير النحو التعليمي كما ظل مفتوحا من ألف عام. أمام الأسلاف لرسم الصورة المثلى لاختصارها هذا النحو وتبسيطه للأجيال القادمة [1].

هذا ولم تسلم الدراسة التي جاء بها دا ضيف من الانتقادات حيث يرى البعض أن فكرة تجديد النحو التي نادى بها ما هي إلا نسخة طبق الأصل لما جاء به ابن مضاء القرطبي لكن في حلة جديدة ، زد الى ذلك أنه عالج مسألة تيسير النحو معالجة نحوية محضة لا حضور فيها لمراعاة الجوانب التعليمية ، ذلك أن التيسير ليس الإتيان بمصطلحات مشابهة لما سبقها وإنما تكمن حقيقته في استحداث وإبداع منهجيات خاصة في ترسيخ النحو بأسلوب متميز في عرض علمي جديد يضاهي تعليم اللغة من حيث الملكة اللغوية وقدرة المتكلم على الأداء وهذا ما جعلته التعليمة شرطا مهما في اكتساب المادة اللغوية باعتباره الاستعمال الفعلي للغة ولن يخرج هذا الشرط الى النور إلا إذا تضافرت جهود الباحثين وتلاحمت علوم التربية واللغة وعلم النفس بهدف إعداد مشروع تعليمي ناجح يتوافق وقدرات المتلقين وكفاءة الملقن .

إلا أن التيسير عند دا ضيف ارتبط بهدف فردي لم يعالج الصعوبة التي يعانيها المتعلم مع ما يتناسب مع الأهداف التعليمية . وهو ما يتعارض مع المعالم الأساسية لبناء هيكل تيسير النحو.

2 /4 – المجامع اللغوية :

إن الجهود الفردية التي قدمها النحويون لم تكن كافية لتيسير النحو بكل ما للكلمة من معنى لذا كان لابد من تأسيس مؤسسات رسمية تعمل على تقريب هذا العلم لكافة الدارسين . ومن هنا سطع نور المجامع اللغوية حيث حافظت هذه الأخيرة على التراث وسعت جاهدة لتقدمه في صورة جلية ومبسطة تواكب التطور الثقافي الراهن دون المساس بمقومات وأصول النحو العربي .

والمقصود بالمجامع اللغوية جمع من الباحثين المتخصصين للتوسع في الموضوعات التي يجيدونها و للتداول بعمق والبحث فيها وبهذا المعنى الحديث تستعمل لفظة المجمع اليوم وفي اللاتينية يعرف

[1] ينظر ؛ تجديد النحو ص 11-42- وينظر تيسير النحو ص 63-64.

باسم Académie وقد أطلق هذه التسمية في الأصل على حديقة يونانية حيث كان يجلس أفلاطون (374 ق .م) وتلامذته وقد كتب على بابها شعاره : من لم يكن مهندسا فلا يدخل علينا حيث كانوا يجلسون لمناقشة القضايا والموضوعات التي تدور في باله (س .ثا .إج . إق...ألخ).

ويعرفها الأستاذ صالح بلعيد بأنّها : " مؤسسات لغوية علمية تقوم على خدمة اللغة ، وبها جماعة من العلماء تجتمع للنظر في ترقية اللغة والعلوم والآداب والفنون ويركزون اهتمامهم في الغالب على الجانب اللغوي والعلمي ، وما يجب أن تكون عليه بناء على التراث العربي والعالمي وتزويدها بالمصطلحات الحديثة مسايرة لقضايا العصر "[1].

إن من أولى الإصلاحات التي شرعت فيها المجامع اللغوية وعلى رأسها لجنة وزارة المعارف (سنة 1998م) ما يلي :

- لإبقاء على التقسيم الثلاثي للكلمة (فعل – اسم – حرف) .[2]
- الإبقاء على ألقاب الإعراب وإلغاء ألقاب البناء حيث يكتفي في الأسماء والأفعال المعربة بألقاب البناء وهي بناء على الضم. والفتح والكسر، والسكون ويستغني عن ألقاب الإعراب بها وهي الرفع والنصب والجر والجزم.
- الاستغناء عن الإعرابين التقديري والمحلي في الأسماء المقصورة والمنقوضة والمضافة إلى ياء المتكلم والأسماء المبنية مثل : الفتى القاضي كتابي وهذا والذي .
- تتألف الجملة من ركنين أساسيين هما الموضوع والمحمول أو ما أسماه البعض بالمسند والمسند إليه . فالموضوع هو المتحدث عنه وهو مضموم دائما إلا بعد إن أو إحدى أخواتها أما الركن الثاني

[1] مقالات لغوية وصالح بلعيد الجزائر ، دار هومة للنشر والتوزيع د ط 2004 .

[2] ينظر ؛ الاتساع اللغوي بين القديم والحديث ص104.

وهو المعمول فيكون اسما منصوبا أو ظرفا أو فعلا ، ويتطابق المحمول والموضوع في النوع والعدد ، وإذا كان المحمول ظرفا أو مجرورا بحرف جر لا يقدر له متعلق بل هو نفسه المحمول[1] .

- إلغاء علامات الإعراب الأصلية والفرعية فالجمع يرى توحيد أسماء علامات الإعراب الأصلية والفرعية بتسميتها علامات إعراب[2] .

وإعراب الممنوع من الصرف بالضم أو التنوين والفتح وإعراب الأسماء الخمسة بالحركات الثلاث ممدودة ، وإعراب جمع مؤنث السالم بالضمة والكسر وإعراب الاسم المنقوص في حالة النصب بالفتحة ، والمثنى بالألف والنون أو ياء ونون ، وإعراب جمع المذكر السالم بواو ونون أو ياء ونون ، والاستغناء بنيابة علامة عن أخرى [3].

- إلغاء ضمائر الرفع المستترة سواء أكان الضمير مستترا وجوبا أو جوازا في مثل قام أقوم وتقوم مع بيان الإعراب في قمت " صيغة الماضي المتكلم وقم صيغة الأمر للمخاطب" وأقوم صيغة مضارع المتكلم ويكون الإعراب معدلا وفقا للشكل التالي أنا : مسند إليه وقمت : صيغة لماضي المتكلم مسند ، وقاموا صيغة ماضي الغائبين مسندا [4].

أما الضمير المتصل الظاهر في قولنا : قمت فيعد إشارة لا ضميرا وهذا التخريج ليس من وحي المجمع وإنما اتباعا لآراء القدامى إن الكوفيين يقولون بجواز إعراب الاسم المتقدم على فعله فاعلا خلافا لغالبية النحاة الذين يعربونه مبتدأ [5].

- عد ما سوى المسند والمسند إليه تكملة وتكون هذه الأخيرة منصوبة دائما وتشمل جميع المفعولات وتأتي لتأكيد الفعل ولبيان نوعه ولبيان الزمان والمكان أو لعلّة ، وبيان المفعول أو الحالة أو النوع [1].

---

[1] ينظر الاتساع اللغوي بين القديم والحديث ص 105.

[2] تيسير النحو التعليمي ، قديما وحديثا ص 39.

[3] المرجع السابق نفسه .

[4] نفسه ص 41-42.

[5] ينظر مجمع الهومة ج2 ، ص254-255.

وقد أخرج المجمع التوابع من الكلمة وإخراجها كان لاختلاف مواقعها الإعرابية فهي تكون مرفوعة و منصوبة ومجرورة .

- حذف كلمة أساليب وتستخدم مكانها كلمة تراكيب وتشتمل على عشرة أبواب هي : التوكيد والقسم ، والتعجب ، وصياغة اسم التفضيل ، ونعم وبئس والنداء والاستغاثة والندبة والاختصاص والإغراء والتحذير [2]
- سعت المجامع اللغوية إلى تهذيب المعاجم ووضع معجم شامل يعوض نمو وتطور اللغة في مختلف عصورها ومثال على ذلك ما طبعه مجمع القاهرة " المعجم الوسيط" في مجلدين كما شجعت على الإنتاج الأدبي بإقامة الفعاليات وهذا ما يترجم عناية بجل جوانب اللغة من تنقيح وإبداع".

والمستفاد من كل هذا أن جل ما جاءت به المجامع اللغوية لم يخرج عن الإطار الذي رسمه القدامى لجل القواعد النحوية إذ أنها في مجملها نادت بإلغاء العامل سعيا منها لتخليص النحو من الفلسفة والتأويل ولكنها في المقابل عجزت عن المجيء بجهاز تفسيري يقوم على النهوض بالنحو . ما جعلهم يقعون في تناقضات حيث أنهم يجيزون بعض النقاط في مسائل معينة وبلوغها في مسائل أخرى.

وأما بخصوص ما يمكن أن نخلص له كنتيجة للمبحث الذي بين أيدينا فإنه يمكن تسجيل بعض النقاط التي تنبئ أن الباحثين الثلاثة تلتقي آراؤهم وأفكارهم في تصور مشترك ويقين تام بضرورة مراعاة التيسير والتسهيل عند تأليف كتب النحو التي ترد في غالبها محملة باختلاف وجهات النظر حيث أننا نجدها لا ترسى على شاطئ فالكل حلل ووقف مفهومه الخاص ومن ذلك اختلاف العلل والأقدمية وذلك كله بغية التخفيف على الدارسين وتمكينهم من استيعاب واستعمال لغتهم قراءة وكتابة ومشافهة .

---

[1] ينظر أصول اللغة ج3 ص 204-205.

[2] نفسه ص 208.

وهم بهذا يتفقون على أن النحو الذي جاءت به الكتب القديمة صعب لا سهولة فيه يشتت أفهام الدارسين الذين لم يألفوا طرائق النحاة في الاستقراء .

كما يتفق هؤلاء الباحثون في أن أكبر مشكلة في النحو تكمن في العمل والتقدير النحوي والمحل الإعرابي وهذا ما أثقل النحو العربي بأعباء كثيرة وجعلته يقف عند حد ظاهرة اللفظ ويبتعد عن المعنى .[1]

[1] الاتساع اللغوي بين القدع والحديث ص 109.

الفصل الثاني

المستويا الصوتي و الصرفي و أثرهما في اتساع المعاني و التغاير الدلالي

المبحث الأول : المستوى الصوتي

إن للأداء القرآني دورا بارزا في إيضاح الدلالة ، حيث يمتاز الأداء القرآني بالتعبير عن قضايا ومدلولات ضخمة في حين يستحيل على البشر أن يعبروا فيه عن مثل هذه الأغراض، وذلك بأوسع مدلول وأدق تعبير وحماية وأحياه أيضا مع التناسق العجيب بين المدلول والعبارة والإيقاع والظلال والجو ... ويبلغ من ذلك كله مستوى لا يدرك إعجازه أحد[1] .

ذلك أن النص الواحد في الأداء القرآني المتنوع من حيث مجموعة من الظواهر الصوتية (التنغيم – النبر – الوقف – الخ ...) يحوي مدلولات متنوعة متناسقة في النص وكل مدلول منها يستوفي حظه من البيان والوضوح دون اضطراب في الأداء أو اختلاف بين المدلولات.

ولا يقف عند هذا الحد بل إنه يصل الى غاية اتساع الدلالة واختلاف المعنى وتغييره بمجرد تغيير صوت سواء بالحذف أو الإبدال أو التنغيم .

وفيما يلي سنحاول استعراض أهم البنود أو بالأحرى أهم العناصر التي تهم في اتساع الدلالة الصوتية في القرآن الكريم .

نركز فيها على ظواهر الإبدال الحذف والتنغيم .

1– الإبدال :

1/أ– الإبدال لغة : الأصل في الإبدال جعل الشيء مكان شيء آخر وأصل التبديل مطلق التغيير وتبديل الشيء تغييره ومنه قوله تعالى : "*وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا* "[2] . أي بدلهم من

[1] في ظلال القرآن، ؛ الأستاذ سيد قطب 1786/3 دار الشروق بيروت القاهرة طبعة 1412/17 هـ.

[2] سورة النور الآية 55.

الخوف أمنا، وقوله تعالى : " *يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ*"[1] . والمقصود به جعل شيء مكان شيء آخر ، وكإبداك الواو تاء في تا الله [2].

1/ب الإبدال اصطلاحا : يراد به جعل حذف مكان حرف غيره[3] ، أو هو " إبدال حرف أو أكثر من كلمة ما بحرف أو أكثر يقرب منه لفظا ويحصل الإبدال غالبا بين الحروف التي هي من مخرج واحد أو مخارج متقاربة "[4].

معنى ذلك أن هذا التغيير لا يكون تعسفيا وبصفة غير مدروسة تجعل منه ينزاح عن المقصود وإنما يبدل حرف مكان آخر لاشتراكها في نفس مخرج الصوت أو لتقاربها نطقا .

ويرى عباس حسن أن مرجع الإبدال هو الحذف بقوله : " حذف حرف ، ووضع آخر بحيث يختفي الأولى ويحل في موضعه غيره"[5]. والحق أن ما ذهب إليه صواب في نظري فما دمنا نغير جنس الحروف في الكلمة الواحدة إذن فالعملية كلها قائمة على الحذف وإقامة حرف آخر مكان المحذوف.

والعلة في ذلك أن تجاور حرفين غير متجانسين ومتباعدين يحدث نوعا من الثقل في النطق وصعوبة في الاسترسال لذلك كان لابد من التبديل بين الحروف حتى تحقق التقارب بين حروف الكلمة الواحدة في قالب متجانس يلائم الصوتين ويولد تفاعلا بين الحروف في الكلمة الواحدة.

---

[1] سورة ابراهيم الآية 48.

[2] ينظر ؛ ابن منظور لسان العرب .48/11.

[3] معجم علوم العربية التونجي ط1 بيروت ، دار الجيل 1424 هـ/2003م ص 15 وما بعدها .

[4] النحو الوافي ، عباس حسن دار المعارف ط 3 2008 ج4/ص696.

[5] المرجع السابق نفسه.

1/ج- أنواع الإبدال : والإبدال على نوعين مطرد قياسي يخضع لقواعد الصرف وغير مطرد وهو السماعي أو اللغوي[1] .

إبدال صرفي : وهو الإبدال القياسي المطرد عند جميع العرب ويقع في حروف معينة مثل تاء افتعل إذا جاء بعدها أحد الحروف الإطباق فإنها تبدل طاء كقولهم (اصتبر) اصطبر .

وهذا الإبدال يسير على نمط ثابت ومطرد ، له شروط وقوانين متى تحققت وجب الإبدال إذ لا غنى عنه وتركه يوقع في الخطأ ومخالفة ما ورد عن العرب .

وحروف الإبدال تسعة عند ابن مالك ذكرها في الألفية والكافية الشافية بقوله : " هدأت موطي"[2] . معنى ذلك أن هذه الحروف الثمانية هي التي يمكن أن يبدل فيها وأسقط منها الهاء في التسهيل بقوله ." طويت دائما " [3]؛ أما أبو علي القالي فقد جمعها في اثني عشر حرفا عبر فيها بقوله : " طال يوم أبجدته"[4] . ونجدها عند الزمخشري خمسة عشر حرفا أوردها في قوله " استنجده يوم طال زط"[5] . وذكرها سيبويه في أحد عشر حرفا مجموعة في عبارة " أجد طويت منهلا "[6].

إبدال لغوي : وهو الإبدال غير المطرد أو السماعي . هذا النوع من الإبدال لا تحكمه ضوابط ولا قوانين وإنما يحكمه السماع عند العرب ونجده يختلف باختلاف القبائل ويرتبط بتعدد

---

[1] ينظر ؛ التعليل الصوتي عند العرب في ضوء علم اللغة الحديث قراءة في كتاب سيبويه ص349.

[2] ينظر شرح الكافية الشافية محمد بن عبد الله ابن مالك الطائي الجياني أبو عبد الله جمال الدين تحقيق عبد المنعم أحمد هريدي جامعة أم القرى مركز البحث العلمي و إحياء التراث ط1 4/2077 وشرح ابن عقيل لابن عقيل دار مصر للطباعة ط1 2010 2/481 وشرح الأشموني تحقيق محي الدين عبد الحميد /2011 4/280.

[3] ينظر المساعد على تسهيل الفوائد لابن عقيل تحقيق محمد كامل بركات جامعة أم القرى 1982/1402 ط1 ج4 ص86.

[4] الأمالي أبو إسماعيل القالي تحقيق صلاح بن فتحي المكتبة العصرية للطباعة و النشر ط1 2001ج 2 ص186.

[5] المفصل جواد علي أوند دانس للطباعة و النشر ط1/ 1995ص428.

[6] الكتاب لسيبويه ج4/ص2377.

اللهجات ارتباطا وثيقا فنجد بعض القبائل تقول : مدح بالحاء وأخرى بالهاء ولا يعد هذا مخالفا للصواب اللغوي [1].

أ- هذا ولم تقف نظرة اللغويين عند الإبدال على مستوى الحروف بل رأوا أن الإبدال يكون على مستوى الحركات أيضا وعليه فإنه جعل حرف مكان آخر أو حركة مكان أخرى .

تذهب شواهد الإبدال في القرآن الكريم ما جاء في كلمة [يتذكر] و [يذّكر] فقولنا : [يتذكر] هو الأصل وهي صيغة طويلة في نطقها وفيها طول زمني ومنبسطة . ونجد أن الإدغام قد فك في هذا المقام .

وقولنا يذّكر عندما تبدل التاء ذالا تدغم الذال الأولى في الثانية ويؤتى بهمزة الوصل للتمكن والتوصل إلى النطق بالساكن .

ومثال ذلك قولنا (اثّاقلتم) أصلها تثاقلتم وكذلك تدبّر// ادّبّر أصلها (اتدبر) على وزن افعل ومثله اطّير أصلها اتطيّر .

والمتمعن في صيغة تفعّل يجد أنها تفيد التدرج كقولنا تعلّم وتصبّر وتجّلد وتحلّم فهي تفيد التدرج وأخذ الجهد والوقت في إحداث الفعل . أما صوتيا فتفعّل أطول من تفّعّل . وفي صيغة يفعّل قوة ومبالغة ليست موجودة في يفعل[2] .

ومثال لذلك قوله : المتصدقين – المصّدقين في قوله عز وجل :

" والمتصدقين والمتصدقات" سورة الأحزاب الآية هنا جاءت على الأصل وفي سورة يوسف " وتصدق علينا " معنا لهم يطلبوا المبالغة في التصدق [ولم ترد اصّدّق] وطلبوا أن يتصدق مرة

[1] ينظر اللهجات العربية إبراهيم أنيس مكتبة الأنجلو مصرية مطبعة أبناء وهبة حسان 2002 ص72.

[2] ينظر ؛ الكلمة في التعبير فاصل صالح السامرائي ط2 القاهرة 2006 ، ص40.

واحدة . ثم يضيف إن الله يجزي المتصدقين معناه يجزي عن الصدقة وإن قلّت ولو جاء يجزي المصّدّقين لدلت على كثرة التصدق[1] .

وفي سورة الحديد قوله تعالى : " *إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ*"سورة الحديد الآية 18 هنا الحديث عن المبالغ في الصدقة والمكثر منه وهو المبالغ والسخي الذي يجاهد بشدة شح نفسه .

هذا والمتمعن في سورة الحديد يجد جل آياتها تتحدث عن الإنفاق فالملائم لها أن تأتي كلمة والمصّدّق وليس المتصدق .

آخر في قوله تعالى : "*أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا*" محمد الآية 24 ذات كلمة يتدبرون على هذه الصيغة دون إبدال لأنهم بحاجة إلى تدرج وزمن طويل أما في قوله : "*أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ*" المؤمنون 68 .

فاقتصر من التاء وأدغم الحرفين . وذلك لأن السياق يدل على أنهم تدبروا ويعملون ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم ويعرفون أنه صادق أمين ولكنهم لم يؤمنوا ويحتاجون إلى من يوقظهم ويهز نفوسهم وهذا ما تفي به كلمة ادّبروا حيث توحي إلى القوة والعنف في هز نفوسهم .

وكذلك في قوله اثّاقلتم كأن الكلمة تظهر المتثاقلين وكأنهم التصقوا بالأرض والقرآن يريد تحريك قلوبهم ، فهناك تحريك القلوب يحتاج إلى كلمة تهز قلوبهم . ومثل ذلك قوله : " **وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ** " القمر الآية 22 فمذّكر تحيل إلى إنسان يجاهد نفسه بالقوة والذكر والبحث ومثلها : " سيتجنبها الأتقى الذي يؤتي ماله يتزكى" .

نزلت هذه الآية في حق أبي بكر و جاءت في إنفاق المال وهي تدل على الاستمرار والطول في القيام بالفعل[2] .

---

[1] ينظر؛ المرجع السابق نفسه.

[2] ينظر ؛ المرجع السابق نفسه ص44.

وقوله : " وما يدريك لعله يزكى " فيزكى هنا تشير إلى قوة إيمانية ويصل إلى درجات عالية من التزكية لأنه كان على درجة عالية من الحرص فتعبر عنها يزكى فهي تزكية روحية[1] .

ومنه كذلك ما جاء من إبدال في آيات سورة التوبة في قوله تعالى : " *إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ*" فالتطهر هنا مادي بدني ويتطهر دال على مدة زمنية دالة على الاستمرار والتدرج وهو هنا يتحدث عن عامة النّاس[2] ، وفي قوله : " *فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا ۚ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ*" فهي طهارة مبالغ فيها ويخص بها طائفة من الناس وهم الصحابة رضوان الله عليهم . فهنا الطهارة طهارة نفوس تحتاج إلى مجاهدة قوية .

وعليه فإنّ الإبدال يجب أن تراعى فيه مسألة السياق في تعلم وفهم صيغ النبي اللفظية للكلمة إذ أنّ شدة الصوت وخفته تحول بالدلالة إلى مفاهيم مختلفة وصور متباينة للمعنى .

2- حذف الصوت : إن ظاهرة الحذف في القرآن الكريم تعبير فني مقصود .

2/أ- الحذف لغة : هو الإسقاط ، وحذف الشيء في اللغة قطعه من طرفه وحذف الشيء إسقاطه، ومنه حذفت من شعري ومن ذنب الدابة أي أخذت عند الجوهري[3] ، معنى ذلك القطع من الطرف .

2/ب- أما في الاصطلاح : فقد نقل الكفوي : " الحذف اسقاط الشيء لفظا ومعنى أو الحذف ما ترك ذكره في اللفظ والنية[4] . معنى ذلك أن يسقط الحرف لفظا ومعنى"[5]

---

[1] ينظر نفسه ص45.

[2] نفسه ص40.

[3] لسان العرب لابن منظور ج1/ص774 (مادة حذف).

[4] المصدر نفسه ص384.

[5] الكليات للكفوي تحقيق عدناندرويش /محمد المصري مؤسسة الرسالة بيروت 2010ص384.

وفي علم العروض يطلق الحذف على : " إسقاط السبب الآخر الجزء"[1] وفي علم البديع : يطلق على المحسنات اللفظية ... وهو اسقاط الكائن أو الشاعر بعض حروف المعجم من رسالته أو خطبته أو قصديته[2] .

وهو عند علماء الصرف إسقاط حرف أو أكثر أو حركة من كلمة [3]، هذا وليست كل الأصوات في اللغة العربية عموما وفي القرآن الكريم خصوصا معرضة للحذف كما لا تتساوى كل الكلمات في مواضع الحذف إذ تختلف مواضع الحذف بين البداية والوسط والنهاية والأصوات التي يحدث فيها الحذف في العربية هي :

حرف العلة – حذف النون – الهمزة – التاء- التنوين – الحركات .

1/2/ حذف حرف العلة :

ومن الحذف في الفعل قوله تعالى :" قالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ" الكهف الآية 24. يحذف حرف العلة (الياء) من الفعل .

وقوله : " *قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي ۖ هَٰذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا*" يوسف الآية 65 . بعدم الحذف .

ومرد الخلاف في الأولى من عدمه في الثانية أن الحدث مختلف في الآتيين والسياق يوضح ذلك .

[1] كشاف الاصطلاحات الفنون والعلوم محمد علي التهانوي تحقيق رفيق العجم علي دحروج مكتبة لبنان ط1 1996ج1/ص231.

[2] المصدر نفسه ج1/ص231.

[3] المصدر نفسه .

قال تعالى : " قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا" الكهف الآية 23-24.

الحقيقة أن نسيان الحوت ليس هو ما يبغيه موسى وإنما الشخص الذي يريد موسى أن يتعلم منه (يقصد سيدنا الخضر عليه السلام).

وهذا ما يدعمه الشوكاني في تفسير فتح القدير بقوله :ذلك ما كنا نبغ ، أي قال موسى لفتاه ذلك الذي ذكرت من فقد الحوت في ذلك الموضع هو الذي كنا نطلبه ، فإن الرجل الذي نريده هو هناك فارتدا على آثارهما قصصا أي رجعا على الطريق التي جاءا منها يقصان أثرهما لئلا يخطئا طريقهما[1] .

أما في سورة يوسف فالطعام هو ما يبغون وهو الغاية من رحلتهم والعلة من الحذف إذن أنه لما كان ما في الكهف ليس ما يبغون حذف من الحدث إشارة الى عدم إرادة هذا الحدث على وجه التمام وإنما جاء للدلالة على المكان الذي سيجدون فيه بغيتهم .

أما في يوسف فلما وجدوا بغيتهم ذكر الفعل كاملا من دون حذف وعليه فإن المقام الأول ناسبه الحذف والثاني يلائمه الذكر ومن هنا نرى كيف أن دلالة الكلمة تتسع وتختلف و تتغاير مقاصدها من حيث ذكر أو حذف حرف واحد فقط .

ومن ذلك قوله تعالى على لسان المتوفي : "*لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ* الصالحين" سورة المنافقون الآية 10.وقوله تعالى على لسان إبليس :" *لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ* إِلَّا قَلِيلًا الإسراء الآية 62.

[1] ينظر ؛ فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية محمد بن علي بن محمد الشركاني ، دار المعرفة ، ط1، 1423هـ-2004م ، ص868.

والملاحظ أن أخرتني في الآية الأولى ذكرت مع ذكر الياء أمّا الثانية التي على لسان إبليس فحذفت الياء و في ذلك توسع في الدلالة لا محالة إذ أن الفرق بين المقامين ظاهر ذلك أن طلب التأخير عند إبليس ليس لمنفعة تخصه وإنما يريده ليضل به بني آدم فالغرض من هذا الطلب هنا هو التوعد بفتنة ذرية آدم وليس شيئا آخر إذ أنه لا يعود عليه بضر أو نفع.

خلاف ما جاء على لسان الإنسان المتوفي التي يطلب التأخير من أجل إصلاح ما أفسده في الأول لما كان على ضلالة فالطلب هنا منفعة شخصية ودفع الضرر عن نفسه .

فإظهار الضمير (الياء) جاء ليدل على طلب التأخير لمصلحة شخصية أما في الثانية فحذف الضمير (الياء) لأنه ليس من أجل نفسه ولا يعود عليها بالنفع فأسقطت الياء وحلت محلها الكسرة .

وإذا ما أمعنا النظر طويلا في معنى الآية ودلالتها سنجد أنّ كلام إبليس ليس طلبا وإنما هو شرط دخل عليه القسم .

فقال لئن أخرتني فهو من باب الطلب الضمني وليس من باب الطلب الصريح على عكس ما جاء في الأولى فهو صريح .وفي هذا توسع جميل في دلالة اللفظة الواحدة من حيث أنّ الطلب الصريح يذكر فيه الضمير ،أمّا غير الصريح فيحذف فيه الضمير[1] .

وهذا ما يدعمه ابن عاشور في تفسيره لآية لئن أخرتني أنها جملة قسمية واللام هنا موطئة للقسم المحذوف مع الشرط والخبر مستعمل في الدعاء فهو معنى قوله : "*قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ*" ص الآية 79. وهذا الكلام صدر من إبليس إعرابا عما في ضميره وإنما شرط التأخير إلى يوم القيامة ليعم بإغوائه جميع أجيال ذرية آدم فلا يسلم منه جيل[2].

[1] لمسات فنية من سورة المنافقون .

[2] ينظر التحرير و التنوير لابن عاشور دار احياء التراث العربي ط1 2000 سورة الإسراء الآية 62.

2/2/حذف النون :

النون حذف مجهور متوسط ومخرجه من طرف اللسان أصول الثنايا العليا [1].

وللنون دلالات مختلفة فتكون للتأكيد إذا دخلت على المضارع وتكون للوقاية إذا سبقت ياء المتكلم كما تدل على التأنيث ويطلق عليها في هذا المقام نون النسوة وتكون زائدة في الأسماء والأفعال إذ دلت على التثنية أو المخاطب ومن الشواهد الواردة في القرآن الكريم حول حذف النون قوله تعالى في سورة القيامة : "*أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً* مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ" الآية 37 من سورة القيامة.

فالحذف هنا يرجعه البعض إلى مراعاة جانب العجلة الذي اتسمت به السورة ويردون ذلك إلى الحاجة للفراغ من الفعل بسرعة [2].

وأما الأقرب للحقيقة فهو تعليل السامرائي في قوله أن حذف النون مرده إلى أن النطفة هي من الذكر وهي غير مكتملة بعد ولا يتم اكتمالها إلا بعد لقاح البويضة وبما أن حالها غير مكتمل فحذف ما يدل على أن الفعل أصلا غير مكتمل فوجب هنا الاقتطاع وإسقاط النون فنقصت من الفعل لأن الحدث غير كامل .

و من ذلك قوله تعالى : " *وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا*" النساء الآية 40.وأصل تك //تكن ولكن النون حذفت للتنبيه على أنّها ولو كانت صغيرة المقدار حقيرة في الاعتبار فإن الله تعالى يقبلها ويضاعفها . ومثلها : " إِن *تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ* مِّنْ خَرْدَلٍ" لقمان الآية 16. ومثله قوله تعالى :" *فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ* ۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ" سورة الأنبياء الآية 88.

---

[1] سر صناعة الإعراب ، ابن جني تحقيق محمد حسن محمد حسن إسماعيل أحمد رشدي شحاتة عامر دار الكتب العلمية.ط2007/2 ج1 52*53

2 المرجع السابق نفسه

فكما استجاب الله تعالى ليونس عليه السلام في بطن الحوت ونجاه من الغم والكرب والحسرة في بطن الحوت كذلك سيستجيب للمؤمنين ،و ينجيهم من الغم إذا استغاثوا به ودعوه وذلك في قوله " وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ ". سورة الأنبياء الآية 88

فالاستجابة هنا جواب شرط مقترن بشرط ورد في قوله تعالى : " *فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ*" سورة الأنبياء الآية 88. واختلفت القراءات في قوله وكذلك ننجي المؤمنين فقرئت ذلك قراءة الأمصار ، سوى عاصم بنونين الثانية منهما ساكنة ، من أنجيناه فنحن ننجيه ، وإنما قرأوا ذلك كذلك وكتابته في المصحف بنون واحدة ، لأنه لو قرئ بنون واحدة و تشديد الجيم بمعنى ما لم يسم فاعله كان المؤمنون رفعا على أنّها نائب الفاعل ولكنها في المصاحف منصوبة ، ولو قرئ بنون واحدة وتخفيف الجيم ، كان الفعل للمؤمنين وكانوا رفعا ووجب ذلك أن يكون قوله: " نجى" مكتوبا بالألف لأنّه من ذوات الواو وهو في المصاحف بالياء [1].

هذا ويضيف الشنقيطي في أضواء البيان أن النون هنا حذفت تخفيفا وأدغمت النون في الجيم لاشتراكهما في الانفتاح والجهر والتوسط بين القوة والضعف [2].

وهذا ما نراه مسوغا من مسوغات الاتساع بين حذف الحرف (ن) طلبا لتخفيف وغاية الأمر أنهم حذفوا حرفا من الكلمة لمصلحة مع تواتر الرواية لفظا بذكر الحرف المحذوف .

[1] ينظر ؛ تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن محمد بن جرير الطبري تحقيق صلاح عبد الفتاح الخالدي دار الفرقان للنشر و التوزيع ط1 1983، سورة الأنبياء مسألة الجزء 18.

[2] ينظر؛ أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن لمحمد الأمين بن محمد بن مختار الجنكي الشنقيطي ، دار الفكر 1995 م سورة الأنبياء ، مسألة الجزء الرابع .

3/2– التنوين :

3 /أ التنوين لغة : مصدر نون أي ألحق نونا بالاسم[1] .

3/ب– أما اصطلاحا : فقد جاء في شرح المفصل : " اعلم أن التنوين في الحقيقة نون تلحق آخر الاسم المتمكن وغيره من وجوه التنوين ، ويقال نونت الكلمة تنوينا إذا لحقتها هذه النون ، فالتنوين مصدر قلب حتى صار اسما لهذه النون"[2].

ولما كان للتنوين شأن في توجيه القراءات واتساع الدلالة ارتأيت أن أعرض بعض النماذج القرآنية التي يسهم التنوين في توجيه دلالتها ومن ذلك قوله تعالى : " *إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى*" طه الآية 12. حيث اختلف القراء في كلمة طوى هل تقرأ بالتنوين أم من دونه فمن ترك التنوين قصد به اسم الأرض التي بها الوادي ولما نوّن فقد كان له في ذلك شأنان .

الأول : أن يكون (طوى) هو المصدر من طويت وهنا لا بأس بتنوينه .

الثاني : أن يكون (طوى) اسما للوادي ولكنه نون لأنه اسم مذكر لا مؤنث ، وأن لام الفعل فيه باء ، فزاده ذلك خفة فأجراه بمعنى نونه وكما قال تعالى : " ويوم حنين" التوبة الآية 25.

إذا كان حنين اسم واد ، والوادي مذكر والإمام في هذا الموضع يرجع القراءة بالتنوين للعلل السابقة الذكر[3] .

ومثل ذلك ما جاء في اختلاف قراءة قوله تعالى : " *اهبطوا مِصْرًا* فَإِنَّ لَكُمْ مَّا سَأَلْتُمْ" البقرة الآية 61.

---

[1] لسان العرب ، ج14 ، ص341.

[2] شرح المفصل ، ج9، ص29.

[3] جامع البيان في تأويل القرآن ، ج8 ، ص399.

مصر ورد فيها قراءتان الأولى بالتنوين والثانية من دونه فمن قرأها بالتنوين قصد بها مصرا من الأمصار لا مصر بذاتها .

وبذلك يكون المعنى اهبطوا مصرا من الأمصار أو بلدا من البلدان . لأنهم كانوا من سكان البدو وما طلبوه لا يتوافر في البراري والصحاري وإنما يتوافر في القرى والأمصار .

أما من قرأ بدون تنوين فقد عن مصر التي تعرف بهذا الاسم[1] . ومن هنا نلمس التوسع الذي يحدثه التنوين في المعنى حيث أن دلالة الكلمة تختلف بين المنونة وغير المنونة .

4/2- حذف الهمزة :

الهمزة صوت شديد مخرجة من الحنجرة ولا يوصف بالجهر أو الهمس وهي من حروف المعاني فتستعمل في النداء لنداء القريب وللاستفهام[2] .

والهمز خاصية من الخصائص البدوية التي اشتهرت بها قبائل وسط الجزيرة وشرقها وعدم الهمز خاصية حضرية امتازت بها لهجة القبائل في شمال الجزيرة وغربها [3].

ومن حذف الهمزة ما ورد في قوله تعالى : " *وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرِئْيًا*" الآية 74 سورة مريم . فكم أهلكنا قبلهم من قرن خطاب من الله عز وجل إلى رسوله بأنه أهلك أقواما كثيرة كانت أرفه وأغنى من مشركي العرب وأجمل منهم منظرا ويقصد بالأثاث متاع البيوت الذي يتزين به .

و " رئيا" قرأه الجمهور بهمزة بعد الراء وبعد الهمزة ياء على وزن فعل بمعنى مفعول ، أي أحسن مرئيا أي منظرا وهيئة وقرأه قالون عن نافع وابن ذكوان ابن عامر " ريّا" بتشديد الياء بلا

[1] ينظر ؛ الطبري البيان في تأويل القرآن ، ج1 ، ص352.

[2] المعجم الوسيط ، ج1 ، ص1.

[3] القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث ،شاهين عبد الصبور مكتبة الخانجي ط1 2009 ص30.

همزة إما على أنّه من قلب الهمزة ياء وإدغامها في الياء الأخرى وإما على أنه من الري الذي هو النعمة والترفه من قولهم ريان من النعيم وأصله من الري ضد العطش ، لأن الري يستعار للتنعم كما يستعار التلهف للتألم على حد تعبير ابن عاشور [1].

والملاحظ أن كلمة رئيا إذا حذفت منها الهمزة توسعت دلالتها لتخرج من قالب الهيئة والرؤية إلى قالب التنعم والتمتع فحذف الهمزة إذن يحدث تغييرا دلاليا في المعنى نتيجة إسقاط صوت من الكلمة لتدخل بذلك إلى حيز الاتساع لأسباب صوتية .و مثل ذلك قوله تعالى في سورة سبأ : " *وما دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلا دَابَّةُ الأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ*" سورة سبأ الآية 14.

وجاء في تفسير الطبري أن القراء قد اختلفوا في قراءة منسأته فقرأ ذلك عامة قراء المدينة وبعض أهل البصرة (منسأته) غير مهموزة وزعم لقارئ ذلك كذلك من أصل البصرة أن المنساة العصا، وأن أصلها من نسأت بها الغنم قال: وهي من الهمز الذي تركته العرب، وذكر الفراء عن أبي جعفر الرواسي أنه سأل عنها أبو عمرو فقال منساته بغير همز.[2]

وأما توجيه القراءات في ذكر الهمزة وحذفها فمن قرأها بالهمز فإن وجه ذلك على وزن (مفعالة) من نسأت البعير إذا زجرته ليزداد سيره كما يقال نسأت اللبن إذ صببت عليه الماء وهو الماء ويقال نسأ الله في أجلك أي أدام في أيام حياتك[3] .

وأما من قرأ من دون همز فالمعنى هو العصا ، وأصلها نسأت لها الغنم وترك العرب للهمز في هذا الموضع يرد إلى اقتضاء السياق الصوتي إذ يتوجب المقطع المنبور ، وهنا تقع الهمزة بين حركتين قصيرتين متماثلتين وقد سقطت الهمزة وعوض موقعها بطول الحركة [4].

[1] التحرير و التنوير ص310 (تفسير سورة مريم الآية 74.

[2] ينظر البيان في تؤويل القرآن ، الطبري ، ج 1 ، ص 254 .

[3] ينظر ؛ لسان العرب لابن منظور ج14 ، ص118.

[4] شاهين ؛ علم القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث ص158.

فثبوت الهمز من عدمه يغير المعنى الدلالي ويخرج به من المعنى الأصل الذي هو الزجر ليزداد سير البعير إلى الدلالة على العصا وفي ذلك اتساع في المعنى لأسباب صوتية مردها إلى ذكر الهمزة أو حذفها .

ومنه كذلك قوله تعالى في حذف همزة الاستفهام : "*فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا* قَالَ هَذَا رَبِّي" يقصد أهذا ربي ؟[1]

5/2 – حذف التاء :

حذف التاء في نحو قوله تعالى : "*فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ* وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا" الآية 97 من سورة الكهف .

يقصد السد الذي صنعه ذو القرنين من زبر الحديد والنحاس المذاب . فالقرطبي يرى في قوله فما اس طاعوا أن يظهروه أي ما استطاع يأجوج ومأجوج أن يصعدوا فيه لأنه أحلس مستو مع الجبل والجبل عال لا يرام .

" وما استطاعوا له نقبا" لبعد عرضه وقوته . ويرى البعض أن حذف التاء جاء تفاديا للتكرار

ولكن المفسرين يرون أن حذف التاء جاء للتوسع في المعنى وبيان المعنى الدقيق الذي تحيل إليه كل كلمة سواء ما ذكر فيها التاء أو حذف فالأولى تدل على أن الاستطاعة أقل حدة من الثانية أقصد لما كان الصعود على السد يتطلب زمنا أقصر من إحداث النقب فيه حذف من الفعل و قصر فيه ليجانس النطق الزمن الذي يتطلبه كل حدث إذ أن حذف التاء يدل على التخفيف من شدة الأمر أما ذكرها فيدل على شدة الأمر . وهذا وجه من أوجه الاتساع الصوتي إذ أن اسقاط التاء أو حذفها يحول الدلالة من معنى إلى معنى آخر .

[1] ينظر ؛ البرهان في علوم القرآن ، ج213/3.

ومثل ذلك قوله تعالى : " *تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ*" سورة القدر الآية 04.

وقوله : " هَلْ *أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ* (221) تَنَزَّلُ *عَلَى* كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ (222) يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ " الشعراء 221-223.

فنجد كلمة تنزل في هذه الآيات جاءت بتاء واحدة في حين نجدها ترد بتائين في قوله:"إِنَّ *الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ* عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ " فصلت الآية 30.

فوردت في سورتي القدر والشعراء بتاء واحدة وحذفت الثانية أما في سورة فصلت فوردت (تتنزل) من دون حذف والمراد بذلك أنّ الملائكة تتنزل على المؤمنين لتبشرهم بالجنة لذلك أعطى الفعل كل صيغته ولم يحذف منه شيئا .[1]

أما في آية الشعراء فإن التنزل فيها أقل لأن الشياطين لا تنزل على كل الكفرة وإنما تنزل على الكهنة أو على قسم منهم . وما داموا قلة فقد اقتطع من الحدث بحذف إحدى التائين [2].

والأمر ذاته في آية سورة القدر فإن تنزل الملائكة هو في ليلة واحدة في العام وهي ليلة القدر ولذلك فهو أقل من التنزل الذي يحدث باستمرار على من يحضره الموت ، لذلك حذفت التاء لأن الفعل لا يدل على الاستمرارية وما دام كذلك جاء به بتاء واحدة وفي هذا توسع المعنى حيث تحيل الأولى والثانية إلى نقص في الاستمرارية أو الكمية لذلك أسقطت التاء وجيء بواحدة توسعا أما في آية سورة فصلت تبتث التاء للدلالة على الكثرة والدوام وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على بلاغه القرآن الكريم المعجزة .

[1] ينظر ؛ فتح القدير 501/4 ، وروح المعاني في تفسير القرآن العظيم و السبع المثاني الألوسي تحقيق علي عبد الباري عطية دار الكتب العلمية ط1 2014 121/24.

[2] ينظر ؛ بلاغة الكلمة في التعبير القرآني ، فاضل صالح السامرائي العاتك للنشر و التوزيع ط2 2006. ص 10

6/2- حذف الحركات :

يقول ابن جني " اعلم أن الحركات أبعاض حروف المد واللين وهي الألف والياء والواو فكما أن هذه الحروف ثلاثة فكذلك الحركات ثلاثة وهي الفتحة والكسرة والضمة فالفتحة بعض الألف، والكسرة بعض الياء والضمة بعض الواو . وقد كان أوائل النحويين يسمون الفتحة الألف الصغيرة ، والكسرة الياء الصغيرة ، والضمة الواو الصغيرة . وقد كانوا في ذلك على طريقة مستقيمة وكل ذلك بقوله : نحو فتحة عين عمر فإنك إن أشبعتها حدثت بعدها ألف فقلت عامر وكذلك كسرة عين عنب عيب وضمة عين عمر عومر"[1].

ولما كانت الحركات جزءا من الحرف فإنها لا شك تسهم في اتساع المعنى ودلالة الكلمة سواء أكان ذلك بذكرها أم بحذفها ومنه قوله تعالى : " *يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا قَالُوا رَبَّنَا* إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا" الأحزاب الآية 86. وفي قوله : " والله يقول الحق وهو يهدي السبيل " ففي المثال الأول جاءت بحركة المد في الرسول والسبيل أما في المثال الثاني جاءت من دون مد [2].

والعلة في ذلك أن حركة المد أضيفت في الأولى ليتوسع الصوت إلى دلالة مفادها أن القول قول أهل النار وهم يصطرخون ويمدون أصواتهم بالبكاء كما أخبر عنهم في سورة فاطر " وهم يصطرخون فيها" الآية 37 . أما في المثال الثاني فالقول قول الله يورد فيه حقيقة عقلية معلومة لقوله : " ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه وما يجعل أزواجكم اللائي تظاهرون منهن أمهاتكم و ما جعل أدعياءكم أبناءكم ذلكم قولكم بأفواهكم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل" الأحزاب الآية 4.

[1] ينظر ؛ سر صناعة الإعراب ج1، ص43.

[2] ينظر ؛ بلاغة الكلمة في التعبير القرآني ص33.

وعليه فإن المقام الأول مقام صراخ وعويل يستدعي المد ما جعل حركة المد تذكر لتدل على حالتهم التي كانوا عليها من عذاب أليم أما حذف حركة المد في المثال الثاني جاء ليدل على أن في حذف حركة المد توسع في الدلالة يحدثه الصوت المحذوف إذ أنه يحيل على الإخبار بحقيقة ثابتة بعد ما كان يدل على قساوة العذاب في الأولى وهذا إن دل على شيء سيدلنا على أن للحروف والحركات أثر بالغ في تدوير المعاني واتساعها لأسباب صوتية .

3- التنغيم :

3/أ لغة : هو جرس الكلمة وحسن الصوت في القراءة وغيرها[1] .

3/ب - **اصطلاحا** : هو ارتفاع الصوت وانخفاض أثناء الكلام[2] .

ويعرفه دانيال جونز : بأنّه التغييرات التي تحدث في درجة نغمة الصوت في الكلام والحديث المتواصل ، هذا الاختلاف في النغمة يحدث نتيجة لتذبذب الأوتار الصوتية ؟[3]

ويعرفه ماريو باي : التنغيم عبارة عن تتابع النغمات الموسيقية أو الإيقاعية في حدث كلامي معين [4].

أما المحدثون فيعرفون التنغيم على أنه موسيقى الكلام أو هياكل من الأنساق النغمية ذات أشكال محددة فالهيكل التنغيمي الذي تأتي به الجملة الاستفهامية غير الهيكل التنغيمي الذي تأتي به المثبتة والتعجبية ومثال على ذلك قولنا .

جاء محمد . جاء محمد ؟ جاء محمد !

---

[1] لسان العرب ج12 370/.

[2] تمام حسان ، مناهج البحث في اللغة ط2 ، بلام 1394 هـ- 1974 م ، دار الثقافة دار البيضاء ص 164.

[3] An outline of english phonetics p275.

[4] ما ريو باي ؛ أسس علم اللغة ، ترجمة د.أحمد مختار عمر طرابلس 1973 م ص93.

فالتنغيم يغير دلالة كل حماية من الإثبات إلى الاستفهام إلى التعجب .

ولما كان التنغيم يسهم في تغير الدلالة باعتباره حيلة صوتية تعمل على اللعب بأزرار المعنى ارتأيت أن أستعرض بعض النماذج القرآنية التي يسهم التنغيم في توسع معناها والخروج بها من دائرة المعنى الضيق إلى دلالات وإيحاءات موسعة ومنه قوله تعالى : " يا أيها الذين آمنوا مالكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثّاقلتم " التوبة الآية 38.

والشدة في قوله اثّاقلتم بمعنى التقاعس والتباطؤ وما زاد الحدث حدة الشدة فوق الثاء إذ أن أصلها تثاقلتم .

والملاحظ أنه بمجرد النطق يتضح الفرق الشاسع بين الكلمتين أن الأول تحيل على الشدة في التثاقل والتباطؤ والتقاعس وشدة التنغيم في اثّاقلتم تطير بمخيلتنا إلى تصور ذلك الجسم المتثاقل برفعه الرافعون في جهد فيسقط من بين أيديهم في ثقل فكأنها تحيل إلى أطنان من الأثقال .

أما إذا ولينا القبلة شطر التخفيف في نطق الكلمة وقلنا تثاقلتم لخف جرسها وقلت حدة الحدت.

وعليه فالتنغيم يتسع بدلالة الكلمة كما سبق الذكر فلولا شدّته في الأولى لضاع الهدف المنشود و لتوارت الصورة المطلوبة التي رسمها هذا اللفظ واستقل بلفظها [1].

ومثلها قوله عز وجل في سورة فاطر " وهم فيها يصطرخون" 37 سورة فاطر . فالتنغيم في قوله يصطرخون جاء ليحيل على شدة العذاب والصراخ والتأويل لما قدمت أديهم لما فيها من شدة في النطق . حيث أن جرس اللفظة ساعد على إيصال صورة العذاب الغليظ الذي هم فيه يصطرخون .

[1] ينظر ؛ التصوير الفني في القرآن الكريم ص76.

ومثله في قوله تعالى : كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا " الفجر الآية 21. إن صوت الدال المكرر وصوت الكاف المشدد والمكرر يساعد على رسم صورة في الخيال تكاد تجعل المنظر مرئيا والأصوات المنبعثة من المشهد مسموعة حيث أن كلاهما صوتان انفجاريان ينحبس معهما الهواء فترة من الزمن ثم ينفجر ، وهو ما إن ينحبس وينفجر من صوت الدال حتى ينفجر مرة أخرى مع صوت الكاف وهذه المرة بشدة أكثر لأن الصوت مشدد .

وجرس الأصوات المكررة هنا يكاد يرسم صورة حسيّة لإطباق قدرة الله تعالى على الأرض والإحاطة بها وتوالي الدك والضغط عليها حتى لا يبقى منها شيء وتفنى .

4- نماذج حول التغاير الصوتي في القراءات القرآنية :

قال تعالى : " يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال" الأنفال 65.

اختلفت القراءات في كلمة حرض فمنهم من قرأها بالضاد ومنهم من قرأها بالصاء .

* قرأ الجمهور حرض بالضاد من التحريض بمعنى التحضيض والحث[1] .

يقول الزمخشري : " التحريض المبالغة في الحث على الأمر"[2].

ومنه التحريض على القتال أي الحث والإحماء عليه . ويقول ابن عطية : " حرض معناه حثهم وحضهم"[3].

وقرأ الأعمش حرص بالصاد من الحرص ؛ ويتفق ابن عطية وأبو حيان أن المعنى متقارب . والحرص في اللغة شدة الإرادة والشره الى المطلوب "[1].

[1] الصحاح إسماعيل بن حماد الجوهري تحقيق أحمد عبد الغفور عطار دار العلم للملايين ط4 1990مادة خصص.
[2] الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري دار الكتاب العربي بيروت ط3 ج2/ص269.
[3] الصحاح مادة عرض.

إن إقامة الصوامت في القراءتين ؛ أحدهما مقام الآخر ، لم يخرج بالدلالة الأصلية والهدف المنشود من قراءة إلى أخرى وإنما الأولى تفيد الحض والحث والثانية تفيد جعل المؤمنين أكثر حرص. والثانية لا تكون لما فيها من شدة في القتال والإرادة إلا بعد أن تتوفر الأولى وعليه فالحرص أعلى درجة وقوة وشدة من التحضيض . ومن ذلك قوله تعالى : " خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَاءِ الْجَحِيمِ " الدخان آية 47 .

1- قرأ نافع وابن كثير وابن عامر ويعقوب فاعتلوه بضم التاء .

2- قرأ الباقون بكسر التاء فاعتلوه .

قال السمرقندي أي العلاقة بين القراءتين لغوية ومعناهما واحد مفاده . أمضو به بالعنف والشدة[2] .

إلا أن الفرق بينهما يكمن في أن الضم أقوى الحركات لذلك جاءت فاعتلوه بالضم

فيها نوع من الشدة والمبالغة والقساوة في جر الكفار إلى العذاب و تعنيفهم أكثر مما تدل عليه بالكسر.

قال البقاعي : فاعتلوه : أي: جروه بقهر وعنف وسرعة إلى العذاب والإهانة بحيث يكون كأنه محمول ، وقال الرازي في اللوامع : والعتل أن يأخذ بمجامع ثوبه عند صدره يجره . وقراءة الضم أدل على تناهي الغلظة والشدة من قراءة الكسر[3] .

ومنه يتضح أن جزاء المكذبين جميعهم هو الإهانة والإذلال والقهر والسوق إلى نار جهنم إلا أن هذا العنف في تعامل الملائكة معهم يزداد وينقض بحسب درجة كفرهم وطغيانهم .

---

[1] لسان العرب مادة حرص.

[2] بحر العلوم (تفسير السمرقندي) للسمرقندي دار الكتب العلمية 2010، ج3/ص220.

[3] نظم الدرر في تناسب الآيات و السور ابي بكر البقاعي دار الكتاب الإسلامي القاهرة 2010، ج7، ص52.

ومن ذلك أيضا قوله تعالى : إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ "الأنفال آية 11.

ففي قوله : الرجز قرأ الجمهور الرجز بالزاي بمعنى العذاب ، أو الكيد والوسوسة "[1]. وقرأ أبو العتاهية : رجس بالسين وذكرت (رجس) على أنها قراءة لأبي عيله [2].

يقول العبكري : ويقرأ بالسين ، قيل السين يدل من الزاي ، وقيل رجس الشيطان وسوسته وأص الرجس الشيء القذر والرجز العذاب "[3].

وعلل ابن جني قراءة الجمهور رجز الشيطان معناه كمعنى رجس الشيطان ونفس الظاهرة نجدها في سورة يونس في قوله : " ما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون" الآية 100 سورة يونس . قرأ الجمهور الرجس وأبدل الأعمش السين زايا . والرجس في اللغة هو القذر على حد قول ابن جني : كل شيء يستقذر عندهم فهو رجس ، كالخنزير ونحوه"[4].

ويقول ابن سيدة " الرجز العذاب كالرجز"[5] .

والرجس حسب سياق الآية معناه الخذلان أو الإثم والسخط والغضب والشيطان[6] .

وعليه فإن الرجس يكون المعنى النجاسة والقذر ويكون بمعنى العذاب ومنه فإن اختلاف القراءات يؤدي إلى تشابه وتقاطع في بعض المعاني فتؤديان نفس المعنى وكأنهما كلمة واحدة .

---

[1] البحر المحيط ؛ 283/9.

[2] معجم القراءات لعبد اللطيف الخطيب دار سعد للطباعة و النشر و التوزيع اصدار الكويت ج 3/ص270.

[3] إعراب القراءات الشواذ العكبري 2009ج 1/ص305 ص.306.

[4] البحر المحيط 103/6.

[5] النظم في اللغة ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، معهد المخططات بجامعة الدول العربية ، مصر ط1 ، 1377 /191/7.

[6] الكشاف 384/2.

ومن ذلك أيضا قوله تعالى :" فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ " البقرة الآية 9

اختلفت القراءات في كلمة يكذبون فمنهم من قرأ يكذبون ومنهم من قرأها بالتشديد يكذّبون

فقرأ حفص **يكذبون** بفتح الياء وسكون الكاف وكسر الذال بمعنى يخبرون بالأخبار الكاذبة عن الله والمؤمنين .

وقرأ ورش **يكذّبون** بضم الياء وفتح الكاف وتشديد الذال المكسورة بمعنى يكذّبون الرسل فيما جاءوا به من عند الله من الوحي .

واختلاف القراءات لا يؤدي إلى تناقض المعنى إذ أن كلاهما يصب في المعنى نفسه فالأولى تصف المنافقين وهم يكذبون على الله والمؤمنين والثانية بالتشديد تدل على تكذيبهم للرسل فيما جاءوا به من رسالات من عند الله وكلاهما يفي بالغرض ويضل بالمتلقي إلى المعنى المراد بلوغه .

ومنه كذلك قوله تعالى في سورة الفاتحة : " مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ " الفاتحة الآية 4 . والشاهد في الآية كلمة مالك وفيها قراءتان .

فقرأ حفص مالك (وهو اسم فاعل من ملك).

وقرأ نافع وآخرين ملك (وهي صفة)[1].

ومعنى الأولى بمالك القاضي المنصرف في شؤون يوم القيامة أما الثانية (ملك) فهي أعم جاءت بمعنى من بيده الأمر والنهي ومقاليد كل شيء ما ظهر منها وما بطن .

[1] حقائق الإسلام في مواجهة المشككين ؛ د.محمود حمدي زقروق ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، القاهرة ط2 ، 2004 ، ص42.

ومنه فإن القراءة بمد الصوت أو بغيره تحيل إلى دلالة توحدهما مفادها قدرة الله عز وجل و جبروته وتحكمه في خلقه وجميع شؤونه في تفسير و منه فإنّ هذا الاختلاف لا يشكل تناقضا و انّما يأتي من باب التوسع في تفسير أي القرآن على اعتبار القراءات القرآنية الموجه الأساسي لبيان مقاصد الآيات .

ومنه كذلك قوله تعالى : " مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا " الأحزاب الآية 40.

جاء الخلاف في كلمة خاتم بفتح التاء وكسرها . فالقراءة بكسر التاء جاءت على أنه (عليه الصلاة والسلام) قد ختمهم . أي جاء آخرهم . أما القراءة بفتح التاء فمعناها أن الأنبياء والرسل قد ختموا به عليه الصلاة والسلام كالخاتم والطابع فهي على ذلك تشبيه[1] .

ونحن نرى أن كلا التوجيهين صحيح لا لبس فيه فهو آخر الأنبياء وزينتهم وعليه فإن الاختلاف ولد دلالة متشعبة ومتسعة مبنية على التآلف لا على التناقض والتخالف .

[1] التوجيه البلاغي ، المفردات القرآنية ، د. أحمد سعد محمد ، مكتبة الآداب القاهرة ، ط2 1421 هـ- 2000م ، ص392.

المبحث الثاني: الاتساع في المستوى الصرفي :

علم الصرف هو أحد فروع علم اللغة المهتم بأحكام بنية الكلمة مما لحروفها من أصالة و زيادة و صحة و إعلال و شبه ذلك فهو يهتم بهيئة و صورة الكلمة لسببين أولهما التحقيق في أصالة الكلمة من عدمها ، والثاني معرفة مختلف معاني الكلمة إذا أثر عليها اعتلال أو زيادة[1] . ونحن في هذا الجانب من البحث سنحاول الوقوف على أهم التحولات الصرفية التي تطرأ على الكلمة و تحدث فيها توسعا في المعنى يخرج بها من دلالات سطحية الى أخرى أعمق نسلط فيه الضوء على جانب التحول في الصيغ الصرفية ومسألة القلب المكاني .

1- التحول في الصيغ الصرفية

1/1- العدول إلى صيغة الاسم

- التوسع في المصادر :

ومن ذلك قوله تعالى : " *وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا*" النبأ الآية 28 . حيث عدل فيه عن المصدر تكذيبا لأجل الإيقاع . ولما يدل عليه من المبالغة في التكذيب أكثر من المصدر الأصلي خاصة وأن أغلب ما يكون التوسع يكون للمبالغة [2].

ذلك أن " كذّابا" جاءت لتدل على أن الكفار تمادوا في تكذيبهم لآيات وحجج الله عز وجل فهزؤوا بيوم القيامة وكذبوا بها تكذيبا وكانوا من الذين لا يخافون الحساب وفندوه تفنيدا عظيما .

---

[1] أبو عبد الله بدر الدين بن الفاخم ، شرح ابن ناظم على ألفية ابن مالك تحقيق محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية بيروت ط1 2000 م ، ص582.

[2] ينظر ؛ الكشاف 178/1 ومعاني القرآن 525/2.

فمجيئ المصدر كذب على وزن فعّال بمعنى كذّابا[1] . وجاء في تفسير القرطبي أن قراءة كذّابا بتشديد الذال وكسر الكاف على كذب أي كذبوا تكذيب كبيرا .

أما الفراء فيرى أنها لغة يمانية فكل فعل عندهم مصدره فعّال مشدد والملاحظ هنا أن كذّابا فيها من الشدة ما فيها لتدل على شدة الإعراض والتكذيب فصيغة المصدر على وزن فعّال بتشديد العين جاءت لتدل على الكثرة والمبالغة في الإعراض وهذا ما لا نجده في قولنا تكذيبا إذ أننا نلمس نوعا من التخفيف وتواضع في الدلالة على المعنى المراد الوصول إليه أو المراد إبلاغه إذ أن إيقاعها بوصل معناها في صورة بلاغية جميلة دل عليها هذا الخروج عن الأصل في المصدر[2] .

ومنه قوله تعالى : " *وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا* " نوح الآية 17. حيث يرى الرازي أن السر في الخروج عن الأصل في قوله أنبتكم إنباتا الى قوله أنبتكم نباتا سر جميل تتجلى فيه أسس مظاهر البلاغة والإعجاز القرآني.

المراد أنبتكم فنبتم نباتا والسر في هذا التوسع والخروج عن الأصل هو أنه لو قال أنبتكم إنباتا لكان المعنى أنبتكم إنباتا غريبا ولما قال أنبتكم نباتا كان بمعنى أنبتكم إنباتا عجيبا . وهذا الثاني أولى لأن الإنبات صفة لله تعالى وصفة غير الله محسوسة لنا فلا نعرف أن ذلك الإنبات إنبات عجيب كامل إلا بواسطة إخبار الله تعالى ...

و أما لما قال " أنبتكم من الأرض نباتا" فالمعنى أنبتكم فنبتم نباتا عجيبا كاملا كان ذلك وصفا للنبات بكونه عجيبا كاملا وكون النبات كذلك أمر مشاهد محسوس فيمكن الاستدلال به

[1] الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم ، عبد الحميد أحمد يوسف الهنداوي ، شركة أنصار الشريف للطباعة ، ط1 -2008 ، ص167.

2 ينظر معاني القرآن ، ج2 ، ص 226

على كمال قدرة الله تعالى فكان هذا موافقا لهذا المقام ، فظهر أن العدول من تلك الحقيقة الى هذا المجاز كان لهذا السد اللطيف "[1].

وعليه فإن استعمال إنبات تدل على قدرة الله عز وجل على خلق النبات وهو أمر مخفي لا يمكن لأحد سبر أسراره لذلك توسع و استعمل مصدرا آخر – نباتا– ليدل به على مظاهر الإيداع والقدرة التي يتسنى للإنسان مشاهدتها والتسليم لقدرته عز وجل . لأن النفس البشرية بطبعها تذعن لما هو ظاهر وبين .

- **الاتساع باستعمال اسم المرة :**

ومن ذلك قوله تعالى في تكذيب قوم نوح لينبئهم عليه السلام ،" قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ" الأعراف الآية 60-61.

وفي هذه الآية إخبار من الله عز وجل على جواب قوم نوح لما دعاهم الى توحيد الله قالوا إنا نراك في ضلال مبين معناه في أمر زائل عن الحق . وفي قوله (ضلال) دلالة على أن قوم نوح قد اتهموه بالضلال اتهاما مؤكدا ذلك أن ضلال سبقت بـ إن واللام مما يؤكد الحدث وكذلك لفظ (في) بمعنى الإحاطة والانغماس في الانكباب ولفظ مبين كذلك دال على شدة الضلال الذي لا شك فيه[2] .

ولما كان في قولهم واتهامهم كل هذا التأكيد والتشديد على الذنب ناسب أن يستعمل نوح طريقة أشد تأكيدا ولنفي التهمة عن نفسه لذلك خرج عن صيغة المصدر الى صيغة اسم المرة . واستعان في ذلك بحرف الجر " الباء" لينفي أدنى ملابسه له بالضلالة .

[1] مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير فخر الدين الرازي دار الكتب العلمية ط1 /2000؛ج 15/ص743ص-744.

[2] المرجع السابق ص169.

ذلك أن اسم المرة لا يدل الا على الفعلة الواحدة ، ونفي الأدنى من نفي الأكثر[1] . فيرجع حاصل المعنى ليس بي أقل قليل من الضلال فضلا عن الضلال المبين [2].

وعليه فإن مجيئ اسم المرة نكرة في هذا السياق حتى يخرج من دلالة الذنب الواحدة إلى ما هو أقل منه وينفي ذلك عن نفسه والمتصفح لتفسير التحرير والتنوير سيصل الى تخريج آخر مفاده أن الاختلاف بين كلمتي ضلال وضلالة مفاده الحفاظ على جمالية النص حيث أن ضلال الأولى تتبعها لفظة مبين ولو أنثناها لصار في النطق ثقل لم تتعود عليه العرب فناسب المقام أن يقول في ضلال مبين . وإنما جاءت الثانية ضلالة درءا للتكرار .

- **الاتساع إلى اسم الفاعل :**

ومن مواضع الاتساع في اسم الفاعل في القرآن الكريم قوله تعالى : " *وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ*" البقرة الآية 145.

فقد عبرت الآية بصيغة الفعل عن أهل الكتاب ولكنها عدلت و انزاحت وتوسعت عن ذلك في حق النبي صلى الله عليه وسلم فعبرت بصيغة الاسم فجاء التعبير باسم الفاعل منفيا لينفي عن النبي صلى الله عليه و سلم أهليته لهذا الأمر من الاصل .

فلو عبر بصيغة الفعل لكان النفي أقل حدة لذلك استعمل اسم الفاعل منفيا ليدرأ أدنى احتمال في انتساب النبي صلى الله عليه وسلم لمتابعة الكتاب وجاء في تفسير ابن كثير أن في قوله " وما أنت بتابع قبلتهم" إخبار عن شدة متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم لما أمره الله تعالى به وفي استعمال اسم الفاعل وإقامته مقام الفعل أسرار بلاغية رهيبة إذ أنها لو قرئت بصيغة الفعل لكانت أقل حدة من اسم الفاعل و هو الهدف المنشود .

---

[1] ينظر ؛ تفسير الجلالين جلال الدين محمد بن احمد المحلي و جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي دار الحديث القاهرة ط1 2010 ص202.

[2] روح المعاني 151/8.

- **الاتساع في الصفة المشبهة :**

ومثال على ذلك قوله تعالى : " **وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ** " سورة الشعراء الآية 56. حيث اختلف القراء في قراءة كلمة حاذرون فمنهم من قرأها حاذرون ومنهم من قرأها حذرون بدون ألف . فالأولى تدخل في باب اسم الفاعل لأنها دالة على التجدد أما الثانية فتضم الى الصفة المشبهة لأنها دالة على الثبوت .

يقول الألوسي : " أي عاداتنا الحذر و الاحتراز واستعمال الحزم في الأمور وقرأ جمع من السبعة وغيرهم (حاذرون) بغير ألف وفرق بين (حَاذر) بالألف و (حذِر) بدونها بأن الأول اسم فاعل يفيد التجديد والحدوث ، والثاني صفة مشبهة تفيد الثبات ، وقريب منه ما ورى عن الفراء والكسائي أن الحذر من كان الحذر في خلقته فهو متيقظ متنبه"[1].

ومثل ذلك قوله تعالى : " سيقول السفهاء من الناس" الآية 142 سورة البقرة . والسفهاء صفة مشبهة من باب فعل عند ابن عاشور يقول : " السفهاء جمع سفيه الذي هو صفة مشبهة ، من سفه بضم الفاء إذا صار السفه له سجية ..."

وفائدة وصفهم بأنهم من الناس مع كونه معلوما هو التنبيه على بلوغهم الحد. الأقصى من السفاهة بحيث لا يوجد في نفس سفهاء غير هؤلاء"[2].

- **الاتساع في اسم المفعول :**

ومن ذلك قوله تعالى : " *وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ*" الذاريات الآية 47. جاء في مختار الصحاح : الوسع والسعة بالفتح الجدة والطاقة " ينفق ذو سعة من سعته" الطلاق الآية . أي على قدر سعته . و أوسع الرجل صار ذا سعة وغنى[3] .

وقوله تعالى " إنا لموسعون" يحتمل المعنيين :

---

[1] روع المعاني 82/19.

[2] التحرير والتنوير 7/2.

[3] مختار الصحاح : (وسع).

الأول : بمعنى الغني أي وإنا لأغنياء .

الثاني : بمعنى القدرة والطاقة أي وإنا لقادرون ومطيقون .

وقد جمع القرطبي أقوال المفسرين في الآية فقال " وإنا لموسعون" قال ابن عباس لقادرون وقيل: أي وإنا لذو سعة ، وبخلقها وخلق غيرها لا يضيق علينا شيء نريده وقيل : أي وإنا لموسعون الرزق بالمطر ، وقال الضحاك أغنيناكم دليله على الموسع قدره ، وقال القتبي : ذو سعة على خلقنا ، والمعنى متقارب وقيل جعلنا بينهما وبين الأرض سعة .

الجوهري و أوسع الرجل أي صار ذا سعة و غنى ومنه قوله تعالى : " *وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ* " أي أغنياء قادرون فشمل جميع الأقوال[1] .

ومنه نجد أن اتساع الدلالة في اسم المفعول (موسعون) جاء به ليدل على صفتين ثابتين في الله عز وجل هما القدرة والغنى فهذا التشعب في الدلالة على صفات متعددة يختص بها الله عز وجل كان من شأن اسم المفعول تبينها و الوصول بالمتلقي الى الهدف المنشود حيث القدرة والغنى.

- **الاتساع في المفرد** :

ومثال عن ذلك قوله تعالى : " *وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ* (19) *وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ* (20) *وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ* (21) *وَمَا يَسْتَوِي* الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ " فاطر 19-22 فالقارئ لمثل هذه النماذج يجد خروجا على القاعدة المعتادة في الجمع بين الصيغ المتناسقة إفرادا وجمعا .

[1] اتساع الدلالة في الخطاب القرآني محمد نور الدين المنجد دار الفكر 2010 ، ص320.

معنى ذلك أنه لما قال الظلمات كان أولى أن يقول الأنوار وذلك حفاظا على التناسق بين المفردات ولكن هذا الخرق لقاعدة التناسق جاء في الآية اتساعا في معناها ولأنها تحمل دلالات ضمنية يكشف عنها التحليل الآتي :

لما جاء بكلمة النور على صيغة المفرد فذلك لأن سبيل النور لا تشعب فيه على خلاف الظلمات التي تتشعب فيها السبل هذا ما يدعمه أبو حيان بقوله – جمعت الظلمات لاختلاف الضلالات ووحد النور لأن الإيمان واحد[1] .

ويقول الألوسي مؤيدا أبو حيان : " أفرد النور لوحدة الحق كما أن جمع الظلمات لتعدد فنون الظلال"[2].

ويضيف الألوسي تفسيرا آخر حول إفراد النور وجمع الظلمات وهو الإيماء والإشارة الى قلة اتباع الحق ، وكثرة اتباع الباطل[3] .

والخلاصة أن جميع التخريجات متشابهة إذ أن أصحاب الحق قلة على خلاف أهل الباطل الذين تطبعهم الكثرة .

وهذا العدول عن الصيغة إن دل على شيء فإنه يدل على اتساع المعنى وحمله لدلالات مختلفة وذلك من سمات القرآن المعجز في لفظه ومعناه .

و مثله قوله تعالى : " *خَتَمَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ* وَلَهُمْ عَذَابٌ عظِيمٌ " البقرة الآية 7.

يقول فخر الدين الرازي : إنما جمع القلوب والأبصار و وحد السمع للأوجه التالية :

[1] ينظر البحر المحيط 283/2.

[2] روح المعاني 14/3.

[3] ينظر ؛ بدائع الفوائد لابن القيم الجوزية ، ط، دار الكتاب العربي بيروت لبنان 2010 ، ج1/ ص119.

أ- جاء توحيد (السمع) : لأن لكل واحد منهم سمعا واحدا .

ب- إن السمع مصدر في أصله والمصادر لا تجمع .

ج- أن نقدر مضافا محذوفا أي وعلى حواس سمعهم .

د- وحد لفظ (السمع) مع أن ما قبله وما بعده جاء بلفظ الجمع ليدل على مراد الجمع أيضا كقوله تعالى : " يخرجهم من الظلمات إلى النور" البقرة 257.[1]

الاتساع في صيغة جمع الكثرة الى جمع القلة :

ومن أمثلة ذلك في القرآن الكريم قوله تعالى : " وَضَرَبَ اللهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِنْ كُلّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللهِ فأَذَاقَهَا اللهُ لِبَاسَ الجُوعِ والْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُون " النحل الآية 112.أريد بالقرية أهل مكة فإنها كانت آمنة مستقرة يتخطف الناس من حولها ومن دخلها آمن لا يخاف يساق إليها رزقها بسهولة وهناء الى أن كفرت بأنعم الله يعني آلاء الله فبدلهم رزقه خوفا .

فكفرت بأنعم الله : جمع النعمة كالأشد جمع شدة وقيل جمع نعمى مثل يؤسى وأبؤس وهذا الكفران تكذيب بمحمد على حد ما جاء في تفسير القرطبي .

فعلى الرغم من كثرة النعم التي كفرت بها تلك القرية إلا أن التعبير خرج عن جمع الكثرة (نعم) الى جمع القلة (أنعم) لأغراض بلاغية ومسوغات تجعل المعنى يتسع للدلالة على أن كفران نعمة يسيرة أوجب العذاب فما بالك بكفران نعم كثيرة وهو ما يناسب مقام التخويف حسب العلامة أبو سعود [2].

[1] ينظر ؛ مفاتيح الغيب 295/2.

[2] ينظر ؛ تفسير ارشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم أبو سعود العمادي دار الاحياء للتراث العربي ط1 2010 ج 5/ص145.

وتتشابه الأمثلة عن ذلك في القرآن الكريم إذ أن العطاء القليل من الله عز وجل يجعل المرء متنعما كأنه لم ير بؤس قط والعكس بالعكس صحيح .

- **الاتساع في صيغة جمع القلة إلى جمع الكثرة :**

ومن النماذج الواردة في القرآن الكريم في هذا الصدد قوله تعالى : " *مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِئَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ* " البقرة الآية 26.

فالأصل في قوله سبع سنابل أن يصف سبع بسنبلات على نمط ما جاء في سورة يوسف ." وسبع سنبلات خضر" يوسف 43.

وحتى من ناحية مراعاة قواعد التذكير والتأنيث في باب العدد و معدوده فإنه يقتضي أن ترد سنبلات على اعتبار سبع مذكر .[1]

ولكن المعنى هنا اتتبع ليخرج من جمع القلة إلى جمع الكثرة ليدل على المباركة والكثرة من الله لهذه الصدقة الذي يقتضيه سياق الآية إذ أنه يدل على جزاء واسع غير محدود .

فلو قرأت سبع سنبلات لما وفت الغرض البلاغي المراد الوصول إليه ولا اكتفت بالدلالة على النزر اليسير على نقيض ما دلت عليه سنابل من تكثير ولا حصر في العطاء والجزاء من الله تعالى .

2/1- الاتساع في صيغ الفعل .

ومنه التحول في صيغة الفعل من فعّل الى أفعل على نحو ما جاء في قوله تعالى : " *إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا* 16 ;(15) *وَأَكِيدُ كَيْدًا* 17 ;(16)*فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا* " الطارق 17. حيث خرج عن صيغة فعل المشددة في مهل إلى أفعل في أمهل وقد رد بعض المفسرين ذلك على

[1] ينظر المرجع السابق نفسه .

نمط تحسين الكلام وقد دعم السمين الحلبي ذلك في قوله : لما كرر الأمر توكيدا خالف بين اللفظتين [1]. معنى ذلك أن التغيير كان تفاديا للتكرار .

أما الدكتور الهنداوي فيرى أن العدول عن الصيغة الأولى الى الصيغة الثانية جاء لغرض فني مقصود ، ذلك أن الصيغة الأولى تدل على التكثير غالب . أما الثاني فللتعدية غالبا[2] .

وعليه فإن الصيغة الأولى مهل الموحية بطول مدة التمهيل . فيها تسكين وتصبير للنبي صلى الله عليه وسلم . وقد فسر الزمخشري ذلك فقال : فمهل الكافرين بمعنى لا تدع بهلاكهم ولا تستعجل به (أمهلهم رويدا) أي إمهالا يسيرا وكرر وخالف بين اللفظين لزيادة التسكين والتصبير عن الرسول صلى الله عليه وسلم[3] .

وأرى أن القراءة بمهل (فعل) ثم الانتقال إلى أمهل (أفعل) فيها نوع من الطلب على شدة الحدث في الأولى ثم التأني في ذلك وعدم الاستعجال في الثانية حيث أنها جاءت متبوعة برويدا وإنما صغر ذلك من حيث أنه يعلم أن كل قادم قريب وهو يقصد أن يمهلهم الى يوم القيامة .

ومنهم من أرجح التمهيل الى يوم بدر ولكن الأولى أقرب إلى الحق إذ أن الحكم في الآخر يمس الكل على نقيض بدر .

3/1- العدول إلى صيغ ذات دلالات متعددة :

إن القرآن الكريم ثري بالصيغ التي تجمع بين معان ظاهرة جلية وأخرى ضمنية تشير إلى دلالات خفية يقصدها الخطاب لا تفهم إلا من خلال السياق الذي يرد فيه ومن ذلك قوله

[1] ينظر ؛ الدرر المصون 528/6.
[2] ينظر الإعجاز الصرفي ص180.
[3] ينظر ؛ الكشاف 203/4.

تعالى: " *وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ* وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ (43) إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ " يس الآية 43.

فكلمة صريخ في الآية الكريمة جاءت على وزن فعيل . وقد حمل المفسرون صيغة فعيل في لفظه صريح على ثلاثة أوجه يحيل إليها السياق الذي وردت فيه الآية[1] :

1)أن تكون بمعنى مصرخ أو منقذ أي مغيث ذلك أن الآية بصدد بيان مشهد يخوف البشر من قدرة الله عز وجل فهو إن يشأ يغرقهم فلا منقذ ولا صارخ ولا مغيث لهم وإن استغاثوا وصرخوا وهذا ما رجحه الألوسي والسمين الحلبي .

2)أن تكون بمعنى فاعل (صارخ) أي مستغيث ذلك أن حمل الآية بمعنى الصارخ والصراخ لهؤلاء الغرقى يدعم بشدة ما ترمي إليه الآية من تخويف وذلك بتصوير هيئة الصارخ وكثرة الصراخ عند معاينة الأهوال مع افتقاد المغيث والمنقذ أو المعين.

3)أما الاحتمال الثالث فهو أن تكون بمعنى المصدر أي الصراخ نفسه أو أن يكون على تقدير الزمخشري . فلا إغاثة فيكون مصدرا بمعنى الاصراخ[2] .

ومن هنا يتضح كيف يمكن أن تتحد معاني تلك الصيغة لتولد باقة من المعاني و التخريجات التي تتفق مع سياق الكلام وتتناغم معه إذ أن الانتقال من تأويل إلى آخر لا يضر السياق في شيء وفي ذلك سر لطيف من أسرار التوسع في القرآن الكريم وأثره في تعدد المعاني والقراءات .

[1] ينظر ، الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم ، ص182.

[2] ينظر ؛ الدر المصون 486/5 وروح المعاني 28/23.

2- القلب المكاني :

2/أ-لغة : هو تحويل الشيء عن وجهه وقلبه يقلبه قلبا[1] .

2/ب-اصطلاحا : هو احلال حرف موضع حرف آخر[2] .

أو هو تغيير واقع الحروف داخل الكلمة الواحدة[3] .

ويقول أبو حيان القلب تغيير حرف مكان حرف بالتقديم أو التأخير[4] . ويكثر في المعتل المهموز وأكثر ما يكون بتقديم الآخر على ملتوه نحو (راء) مقلوب (رأى) وصاقعة مقلوب صاعقة.

ويكون في تقديم اللام على العين ، والفاء على اللام والعين على الفاء واللام على الفاء .وهو نوعان :

1)**قلب قياسي** : الذي ذكر قياسيته الخليل[5]نحو ما ورد في اللسان على لسان ابن بري (ت 582 هـ) تعليق على قوله تعالى : " *وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ*" الإسراء .

وقرأ ابن عامر [6]؛ (وناء بجانبه) على القلب .

---

[1] لسان العرب 3294/2 (قلب).

[2] التطبيق الصرفي تعريف الأفعال تعريف الأسماء علي جابر المنصوري علاء وهاشم الخفاجي ط 1 عمان الأردن الدار العلمية الدولية للنشر 2002 ص 18.

[3] أسس علم اللغة ماريو باي ترجمة وتعليق أحمد مختار عمر ، ط8، القاهرة ، عالم الكتب 1419هـ- 1998 م ، ص149.

[4] السيوطي جمع الهوامع ، تحقيق عبد العال سالم مكرم ، دار البحوث العلمية 1979 ، ج6، 440.

[5] ينظر ؛ القلب المكاني في اللغة العربية ، حسين محمد شرف ، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، المطابع الأميرية ، ج42، 1398 هـ-1978م ، ص114.

[6] ينظر ؛ معجم القراءات القرآنية 335/3.

وعلله المعري (ت 449 هـ) بقوله القلب في الهمزة وحروف العلة معروف عند أهل المقاييس[1]، يطلب الخفة ، والهروب من الابتداء بالهمزة ، فرأوا أن مجيء الألف أولا كما قروا من شأي الى شاء ومن نأي الى ناء ...[2]

2)**القلب السماعي** : وهو ما يكون عليه التعبير بين أحرف الميزان الصرفي و هو بدوره على نوعين بسيط ومركب .

3)**قلب الضرورة** : وهو كل تغيير يمس الكلمة للضرورة الشعرية .

من ذلك قوله تعالى : "*وعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ*" فكلمة عميق قرأت وجاءت على القلب فقرأت معيق .

وجاء في تفسير ابن كثير أنه قد يستدل بهذه الآية من ذهب الحج ماشيا لمن قدر عليه أفضل من الحج راكب ، لأنّه قدمهم في الذكر .

فدل على الاهتمام بهم وشدة عزمهم ، فالحج – حسب ما دل عليه الأكثرون – راكبا أفضل لأن النبي عليه الصلاة والسلام حج راكبا مع كمال قوته و قوله يأتين من كل فج يعني طريق ، كما قال : " وجعلنا فيها فجاجا سبلا" الأنبياء 31. ويرى السامرائي أن الفج في اللغة العربية هو الطريق في الجبل ونظرا لمشروعيته فإن المركوب يصاب بالضمور و الهزال ذلك بصعوبة الراحة .

وقوله عميق يعني بعيد ، قاله مجاهد ، و عطاء والسدي وقتادة ومقاتل و ابن حيان والثوري .

هذه الدلالة الأولى لكلمة عميق أما إذا قرأت بالقلب المكاني على هيئة معيق . فقد ورد في الكشاف قراءة ابن مسعود معيق ويقال هي البئر بعيدة العمق والمعق[1] .

[1] رسالة الملائكة 6-8.

[2] نفسه ؛ 7-8.

وعليه فإن اختلاف القراءات لأسباب صرفية تتعلق بالقلب المكاني بحروف كلمة عميق وتحولها الى معيق . تصب في دلالة مركزية مفادها البعد لكن الأولى تعني بالطريق أو الطريق الموجود بالجبل أما الثانية فتحيل لعمق البئر الغائرة التي لا تدرك نهايتها بسهولة وفي نظري أن معيق تتسع بالدلالة تدل على شدة البعد وأرى أنها تحقق الهدف المرجو أكثر مما تدل عليه عميق . و مثله قوله تعالى : "*وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرِئْيًا*"

وجاء في الكشاف (رئيا) على القلب كقولهم راء في رأى [2]. وفي البحر قرأ أبو بكر في رواية الأعمش عن عاصم وحميد (وريئا) بياء ساكنة بعدها همزة وهو على القلب[3].

جاء في تفسير البغوي وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثا أي متاعا وأموالا . وقال مقاتل لباسا وثيابا .

ورئيا قرأ أكثر القراء بالهمز أي منظرا من " الرؤية" وقرأ ابن عامر وأبو جعفر ونافع غير ورش: " وريّا" مشددا بغير همز وله تفسيران أحدهما هو الأول بطرح الهمز والثاني من الري الذي هو ضد العطش ومعناه الارتواء من النعمة فإن المتنعم يظهر فيه ارتواء النعمة والفقير يظهر عليه ذيول الفقر.

وعليه فإن التغاير في أماكن الحروف والقلب المكاني لعناصر الكلمة الواحدة بينهم في اختلاف دلالات القراءات مما ينتج عنه اتساع في الدلالات التي تحملها هذه الكلمات .

فكلمة رئيا تدل على المنظر أما إذا حل القلب المكاني بين احرفها فإنها تتسع نحو دلالات أخرى كالارتواء والنعيم . ومن عجيب الإعجاز القرآني أنه مهما اتسعت الدلالة إلا أننا نجرها تصب في معنى موحد مفادها التنعم وحسن الختام .

---

[1] الكشاف 162/3 . وينظر البحر 364/6.

[2] الكشاف 73/3.

[3] البحر 2010/6 – 211.

3- بعض النماذج حول التغاير الصرفي في القراءات :

التبادل بين صيغتي فعل وفاعل .

قال تعالى : "*لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا* " النبأ 23.

قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وعاصم والكسائي " لاّبثين" بالمد بعد اللام ، وقرأ حمزة لبثين بالقصر .

فمن أثبت الألف جاء به على القياس في اسم الفاعل ، ومن قصر[1] ؛ جاء به على حذر وفرح وكلتاهما من اللبث وهو طول الإقامة . ولا شك أن كل فريق سيجد حججا ليثبت صحة قراءته . فمن قرأوا لا يتبين بالمد على الفاعل تدل على الاستقبال والتعبير بما يدل على الاستقبال أقوى من التعبير بما يفيد الحال فقط ، فيكون من باب يعيرك صائدا غدا ، أي أنهم يلبثون حقبة بعد حقبة وهذا مناسب للمعنى في الآية [2]؛ ورد عليهم أن اللبث أقوى لأن اللابث من وجد من اللبث دائما ولا يقال لبث إلا لمن شأنه اللبث كالذي يجثم بالمكان فلا يكاد ينفك منه[3] .

ومن ذلك قوله تعالى : " *أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا نَّخِرَةً* " النازعات الآية 10. قرأ حمزة والكسائي وتتبعه عن عاصم : نّخرة بالقصر وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وحفص عن عاصم " ناخرة" بالمد حيث احتج كل فريق لقراءته فمن قرأ بالقصر رأى أنها أبلغ في التعبير على البلى والتعفن[4] . و هي القراءة الشائعة بين القراء السبع . ومن قرأ بالمد تحجج بأنها أقرب إلى فواصل الآيات التي قبلها وبعدها " الحافرة" الخاسرة .

---

[1] الحجة ابن خالوية ، 238.

[2] الحجة لأبي علي 93/4.

[3] إبراز المعاني 718.

[4] المرجع السابق نفسه .

تبادل بين اسم الفاعل واسم المفعول :

قوله تعالى : " من الملائكة مردفين" الأنفال الآية 09.

قرا السبعة بكسر الذل إلا نافع قرأها بفتح الدال والخلاف هنا بين اسم الفاعل من أدرف واسم المفعول من أردف فمن القراءة بأردف قال أبو عبيد أراد بقوله أردفت ردفت أي جاء بعدها ألا ترى أن الجوزاء تطلع بعد الثريا وعلى أثرها[1] .

ويضيف مردفين من أردفوا أي جاءوا بعد قوم قبلهم . وعليه فهو بمعنى يتبع بعضهم بعضا .

أما من قرأ مردفين بفتح الدال فقصد أردف الملائكة الناس وتقدير الكلام أردف الله الملائكة الناس.

قال أبو عبيد : " تأويله أن الله تبارك وتعالى أردف المسلمين بهم "[2]؛ والخلاف الدلالي بين القراءة الأولى والثانية أن الأولى مردفين للملائكة أما الثانية مردفين فإن الفعل لله عز وجل .

التبادل بين فاعلة وفعلية :

قال تعالى : " أقتلت نفسا زكية" الكهف 74 قرأ ابن عامر والكوفيون زكية بالقصر والتشديد وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو " زاكية" بالمد والتخفيف .

فالقراءة الأولى تدل على صيغة المبالغة أما الثانية فهي اسم فاعل .

[1] حجة القراءات 307.

[2] المرجع السابق نفسه .

الفصل الثالث :

المستويا النحوي و الدلالي و أثرهما في اتساع المعاني و التغاير الدلالي

المبحث الأول : الاتساع في المستوى النحوي:

إن المتتبع لقضايا الاتساع في مختلف المصادر النحوية يجد أنه مرونة وشجاعة تنحرف بالعبارة عن الشائع المألوف بحيث يكون التركيب لا يتطابق تماما مع المعنى المقصود وأنه خروج الأصل والقياس في التركيب اللغوي بالزيادة والحذف بالتقديم أو التأخير بالحمل على المعنى أو التضمين وغير ذلك من الظواهر ، والجدير أن لا يفهم هذا الخروج عن الأصل بأنه قضية اعتباطية وإنما يحدث ذلك ليبين عن جودة فائقة في الخطاب القرآني ونحن في هذا الجزء من البحث سنحاول الوقوف على بعض النماذج التي يكون فيها الاتساع بمسوغات نحوية نخص بالذكر منها ظاهرتي التقديم والتأخير والتضمين لما لهما من تأثير بالغ في تحوير الدلالة والذهاب بها الى أبعد الحدود .

1التقديم والتأخير :

1/أ – لغة : القاف والدال والميم أصل صحيح يدل على سبق ورعف ، ثم يفرع منه ما يقاربه [1]. والهمزة والخاء والراء أصل واحد إليه ترجع فروعه وهو خلاف التقدم[2] ؛ وقدم بالفتح يقدم قدما أي تقدم[3] .

والقدم والقدمة السبقة في الأمر والتأخر ضد التقدم وواضح من تضاد هذين الأصلين أن المراد بهما هو النقل على وجه يتجه فيه أحدهما عكس الآخر .

1/ب– اصطلاحا : يقول الدكتور علي أبو القاسم : " التقديم والتأخير تصرف في العبارة بالنقل بين مكوناتها لاعتبارات بلاغية ، هذا من الجانب الإنجازي ، أما من الجانب البحثي

[1] مقاييس اللغة ؛ لأحمد ابن فارس ، تحقيق عبد السلام محمد هارون 1979 ج65/5 قدم .
[2] نفسه 20/1 (آخر).
[3] الصحاح ؛ تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري ط 4 بيروت 1987 ج 2006/5 قدم .

فيمكن القول : إنه دراسة الحركة الإنتقالية للكلمة والجملة داخل العبارة لرصد أحكامها وكشف أسرارها"[1].

ويعرفه الجرجاني بقوله : " هو باب كثير الفوائد حجم المحاسن واسع التصرف ، بعيد الغاية لا يزال يفتر لك عن بديعه ويفضي بك الى لطيفه ، ولا تزال ترد شعرا يروقك مسمعه ويلطف لديك موقعه ، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك أن قدم فيه شيء وحول اللفظ عن مكان الى مكان "[2].

ومن أمثلة ذلك في القرآن الكريم قوله تعالى : "*كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ* " غافر الآية 35.

لو وضعنا هذه الآية تحت مجهر نحوي لكان الأصل أن نرد بالشكل التالي كذلك يطبع الله على قلب كل متكبر جبار .

فتصبح قلب ← المضاف وكل مضاف إليه .

لكن بلاغة القرآن الكريم اقتضت غير ذلك حيث جاءت الآية على تغيير مواقع المتضايفين فقدمت المضاف إليه على المضاف وليس هذا التقديم والتأخير اعتباطيا وإنما جاء على تلك الصورة لفائدة بلاغية ، جميلة لا يفيدها التعبير الأصلي أو المفترض .

حيث أن هذا التغيير بين المتضايفين جاء ليحمل دلالتين مختلفتين ليحقق بذبك توسعا في المعنى جعل الآية تقدم في صورة بلاغية حلوة وبذلك يكون قد أفاد معنيين :

أولهما : دلالة على الشمول وهو طبعه على قلب المتكبرين عموما ، ومن ثم يعم قلب كل متكبر جبار ، وهو ما يستشف من الآية في ظاهر الأمر وقد ورد على الألوسي قوله : " الظاهر

[1] بلاغة التقديم والتأخير في القرآن الكريم على أبو القاسم عون ط1 بيروت لبنان دار المدار الإسلامي 2006 م 47/1.
[2] دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق محمود محمد شاكر أبو فهو ص106.

أن عموم كل منسحب على المتكبر والجبار أيضا فكأنه اعتبر أولا إضافة قلب الى ما بعده ثم اعتبرت إضافته الى المجموع"[1].

وثانيهما : دلالته على الشمول أيضا لكنه يخص هذه المرة القلب كله لا جزأه فيكون الطبع مستغرقا كل قلبه وكل قلوب المتكبرين الجبابرة عموما لا يدع منها شيئا .

وعليه فإن هذا التغيير بين مراتب المتضايفين بتقديم المضاف إليه على المضاف أفاد توسعا في المعنى من حيث أنّه ألم بالمعنيين جميعا فلو قرأت الآية على التعبير المفترض بإقامة كلاهما مقامه الأصلي لأفاد المعنى استغراق الجبابرة ولا يفيد استغراق القلب كلّه[2].

وإن كان تقديم المضاف هو الصح فإن تأخيره في هذه الآية أصح لما قدمه من أهداف في بلوغ مراتب دلالية سامية جاءت على وجه التوسع لتبين عن إعجاز نحوي بلاغي رائع ما كان ليكون لو قرأت الآية على أصلها .

و مثال آخر على التقديم والتأخير في القرآن الكريم ما يكون فيه تقديم اللفظ على عامله للاختصاص نذكر منه على سبيل التمثيل لا على سبيل التفصيل لأن الحالات تكثر في هذا الصدد .

ومنه قوله تعالى : "قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ۖ" الملك الآية .

فلو تأملنا الأفعال الواردة في الآية لوجدنا أنها اشتملت على فعلين الأول آمنا والثاني توكلنا ، فوجه الشبه بينهما أنهما مرتبطان بجار ومجرور أما الاختلاف الواضح هو قضية التقديم والتأخير . حيث نرى أن آمنا قدمت على الجار والمجرور على عكس توكلنا التي تأخرت عليه .

[1] ينظر ؛ الجملة العربية لفاضل صالح السامرائي ، دار ابن حزم بيروت ط1 /2000 ص 190 .
[2] ينظر ؛ المرجع نفسه ص190.

فالدلالة السطحية للآية توحي بالإيمان والتوكل على الله عز وجل لكن قضية التقديم والتأخير تتوسع بالدلالة لما هو أبعد من ذلك كما ورد في التفاسير : " ذلك أن الإيمان لما لم يكن منحصرا في الإيمان بالله بل لابد معه من رسله وملائكته وكتبه واليوم الآخر وغيره مما يتوقف صحة الإيمان عليه ، بخلاف التوكل فإنه لا يكون إلا على الله وحده لتفرده بالقدرة والعلم . قدم الجار والمجرور فيه ليؤذن باختصاص التوكل من العبد على الله دون غيره لأن غيره لا يملك ضرا ولا نفعا فيتوكل عليه"[1].

وعليه فإننا نلمس أن هذا التقديم والتأخير إنما فعل في الجملة لأغراض بلاغية تتمثل في اتساع الدلالة و الوصل بالمتلقي الى خبايا المعاني التي يحملها كل تركيب ، فالتقديم في قوله آمنا جاء لأن المتلقي يحتمل أصنافا أخرى من أركان الإيمان فكان الأولى أن تقدم لاحتماله لمجموعة من المعطوفات التي ستليه لا محالة ، أما التأخير في قوله توكلنا جاء ليخص التوكل على الله عز وجل لا شريك له . لما له من قدرة و عظمة.

وفي ذلك بصمة جميلة صبغها اتساع الدلالة لما تغيرت مواقع الكلمات.

ومثلما يقدم اللفظ على عامله في القرآن الكريم فإنه يقدم كذلك على غير عامله لأسباب عديدة يقتضيها المقام وسياق القول .

فقد يكون سياق الكلام متدرجا حسب القدم والأولوية في الوجود فيرتب ذكر الكلمات على هذا الأساس فيبدأ بالأقدم ثم الذي يليه ومن ذلك قوله تعالى : " *وَمَا خَلَقْتُ* الْجِنَّ وَالْإِنسَ *إِلَّا لِيَعْبُدُونِ* " الذاريات 57.

[1] البرهان ؛ في علوم القرآن للزركشي تحقيق محمد ابراهيم أبو الفضل ط1/1376هـ-1957م ج2 3121 ، وينظر في التفسير الكبير ، فخر الدين الرازي ط1 دار الفكر 1409 هـ-1981 م .ج30 ص76.

فتقديم الجن على الإنس جاء لاتساع الدلالة وحمل معنى مفاده أن الجن خلق قبل الإنس وذلك بدليل قوله تعالى : " *وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ* " الحجر الآية 27. فذكر الجن أولا ثم ذكر الإنس بعدهم .

ومنه قوله تعالى :" *يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ*" الآية 25 سورة التوبة .

فالتقديم هنا أيضا بدأ بالرتبة والتدريج فجاء بالجباه ثم الجنوب ثم الظهور وهذا الترتيب لم يأت جزافا إنما ليتسع بالدلالة الى معان تبرهن عن مسوغات تقديم كل واحدة على الثانية .

فقيل : " لأنهم كانوا إذا أبصروا الفقير عبسوا وإذا ضمهم وإياه مجلس ازوروا عنه وتولوا بأركانهم وولوه ظهورهم"[1].

فجاء الترتيب إذن بحسب تدرج الأفعال التي كانوا يقومون بها ولو شوشت هذه الأفعال لما وصلت إلينا صورة هؤلاء المعرضين عند التصدق كما أوصلتها الآية الكريمة . ففي هذا الترتيب نقل لصورة حية مجسمة توضح حال المعرضين بالتفصيل ثم فيها التلاعب بمراتب الكلام ولو قرأت على الأصل لما أفادت الهدف المنشود .

2- التضمين :

2/أ- لغة : هو كل شيء أحرز أو جعل في وعاء شيء آخر فقد ضمنه [2].

2/ب- اصطلاحا : قال عنه ابن جني : " اعلم أن الفعل إذا كان بمعنى فعل آخر وكان أحدهما يتعدى بحرف والآخر بآخر فان العرب قد تتسع فتوقع أحد الحرفين موقع صاحبه إيذانا بأن هذا الفعل في معنى ذلك الآخر فلذلك جيء معه بالحرف المعتاد مع ما هو في معناه"[1].

[1] الكشاف 38/2.

[2] ينظر العين (ضمن) ؛ 26/3 ومجمل اللغة (ضمن) 566/2.

والتضمين إشراب اللفظ معنى لفظ آخر وإعطاؤه حكمه لتصير الكلمة تؤدي مؤدى كلمتين

ومن ذلك قوله تعالى : " *فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ* " النور الآية 63. فكلمة يخالفون تشربت أو تضمنت معنيين أولهما المخالفة و هو الظاهر أما الآخر فهو يخرجون وهو ما يدل عليه حرف الجر عن إذ أن الأصل أن يقال يخرجون عن أمره فعدل عنها الى يخالفون وجاء في تفسير البغوي أن معناها الإعراض عن الرسول في أوامر الله والإعراض عنه بغير إذن[2].

ويضيف فاضل السامرائي أن معنى يخالفون يفيد يبتعدون عنه وينحرفون فلو قال يخالفون أمرنا يعني يخالفون كله وهو هنا حذرنا من الابتعاد فقط وليس من المخالفة[3] .

ومسألة التضمين هنا تحمل رسالة رهيبة تعمل على توسع دلالات المعنى بحيث أنه حذر من مجرد الابتعاد فكيف بالذي يخالف كل أموره ومثل ذلك قوله تعالى : " *إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ*" المطففين الآية 2. والنموذج المذكور من النماذج التي وقع فيها خلاف بين النحويين في ما يخص أولوية التضمين هل هي الأفعال أم نيابة الحروف عن بعضها البعض فذهبت طائفة الى أن القول بنيابة الفعل أقوى وأولى من القول بنيابة الحرف ، ومنهم من رأى عكس ذلك . ومنهم من عالج المسألة معالجة توفيقية فجمع بن الوجهين .

حيث يقول الرضي الأستر باذي (ت 686 هـ) : واعلم أنه إذا أمكن في كل حرف يتوهم خروجه عن أصله وكونه بمعنى كلمة اخرى أو زياداته أن يبقى على أصل معناه الموضوع له هو ، ويضمن فعله المعدى به معنى من المعاني يستقيم به الكلام فهو الأولى بل الواجب فلا نقول إن

---

[1] الخصائص 295/2.

[2] ينظر الكشاف 79/3 والبحر المحيط 76/8.

[3] حاشية الصبان ؛ على شرح البستوني لألفية بن مالك الشافعي ط 1 ، 1417 هـ- 1997 م بيروت –لبنان – ج2 ، 145.

على بمعنى من في قوله : وإذا اكتالوا على الناس يستوفون " بل يضمن (اكتالوا) معنى تحكموا في الاكتيال وتسلطوا[1] .

فالدلالة التي كشر بها فعل اكتالوا متفرعة الأولى تدل على الوزن والاكتيال وهو الظاهر أما الثانية فهي التحكم والتسلط عليهم في المكيال. ومن ذلك قوله تعالى: " *وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ* ۚ" .

أي لا تضموها اليها آكلين . فاتسعت الدلالة هنا بحرف الجر فأفادت معنى الضم والأكل . وجاء في الطبري لا تأكلوا أموالكم و أموالهم تخلطوها فتأكلوها جميعا[2] .

فالأصل أن تقول إكتال منه ولا تقول إكتال عليه والفعل إكتال عدي بعلى في الآية للدلالة على التسليط .

و جاء في تفسير البغوي لا تأكلوا أموالكم الى أموالهم أي مع أموالكم وحجته في ذلك قوله تعالى : " من أنصاري إلى الله" أي مع الله فدلالة التضمين عنده حققها حرف الجر الذي اتسع بالمعنى الظاهري الى دلالة أعمق مفادها يتلاءم مع ما يقتضيه السياق[3] .

ومن ذلك أيضا قوله تعالى : " *حَقِيقٌ عَلَىٰ أَن لَّا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ* " الأعراف 105 .

ضمن حقيق معنى حريص ليفيد أنه محقوق يقول الحق وحريص عليه .

وجاء في تفسير الآية ما معناه أن تحقيق بأن لا أقول على الله الا الحق أي جدير بذلك وحري به . وقالوا والباء وعلى يتعاقبان فيقال جاء على حال حسنة وبحال حسنة وقال بعض

[1] شرح شافية ابن حاجب 345/4 الرضا الأستر بادي ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان 1975 ج4 ص 345 وينظر خزانة الأدب 128/2 عبد اقادر بن عمر البغدادي ، مكتبة الخانجي 1415 -1997 ط4 ، ج 2 ،128.

[2] تفسير الطبري 8446/7.

[3] معاني القرآن للقراء 386/1 ، تحقيق أحمد يوسف النجاجي محمد علي النجار ، عبد الفتاح اسماعيل الشبلي ، الدار المصرية للتأليف والترجمة مصر ط1 ، ج1 ، ص386.

المفسرين معناه حريص على أن لا أقول على الله إلا الحق وقرأ آخرون من أهل المدينة حقيق علي بمعنى واجب وحق.

ففي ذلك ألا أخبر عنه إلا بما هو حق وصدق ، لما أعلم من عز جلاله وعظيم سلطانه .

فحقيق هنا تضمنت معنى حريص وجدير وفي ذلك اتساع في الاسم جعله يصل بالدلالة الى أبعد مستويات الهدف المنشود . والتضمين من الظواهر المعروفة أو الموجودة بكثرة في الذكر الحكيم فنجد " أذاعوا به" النساء 83 بمعنى أفشو به .

" وأصلح ليفي ذريتي" الأحقاف 15 تضمنت معنى بارك لي في ذريتي والذي دل على بارك هو حرف الجر في إذا أننا بقول أصلح لي ذريتي وبارك لي في رزقي فلما كان حرف الجر بعد الفعل ضمنه وأشربه معنى بارك وتوسع بدلالة الجماعة لتنفيذ دلالتين الأولى هي الإصلاح والثانية في البركة .

وقوله تعالى : " *عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا*" الإنسان الآية 6. فالفعل (يشرب) ضمن معنى (يروي) لأنه لا يتعدى بالباء فأريد به الشرب والري معا وفي هذا اختصار للفظ وتوسيع المعنى .

ومنه نخلص الى أن التغيير في مراتب الكلام يولد دلالات موسعة تسمو به نحو أعلى بروج البلاغة والإعجاز في لفظه ومعناه .

3 بعض النماذج عن اتساع القراءات نحويا :

قال تعالى : " *فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَم تَرَوهَا* وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم " التوبة 40 .دار الخلاف هنا في قراءة كلمة فالوجه الأول برفع التاء وقرأ بها الجمهور والوجه الثاني بنصب التاء وقرأ بها الحسن ويعقوب و المطوعي وابن عباس و عكرمة قتادة والضحاك[1].

فمن قرأها بالرفض على اعتبار أنها مبتدأ وجملة (هي العليا) خبر[2] أما من قرأ بالنصب فهو معطوف على مفعول جعل وقد ضعفها الفراء حيث يقول : ولست أستحب ذلك لظهور الله تبارك وتعالى لأنه إذا نصبها والفعل معه كان أجود الكلام أن يقال وكلمته هي العليا [3].

وقال القيس : ومن رفع استأنف وهو أبلغ لأنه يفيد أن كلمة الله العليا على كل حال[4] .

والملاحظ أن ترجيع القراءة بالرفع لما فيها من دلالات على أن الابتداء ومن ذلك قوله تعالى : " *وَمَا كَانَ هَٰذَا الْقُرْآنُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن* رَّبِّ الْعَالَمِينَ " يونس 37. اختلفت القراءات في تصديق ففريق قرأها بالنص وآخر قرأها بالرفع والقراءة بالنص هي قراءة الجمهور وخرج هذا الكسائي والقراء ومحمد بن سعدان والزجاج على أنه خبر كان مضمون .

وتخريج ذلك ولكن كان هو أي القرآن الكريم تصديق أو أن علة النصب فيه كونه مفعولا لأجله وتخريج ذلك يصدق تصديق الذي بين يديه من الكتب وقبل هو عطف عن خبر كان "[5].

وقرأ عيسى ابن عمر الثقفي بالرفع على اعتبار أنه خبر لبمتدأ محذوف و تقدير الكلام فيه و لكن هو التصديق فتصبح خبر لمبتدأ محذوف وهذه القراءة جائزة عند الفراء و حمد بن سعدان[6] .

---

[1] الكشاف 40/2 الدرر المصون 446/3.

[2] ينظر ؛ معاني القراءات ص454.

[3] ينظر ؛ المرجع السابق نفسه 438/1.

[4] التبيان في تفسير القرآن أبو جعفر محمد بن حسن الطوسي ، تحقيق أحمد حبيب العاملي نشر دار إحياء التراث العربية ، بيروت 1309 هـ 5 221.

[5] معجم القراءات عبد اللطيف الخطيب ج3 ص 553.

[6] المرجع السابق نفسه ج3 ، ص544.

ومثال آخر عن الاتساع النحوي وأثره في توجيه القراءات ما جاء في قوله تعالى : " *وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ* سبحانه وتعالى عما يصفون" الأنعام الآية 100. والمقصود بقوله جعلوا الله شركاء الجن أي الشياطين فعبدوهم وأطاعوهم كما أطاعوا الله .

وجعلوا فعل متعد لمفعولين هما " شركاء الجن" فقدم المفعول الثاني على الأول لاستعظام أن يكون لله شريك .

وبالنصب قرأ الفراء وأبو اسحاق على اعتبار أنه بدل من شركاء مفسر له وقرأها يزيد بن قطب بالرفع (الجن) على تقديره من جعلوا شركاء لله ؟ فيجيبهم هم الجن .

وهناك من قرأها بالجر على أن الإضافة للتبيين[1] . فيكون تقدير الكلام جعلوا لله شركاء الجن أو شركاء من الجن .

مثل ذلك قوله تعالى : "*لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ*" البقرة 177. اختلف القراء في قراءة كلمة البر . بين الرفع والنصب " فقرأ حفص وحمزة بنصب البر والباحثون برفعها"[2].

فمن نصب احتج على أنها خبر ليس مقدم والجملة الفعلية المصدرية اسم ليس مؤخر وعلى هذا التقدير فيكون أصل الكلام ليس توليتكم وجوهكم قبل المشرق والمغرب البر كله [3].

أما من قرأ بالرفع " البر" فعلى اعتبار أن ليس بمنزلته الفعل والأصل أن يليها الفاعل ثم المفعول ، فلما ولى البر ليس رفع على أنه اسمها ويكون المصدر المنسبك من (أن تولوا) في محل نصب الخبر [4].

والخلاف هنا خلاف ترتيب فحدث التغاير بين الرفع والنصب لكن الدلالة الأصلية تبقى على حالها .

---

[1] إرشاد العقل السليم الى مزايا القرآن الكريم ج3/ص189.

[2] القراءات السبعة 176.

[3] المرجع السابق نفسه .

[4] الكشاف 281/1.

المبحث الثاني: الاتساع في المستوى الدلالي :

لقد اهتم العلماء بالألفاظ اهتماما كبيرا من حيث تقسيماتها وأنواعها ، ومن حيث دلالتها على المعاني ذلك لأن الأحكام الشرعية تستنبط من الألفاظ إما بطريق الدلالة المباشرة أو بطريق الإشارة والإيماء . فنحن نجد اللفظة توحي بالمعنى السطحي في مواضع وتتسع وتعدل عنه في مواضع أخرى وفي هذا الجزء من البحث سنحاول كشف الحجاب على مجموعة من الألفاظ التي يمسها التوسع الدلالي بالتركيز على عناصر أساسية تختار منها الترادف – المشترك اللفظي والأضداد .

1- الترادف :

1/أ/–لغة : الردف : ما تبع الشيء وكل شيء تبع شيء فهو ردفه ، وإذا تتابع الشيء خلفه الشيء فهو الترادف والجمع ردافى .... ويقال جاء القوم ردافى أي : بعضهم يتبع بعضا ...

وفي حديث بدر فأمدهم الله بألف من الملائكة مردفين ، أي متتابعين يردف بعضهم بعضا .

والترادف : التتابع [1].

إذن دلالة الترادف اللغوية تدور في حيز تتابع الأشياء أو الناس بعضهم ببعض .

1/ب– اصطلاحا : فهو تعدد الألفاظ بمعنى واحد ، أو اختلاف اللفظين والمعنى واحد على حد عبارة سيبويه [2].

أو اتحاد المسمى واختلاف أسمائه على حد تعبير ابن أثير [3].

---

[1] لسان العرب (ردف) 1625/3.

[2] الكتاب لسيبويه 7/1.

[3] المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر لضياء الدين ابن كثير تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، ط 19391.ج 1 ص 50

فالتعريفان إذن يصبان في قالب واحد أولهما يقصد تتابع الأشياء و الناس والثاني يريد تتابع الألفاظ الدالة على شيء واحد في الاستخدام .

وقبل الخوص في أغوار هذا الطرف من البحث لابد من الإشارة الى أن الترادف يجوز في غير السياق إذ أن مفردات القرآن الكريم لا تحيل بنفس الدلالة ولكنها تصب في المعنى الإجمالي لها وهذا ما أدخل الدراسين في خلاف بين مثبت للترادف في القرآن و ناف له من أمثال الزركشي الذي أفرد له باب في الكشاف بعنوان

قاعدة هناك ألفاظ يظن بها الترادف وليس منه فلا يقوم مرادفها فيما اشتمل فيه مقام الآخر و أدى بالقول بالقطع بعد الترادف ما أمكن ومنه نكون قد وصلنا بذلك الى أن الترادف يكون موجودا خارج التراكيب أما داخلها فلا وجود له .

ومن الشواهد القرآنية في الترادف قوله تعالى : " يَخْشَوْنَ *رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ* "الرعد الآية 21.

جاء تفسير الطبري يخشون عقاب الله على مخالفتهم له ويخافون يحذرون مناقشة الله إياهم يوم الحساب [1].

أما ابن كثير فقد فسرها على أنهم يخشون الله فيما يقومون به ويخافون حسابه في اليوم الآخر.

أما في علوم القرآن فورد أن الخشية تكون من عظم المخشي وإن كان الخاشي قويا ، والخوف يكون من ضعف الخائف وإن كان المخوف أمرا يسيرا .

فالظاهر إذن أن الخوف مرادف الخشية ولكن الدلالة الأصلية للمفردتين ضمن السياق فيها اختلاف مفاده أن الأولى : الخشية – تكون لعظمة المخشي مصدقا لقوله تعالى : " ويخشون

[1] ينظر؛ تفسير الوصل فيما سلف 415/1.

ربهم" إذا أنها الخوف الذي يشوبه لعظيم لقوله " إنما يخشى الله من عباده العلماء ". أما الثانية – الخوف– فهو توقع أمر مكروه يخاف منه .

ويضم الى الخوف والخشية الوجل في قوله تعالى : " *الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ* " الحج 35. وقد أسند الوجل للقلب على خلاف ما سبق . فالوجل إذن اضطراب في القلب بالتحديد.

ومن ذلك أيضا قوله تعالى : " *إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحْ اللَّهُ لَكُمْ* " المجادلة 11.

وقوله تعالى : " *الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا* " آل عمران 191.

فقعد وجلس من المترادفات خارج السياق التركيبي لكن داخل السياق فإن لكل واحدة مؤداها ومعناها الخاص . ففي سورة المجادلة جاءت المجالس ولم تأت المقاعد .لأن الجلوس يكون يسيرا أما القعود فيدل على المكث الطويل ودليله في ذلك أن العرب تقول جليس الملوك ولا تقول قعيده لقصر .

ومن روائع التفريق بين المفردات ما ورد في قوله تعالى : " *الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا* " المائدة الآية 03.

ورد في الآية الكريمة مفردتين متقاربتين هما أتممت وأكملت يتوسطهما العطف الذي يقتضي المغايرة كما هو معلوم .

وسر الاختلاف بينهما أن أكملت سبقت الدين والدين من الأمور الكاملة التي لا يزاد فيها وعليها من أمور الحلال والحرام والسنن والفروع وغير ذلك . إذن فهي دالة على الكمال وإزالة شهبة النقصان بعد تمام الأصل. أما أتممت فتلتها النعمة جاء الإتمام لأن النعم لا تكتمل.

ومنه فإن أكمل وأتم إذا أدخلا في سياق تركيبي فإن كل منهما له مفاده الخاص ..

وقال ابن كثير : هذه أكبر نعم الله على عباده حيث أكمل لهم دينهم فلا يحتاجون الى دين غيره[1].

وهو ما يدع ذكره . مما يبهر الألباب ويسلب النهي لاتساع المعاني ودقتها في التعبير . ومثل ذلك ما ورد في اتساع الدلالة بين آتى و أعطر .

في قوله تعالى : " *وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ* " الحجر 87. وقوله : " *إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ* " الآية 1 سورة الكوثر .

فمعنى أتاه أعطاه في المعنى دون دخول التركيب لكن سياق الآيتين وضح أن الإتيان أقوى من الإعطاء في إثبات مفعوله (سبعا- الكوثر) ففي النموذج الأول جاء آتى لعظم شأن المأتي به وهو القرآن الكريم أما أعطى في النموذج 2 لأن النبي صلى الله عليه وسلم و صحابته و أتباعه يردون الحوض ثم يتركونه إلى مراتب أخرى من النعيم .

فآتى تستعمل لما هو أوسع في اللغة وهي تستعمل للأمور المادية كما تستعمل للأمور المعنوية أيضا مثل آتينا ابراهيم رشده معنوي وآتيناهم ملكا عظيما مادي .

أما أعطى فتستعمل الأمور المادية فقط " فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى".

وفي التعبير القرآني ما يحيل الى أن الإيتاء فيه حب للبذل ودليل ذلك قوله تعالى : " ويؤتون الزكاة" فالزكاة لابد للمؤمن أن يكون محبا لها وأن يقبل عليها بقوة .

أما الإعطاء فهو نقيض ذلك وهو ما عبر عنه في قوله : " حتى يعطوا الجزية عن يد" التوبة 29 فإعطاء الجزية يكون عن كراهة في نفوسهم من إخراجها . لذلك قال يعطوا الجزية ولم يقل يؤتوا الجزية لأن الفارق بينهما الحالة النفسية التي يتم فيها البذل[2] .

[1] تفسير القرآن العظيم ابن كثير تحقيق سامي بن محمد السلامة ط2 ، ص14 -1990.ج5 ص 246

[2] ينظر ؛ الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم ، مناهج جامعة المدينة العالمية ، جامعة المدينة العلمية ، ج1/ص253.

وعليه فإن الترادف في القرآن الكريم من الأمور التي حسم فيها جل الدارسين من بينهم الشيخ ابن تميمة رحمه الله ونص عليها نصا صريحا بأن ليس هناك ترادفا في سياق القرآن الكريم .

ويضيف شيخ الإسلام أن الترادف في اللغة قليل ، وأما في ألفاظ القرآن فإما ناذر وإما معدوم نظرا لدقة المعاني التي تحيل لها كل لفظة في سياقها الخاص .

2- المشترك اللفظي :

2/أ – لغة : من الجذر الثلاثي (ش.ر.ك) و الشيرك والشركة يكسرهما وضم الثاني ، بمعنى واحد وهو مخالطة الشريكين ، وشارك أحدهما الآخر و الإشتراك هنا بمعنى التشارك[1] . واشترك في : يشترك اشتراكا ، فهو مشترك .

2/ب- اصطلاحا : هو ما اتفق لفظه واختلف معناه[2] .

وعرفه السيوطي ناقلا عن أهل الأصول بأنه اللفظ الواحد الدال على معنيين فأكثر دلالة على السواء عند أهل تلك اللغة [3].

وقال ابن فارس : وتسمى الأشياء الكثيرة باسم واحد ، نحو (عين الماء) و(عين المال) و (عين السحاب)[4].

أما عند أغلب المحدثين فهو اللفظ الواحد الدال على أكثر من معنى[5] هذا وقد تدحرجت قضية المشترك اللفظي بين مؤيد ومعارض إلا أن الأمر الذي لا شك فيه أن للمشترك اللفظي أثر بالغ في تفسير آلي القرآن الكريم وسير أغواره وتوضح دلالاته . وقضاياه وبيان الدور الذي يجب

---

[1] تاج العروس من جواهر القاموس حرف الكاف (ص591).

[2] الكتاب سيبويه ج1 ، ص24.

[3] المزهر ، في علوم اللغة ،عبد الرحمن السيوطي ج1، ط2، بيروت ، دار الكتب العلمي ، ص292.

[4] في فقه اللغة العربية ،أحمد ابن فارس الصاحبي ط1، بيروت ، دار الكتب العلمية 1997، ص58.

[5] علم الدلالة ، أحمد مختار عمر دار العروبة للنشر و التوزيع الكويت 1982ط1، ص145.

أن يكون للكلمة الواحدة في سياق معين . وفيما يلي سنعرض بعض النماذج التي تنضوي تحت بند المشترك اللفظي .

الحميم :

قال مقاتل : " تفسير الحميم على وجهين فالأول منهما الحميم بمعنى القريب ذا الرحم ودليله في ذلك قوله عز وجل : "ولا يسأل حميم حميما " المعارج الآية 10. عن ابن كثير لا يسأل قريب قريبه لشغله بنفسه وشؤونها .

وقوله تعالى في سورة الشعراء " ولا صديق حميم" .الشعراء الآية 101.جاء في تسيير القرطبي ولا صديق حميم يمعنى صديق مشفق .

وقلوه : "كأنه ولي" فصلت الآية 34. يقصد بما سبق القريب والصاحب. يعني أحسنت لمن أساء اليك قادته تلك الحسنة الى مصادقتك ومحبتك حتى يصير قريب وصاحب ومشفق ومحسن إليك على حد ما جاء في تفسير ابن كثير .أما الوجه الثاني : الحميم بمعنى الحار ومن ذلك قوله تعالى : وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم " محمد الآية 15 . يعني حار وجاء في تفسير ابن كثير حارا شديد الحر لا يستطاع فقطع ما في بطونهم من أحشاء.

وقوله تعالى : " يصب من فوق رؤوسهم الحميم " الحج الآية 19 . يعني الحار من الماء ونظيرها في الدخان ، وجاء في الطبري يصب فوق رؤوسهم الماء المغلي فيصهر به جوفه .

فقوله تعالى : "*ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ*" الصافات الآية 67.يعني الحار ويمزج لهم الحميم بصديد وغساق فيمشون تسيل أمعاؤهم وتتساقط جلودهم وقوله : " يطوف بينها وبين حميم آن" الرحمان الآية 44. يعني حار قد انتهى حره[1] وغلى حتى انتهى غليه .

[1] ينظر الوجوه والنظائر ص230 وباسم الوجوه والنظائر أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن البشير ، الوميذي الخرساني تحقيق حاتم صالح الضامن 1427هـ-2006 م –ط1، ج1.ص 153

وقد جاء جل المفسرين بما ذكره مقاتل من أمثال هرون ابن موسى والدامغي وابن الجوزي متخذين من الدلائل السابق ذكرها دلائل لصدق ما جاء رواية ولإثبات صحة أقوالهم .

فالوجهان للفظة حميم معنيين متباينين لا صلة بينهما من قريب ولا من بعيد [لا ترادف و لامجاز ولا وصف] سوى صلة المشترك الفظي وليس لكل منهما لفظ يعبر عنه سوى اللفظ المشترك حتى أننا إذا أردنا تفسيره فإننا نفسره بأقرب المعاني إليه فنقول عن الوجه الأول هو القريب والصاحب ذو الرحم وعن الثاني هو الماء الحار ولا يفيد معنى آخر سوى هذين المعنيين .

حتى إن السامع أو المتلقي للفظة حميم يتبادر الى ذهنه احتمالان الأول القريب والثاني الحار وما يفصل بينهما هو السياق الذي توضع فيه اللفظة ومن ثم تتبين دلالتها الحقيقية . إذا لا مجال للخلط بين اللفظتين فلكل منهما مؤداها الخاص بها فلا يجوز أن يحل الصاحب أو القريب محل الحار والعكس . و سياق القراءات هو الذي يحدد المعنى الذي تحيل إليه .

الاستحياء :

قال الدمغاني : " تفسير استحياء على ثلاثة أوجه : الاستخدام والترك والحياء . فوجه منها يستحيون ، أي يستخدمون كقوله تعالى : " ويستحيون نساءكم" البقرة 49 أي يستخدمون .وجاء في تفسير القرطبي يتركوهن أحياء ليستخدموهن و يمتهنوهن بعد أن قتلوا ذكورهم وفي ذلك إذلال لهم .والوجه الثاني يستحي بمعنى يترك ودليل ذلك قوله تعالى : " إن الله لا يستحي أن يضرب مثلا ما" البقرة 26. أي لا يترك أن يضرب مثلا . معناه لا يترك ولا يخشى أن يضرب مثلا بالبعوضة فما قولها حسب ما جاء في الوجيز للواحدي والوجه الثالث : يستحي من الحياء ومن ماورد في قوله في سورة الأحزاب ." *إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ*".

أرادب الحياء[1] . وهنا استحياء خاص من عمل خاص لأن السكوت عن بعض الأمور ليس الموافقة عليها كما جاء في تفسير ابن عاشور .وقد حذا حذو الدامغي في هذا كل ابن جوزي و الفيروز أبادي إلا أن الاختلاف بينهم في تسمية الوجه الأول الذي أسماه الدامغي الاستخدام وسموه هم بالاستيفاء للخدمة[2] .

أما ابن فارس فله رأي آخر في هذا الخصوص فيقول : " الحاء والياء والحرف المعتل أصلان أحدهما خلاف الموت والآخر الاستحياء الذي هو ضد الوقاحة"[3]. وهو بذلك يسقط الوجه الثالث الذي جاء به الدامغي وأتباعه وهو الترك .

الوجه الأول المقصود به الحياة و ذلك في قوله يستجيبون نساءكم والمعنى يتركون بناءكم أحياء، وإنما فعلوا ذلك للخدمة إن الكهنة أخبروا فرعون بأنه يولد مولود يزول ملكه يسببه[4] .

معنى ذلك أنه لما تكهن لفرعون أنه سيولد ولد تكون نهايته على يده أمر بقتل الذكور دون الإناث من بني إسرائيل .

أما الوجه الثاني فمن الحياء وهو صفة أخلاقية تتوافر في البعض دون غيرهم ومنه قوله تعالى " *فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ*"القصص الآية 24. معنى ذلك في حياء وحشمة .

وأسقط الوجه الثالث وهو الترك لأنه يرى أنه تأويل مختلف وأنه لا يجوز إقحام صفات الله سبحانه وتعالى وأفعاله في وجوه أي لفظ كان .

---

[1] الوجوه والنظائر ص47.

[2] ينظر نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر عبد الرحمان بن علي بن جوزي ، تحقيق محمد عبد الكريم 1987 ، ط 3 ، ص20-21 . وبصتلرذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز مجد الدين أبو الطاهر الفيروز أبادي 1996.

[3] مقاييس اللغة ، ص239.

[4] مدارك التنزيل وحقائق التأويل ، عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي ، تحقيق عبد المجيد طعمة حلبي ، ط1، 1998 ، ج1، ص51.

وعليه فإن للاستحياء معنيان متباينان لا يربطهما رابط سوى المشترك اللفظي . فالمتلقي لهذه اللفظة يتبادر الى ذهنه تأويلان الأول مفاده الحياة والثاني الحياء ، ولا يصل الى إدراك معناه الحقيق إلا بتوظيفه داخل السياق فيؤدي كل منهما دوره ولا مجال لإقامة الأول مقام الثاني أو العكس .

الحسبان : يعد هذا اللفظ من الألفاظ المشتركة في القرآن الكريم وقد جعله الحيري على وجهين

الأول : بمعنى الحساب أي حساب أوقات الأيام والشهور وهذا ما يدعمه قوله تعالى : "وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ العزيز العليم " الأنعام الآية 96. وعن ابن عباس يعني : عدد الأيام والشهور والسنين .

وقوله تعالى : " الشمس والقمر بحسبان" الرحمان الآية 05. وقد جاء عن ابن عمر في الطبري قوله الشمس والقمر بحسبان أي يجريان بعدد و حساب و عن قتادة أي بحساب و أجل

أما الثاني : فيقصد به العذاب أو الصاعقة وحجته واحدة في الذكر الحكيم وذلك في قوله تعالى : " *فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِ خَيْرًا* مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا" الكهف الآية 40.

جاء في الطبري عن ابن يزيد : حسبان بمعنى عذابا وهو قضاء من الله يقضيه ، فالوجهان يحملان معنيان مختلفان كل منهما مطابق وملائم للسياق الذي وضع فيه فما وضع في الأول لا يصح أن يوضع في الثاني ما يدل على أن الرابط الوحيد الذي يجمعهما هو المشترك اللفظي لا غير[1].

[1] ينظر ؛ وجوه القرآن عبد الرحمان اسماعيل بن أحمد الضرير النيسايوري الجري ، تحقيق ودراسة فضل الرحمان عبد الحليم الأفغاني رسالة لنيل الماجيستير 1404 هـ - 1984 م – ص183-186.

3/– الأضداد:

3/أ– **لغة:** في كتاب العين الضد هو كل شيء ضاد شيء ليغلبه ، والسواد ضد البياض والموت ضد الحياة . تقول ضده وضديده ، والليل ضد النهار إذا جاء هذا وذهب ذاك ويجمع على التضاد أو الأضداد [1].

وورد في كشف الظنون [2]؛ أن الضد في اللغة يقع على معنيين متضادين والمراد هنا الألفاظ التي أوقعها العرب على المعاني المتضادة فيكون الحرف منها مؤديا لمعنيين مختلفين بدلالة السياق .

3/ب– اصطلاحا :قال ابن فارس رحمه الله : ومن سنن العرب في الأسماء أن يسموا المتضادين باسم واحد . وقيل هو أن يطلق اللفظ على المعنى وضده "[3].

ويعرفه الرافعي في تاريخ آداب العرب بأنه : " إبقاء اللفظ الواحد على معنيين مختلفين"[4].

ومنه فإن التضاد هو كل كلمة تحمل معنى كلمتين متضادتين ومن الأضداد الواردة في القرآن الكريم .

الدين : قوله تعالى : " ملك يوم الدين" الفاتحة 4 .فكلمة الدين تعتبر من الأضداد في اللغة العربية .

قال القرطبي : " قال ثعلب دان الرجل إذا أطاع ، ودان إذا عز ودان إذا قهر فهو من الأضداد"[1].

---

[1] تهذيب اللغة الازهري دار المعرفة : رياض زكي قاسم بيروت ط 10–ج11 1422 هـ– 2011 م ص455.

[2] مطر بن عبد الله ؛ حاجي خليفة كشف الظنون عن أساس الكتب والفنون (دار الكتب العلمية بيروت 1413 هـ– 1992 م ج1ص15).

[3] ، فقه اللغة مفهومه موضوعه وقضاياه محمد بن ابراهيم الحمد دار بن خزيمة ص187.

[4] ؛ تاريخ آداب العرب مصطفى صادق الرافعي ، دار الكتاب العلمية ، بيروت لبنان 1421 هـ– 2000 م ج 1 ص156.

فالدين إذن معناها اليوم الدين يملكه الله عز وجل ويحاسب فيه أهل الطاعة ويعاقب فيه أهل المعصية فيعزهم ويذل الأولين .

فوق :

في قوله تعالى : "*إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا* " البقرة 26. فكلمة فوق تعتبر من الأضداد التي تساهم في اتساع الدلالة القرآنية .

ذلك أنها تحمل معنيين متضادين فتكون بمعنى[2] أعظم و تكون بمعنى دون فمن قال بأنها تفيد معنى أعظم منها يقصد " ما زاد عليها في الحجم كالذباب "[3]. وأشار ابن كثير في تفسيره الى الآيات التي تعدم هذا الجانب من الجدل وأشار ابن كثير في تفسيره الى الآيات التي تدعم هذا الجانب مكن الجذل ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى : "*يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ* ۚ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ" الحج 73.

وقوله أيضا : " *مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا* " العنكبوت 41.

ولما جاءت الآيتين على ذكر الحشرتين الذباب والعنكبوت فإن ابن كثير يرجح أن الخطاب في سورة البقرة قد رمز له بقوله فما فوقها[4] وقد حذا السمين الحلبي حذوه فقال : " ما فوقها في الكبر وهو الظاهر [5]".

---

[1] الجامع لأحكام القرآن؛ 144/1.

[2] الأضداد ابن الأنباري ، تحقيق أبو الفضل ابراهيم 1407 هـ-1987 م ، ص72.

[3] الكشاف ، ص24.

[4] تفسير ابن كثير ج 1 ، ص88.

[5] الدرر المصون في علوم الكتاب المكنون ، احمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي ، تج ، أحمد الخراط ، دار القام – دمشق – سوريا د/ط ج1 ص256.

أما الطرف الثاني فقد ذهب إلى القول بأنّ فوقها تفيد المعنى دونها وأقل منها . حيث قصد بقوله ما فوقها . " في الصغر والقلة"[1] . أي " ما تجاوزها و زاد عليها في الصغر والحقارة"[2]. وهو ما قال به الزمخشري في أساس البلاغة : أي يزيد عليه في الصغر كقوله تعالى مثلا ما بعوضة فما فوقها[3].

معنى ذلك لن يستطيعوا خلق بعوضة ولا أقل منها . وأنا أرى أن الرأي الثاني هو الأرجح و الأصح لما وثقه الإيجاز العامي في آي القرآن الكريم حيث أثبتت الدراسات العلمية وجود حشرة دقيقة جدا موجودة على ظهر البعوض وقد تكون من أدق وأصغر ما خلق الله عز وجل والراجع أنه قصدها بعينها .

هذا ويبقى السياق سيد الموقف فهو وحده التي يضبط المعاني والدلالات المقصودة .

بعد : قال أبو بكر الأنباري : " وبعد حرف من الأضداد يكون بمعنى التأخير وهو الذي يفهمه الناس ، ولا يحتاج مع شهرته الى ذكر شواهد له ويكون بمعنى قبل .قال تعالى :" *لَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ* " الأنبياء 105. فمعناه عند بعض الناس من قبل ... وقال الله عز وجل : " *أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا* (27) *رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا* (28) وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا (29) وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ".فمعناه : والأرض قبل ذلك دحاها ، لأن الله خلق الأرض قبل السماء "[4].

[1] الطبري ج1 ص140.

[2] الكشاف ؛ الزمخشري ج1 ، ص240.

[3] المرجع السابق ج1، ص42.

[4] الأضداد للأنباري ص75-76 والأضداد في كلام العرب لأبي الطيب ص79.

يقول الزجاج : " الزبور جميع الكتب : التوراة والإنجيل والفرقان ، لأن الزبور والكتاب بمعنى واحده والمعنى ولقد كذبنا في الكتب من يعد ذكرنا في السماء"[1].

وقال الواحدي: وقوله تعالى ." ولقد كتبنا في الزبور" يعني جميع الكتب المنزلة من السماء . (من بعد الذكر) من بعد ذكرنا في السماء[2] .

أما بعد في قوله تعالى أأنتم أشد خلقا أما السماء بناها . رفع سمكها ... والأرض بعد ذلك دحاها".

يقول الطبري : " اختلف أهل التأويل في معنى قوله تعالى : (بعد ذلك) فقال بعضهم دحيت الأرض من بعد خلق السماء... وذلك أن الله خلق الأرض بأقواتها من غير أن يدحوها قبل السماء ، ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات ، ثم دحا الأرض بعد ذلك ، فذلك قوله والأرض بعد ذلك دحاها"[3].

قال ابن الجوزي : (والأرض بعد ذلك) أي بعد خلق السماء دحاها أي : بسطها[4].

ويقول القرطبي : " والأرض بعد ذلك دحاها " بسطها وهذا يشير الى كون الأرض بعد السماء"[5].

وقال ابن عاشور " أي بعد خلق السماء خلق الأرض مدحوة ..."

وهذه الآية أظهر في الدلالة على أن الأرض خلقت بعد السماوات[1] . هذا وقد اتخذ العديد من الدارسين من الآيات الكثيرة التي وردت في حق خلق السماوات و الأرض دليلا على صدق

---

[1] معاني القرآن وإعرابه ج3 ، ص330.

[2] الوسط في تفسير القرآن المجيد النيسايوري ، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود ، علي محمد معوض ج3 ، ص254.

[3] جامع البيان ؛ في تأويل القرآن الطبري 2000- 30-57.

[4] زاد المسير في علم التفسير ؛ محمد الجوزي تحقيق عبد الرزاق المهدي ، دار الكتب العربي بيروت ط 1 ، 197/8.

[5] الجامع لأحكام القرآن 157/19.

ما جاء به هؤلاء إذ أن السماوات دائما تقدم على الأرض في ما يخص الخلق . في تكرار قوله خلق السماوات والأرض .

القرء: اختلف المفسرون في لفظ (القرء) في قوله تعالى : " *وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ* " البقرة 228. والواحدة قرء[2] .

وقال الأصمعي وأبو عبيدة يقال : قد قرأت المرأة إذا دنا حيضها وأقرأت إذا دنا طهرها"[3].

قال الشافعي رضي الله عنه : " القرأ اسم للوقت . فلما كان الحيض يجيء لوقت جاز أن تكون الأفراد حيضا وأطهارا"[4].

وعليه فإنّ القرأ يدل على معنيين متضادين ويطلق عليهما وهما البداية والنهاية أقصر بداية الحيض ونهايته يعني الطهر.

الظن :

ومما ورد في باب الأضداد ما جاء به الفراء في إثبات ضدية الظن لتبحره في دلالات القرآن الكريم . فمن المعاني التي يحملها الظن الشك واليقين .

فمن الشك قوله : "*إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ* " الجاثية 32. وقوله تعالى : "*وظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ* " .فالظن فيما سبق مفاده التوهم والشك . ومن اليقين قوله : " *الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو رَبِّهِمْ*" البقرة 46 . وقوله : "*إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ* " الحاقة 20. وقوله : " *وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ* " .

---

[1] التحرير والتنوير ؛ ج30 ص77.

[2] الأضداد في كلام العرب لأبي الطيب ، تحقيق عزة حسن دار السلام – دمشق ، ط 2 ، 1996 ، ص359.

[3] التحرير والتنوير ج1 ، ص357.

[4] تاج العروس ، ج1 ، ص252.

ففي قوله إني ظننت أني ملاق ربي دلالة على اليقين بملاقاة الله عز وجل وإيمانه به ولو كان شاكا لما آمن . وأما في قوله إن نظن إلا ظنا فهؤلاء شكاك كفار[1].

وهو ما يدل على أن الظن ليس ضدا لليقين ، وإنما هو درجة من الدرجات الواقعة بين يقينين متضادين يتمثلان في يقين إثبات ويقين نفي[2] . فإذا كثرت دلائل الإثبات صار الشك ظنا واقترب من اليقين فإذا كثرت الحجج التي تثبت الكلام صار الشك ظنا واقترب من اليقين بدليل قوله تعالى : " *وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ* ۗ " سبأ 21 . لذا فإن الظن في قوله : " *يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو رَبِّهِمْ* " لا يؤول ويفسر في رأي الأنباري إلا على القطع في اليقين . وهذا ما يدغمه بوقله : أراد الذين يتيقنون ذلك فلم يذهب وهم العاقل إلا أن الله عز وجل يمدح قوما بالشك بلقائه [3]. ومن هنا يمكن القول بأن، للظن دلالتان الأولى تفيد الشك والثانية اليقين لكن كل هذا مشروط بالسياق التركيبي الوارد فيه إذ أنه المسؤول الوحيد على تحوير الدلالات وتغييرها .

4- نماذج حول التغاير الدلالي في القراءات القرآنية .

ومثال ذلك قوله تعالى : " *وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ* " البقرة 49. جاء اختلاف القراءات في قوله يذبحون فقرأ الجمهور يذبحون وقرأ عبد الله يقتلون[4] .

فالدلالة الشاملة للفعلين هي القتل أو شدة القتل الذي كانوا يتعرضون له من طرف آل فرعون أما توجيه القراءات وأثرها على اختلاف المعنى واتساع الدلالة فإن قوله يقتلون . فلا يتبين لنا كيفية القتل بالضرب أو الذبح أو الخنق يقال : فتله إذا أماته بضرب أو جرح أو علّة"[1].

---

[1] الأضداد قطرب ، تحقيق الدكتور حنا حداد ، دار العلوم للطباعة والنشر الرياض ط2 ، 1984 ص271-272.

[2] ينظر ؛ التضاد في القرآن الكريم ، تأليف محمد نور الدين المنجد ط2 ، 2007 ، ص167.

[3] الأضداد ، إبن الأنباري ص3.

4 ينظر ؛ البحر المحيط 313/1.

أما القراءة يذبحون فتتضح بها كيفية القتل وشناعة الذبح الذي كانوا يتعرضون له فالذبح : " قطع الحلقوم من باطن عند النصيل"[2].

وعليه فإن كلتا القراء تبين توضح الجريمة المرتكبة في حقهم لكن لما جاءت القراءة على يذبحون كانت أشد دلالة وأدمغ في ايصال الرسالة حيث عبرت أكثر عن كيفية القتل لتخرج بالدلالة من الإطار الفضفاض وهو القتل الى المعنى الدقيق وهو الذبح .

ومنه كذلك قوله تعالى : " *وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ* " البقرة 102. فقد حدث التغاير في القراءة في كلمة الملكين فقد قرأها ابن عباس والحسن البصري يكسر اللام (الملكين) وقرأها الجمهور بفتح اللام الملكين وحجة من قرأ الملكين بالكسر في حرف اللام أنه يقصد به رجلين من بني آدم [3]. وحجة من قرأ بفتح اللام أنه قصد ملكان من الملائكة [4]؛ يقصد بهما جبريل وميكائيل .

و منه كذلك قوله تعالى : " *وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا* إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ" الزخرف الآية 57.

قال أبو علي الفارسي : " المعنى أنه لما نزل " إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون " الأنبياء 98 قال المشركون " *وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا* خَيْرٌ أَمْ هُوَ ۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ " الزخرف 58.

---

[1] العين [قتل) 359/3.

[2] المصدر نفسه [ذبح] 66/2.

[3] معجم القراءات القرآنية 164/1.

[4] البحر المحيط 524/1.

أي إن كانت آلهتنا حصب جهنم لأنها اتخذت آلهة وعبدت فعيسى في حكمها قال تعالى : " ولما ضرب عيسى بن مريم مثلا" وفي هذا الذي قالوه " إذا قومك منه يصدون" أي يضحون لما أتوا به عندهم في تسويتهم بين عيسى عليه السلام وبين آلهتهم "[1].

وقد اختلفت القراءات وتغايرت في قوله يصدون ففريق قرأها بضم الصاد وفريق يكسرها .

فقرأ ابن عامر ونافع والكسائي بالضم (يصدون) على أساس أنها من الإعراض والمنع هذا ما يدعمه قوله تعالى : " *وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فهم لا يهتدون* " النمل الآية 24 . أي منعهم بإعراضهم عن اتباع السبيل والصراط المستقيم .

وفي ذلك تبيان شدة إعراض قريش ومخاصمتهم النبي وصدهم عن الاستماع للقرآن .

أما من قرأ بالخفض (يصدون) جاء في لسان العرب " استغرب ضحكا"[2] وقد شرحها مكي بقوله : " يضجون"[3] . أي أنهم لما كانوا يسخرون من النبي صلى الله عليهم وسلم فترتفع لهم جلبة وضجيج بالضحك وهو حال من يحاول الاستهزاء من غير علم ولا هدى .

هذا وعلى الرغم من اختلاف القراءتين فإنهما تعبران معا عن نفسية الكفار الخبيثة المتأرجحة بين الإنكار للحقيقة والصد عنها و الاستهزاء بها وإحداث الجللة بغية صد الناس عن الانصياع لدعاء النبي .

وكذلك قوله تعالى : " أَوَ كُلَّمَا *عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ* بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يُؤْمِنُونَ" البقرة الآية 100 . اختلفت القراءات في هذه الآية في الفعل نبذ ، فقرأ عبد الله نقضه وقراءة الجمهور نبذه .

[1] الحجة في علل القراءات السبع لأبي علي الفارسي ج4 ص316.

[2] اللسان مادة صدد ج3 ص246.

[3] الإعجاز البياني في ضوء القراءات القرآنية .

فتوجيه من قرأها بالنقض : " أن النقض انتثار العقد من البناء والحبل والعقد وهو ضد الإبرام ... ومن نقض الحبل والعقد استعير نقض العهد"[1].

والنقض هو من أبشع الصفات وأذمها التي أسندت لبني اسرائيل لما كانوا عليه من مكر ومخالفة للعهود .

أما توجيه القراءة الثانية وهي النبذ فإن النبذ هو : " إلقاء الشيء وطرحه لقلة الاعتداد به"[2].ومنه استعير نبذ العهد يعني ترك العمل به و اعتزاله وعدم الاهتمام به .

هذا وان اشتركت الدلالتان في صفة واحدة هي الترك والمكر فإنهما تختلفان في أن التعبير بالنقض يشمل المعاهدين جميعا وهذا خلاف ما أخبر عنه القرآن ، أما التعبير بالفعل نبذ لا يشير الى انهم جميعا نبذوا العهد بل فريق منهم فقط ولهذا أوثر التعبير بالنبذ لأنه لا يدل على العموم إنما يدل على فئة معينة نقضت العهد ونبذته .

[1] المفردات في غريب القرآن .652.

[2] البحر المحيط 519/1.

خاتمة

وفي الأخير فبحمد الباري ونعمة منه وفضل ورحمة أضع بصماتي الأخيرة بعد رحلة عرجت فيها على ثلاثة موانئ أولها حول علم القرآن والقراءات والثانية حول مفهوم الاتساع وكيف تناوله القدماء والمحدثون أما الثالثة فكانت أحلاهم إذ أنها أثر مستويات التحليل اللساني في اتساع المعاني في الخطاب القرآني وفي التغاير الدلالي للقراءات القرآنية وعلى أية حال فقد صار هذا البحث الآن في عهدة القارئ وهو المعنى باكتشاف الجهد المبذول فيه وهو المعنى أيضا بوزن الحقيقة المؤزرة بالحجج والبراهين . وحري بني الآن أن أخلص إلى أهم النتائج المتوصل إليها وهي:

1)القرآن هو الوحي الذي أنزله الله عز وجل على قلب محمد صلى الله عليه وسلم ونقل بالتواتر.

2)القراءات علم يكفيه أداء كلمات القرآن واختلافها مع عزو كل وجه لقارئه .

3)الاتساع باب من أبواب المجاز والحمل على المعنى وهو ضرب من الشجاعة في التصرف في الكلام .

4)الاتساع ظاهرة واسعة في اللغة فنجدها في علم القراءات يذل على إعطاء الحركة فوق حقها من المد لتنقلب حرفا وهي عند اللغويين تساهل وتسمح في دقة التعبير عن المعنى في المفردات والأساليب كل على حد سواء أما عند النحاة فهو تساهل في الأخذ بالضوابط والقواعد النحوية وفي علم الصرف تدل على مخالفة القياس أما في البلاغة فهو دريف للتفن في القصابة ونجدها ترتبط بالمجاز و الاستعادة والحمل على المعنى

5)الاتساع عند القدامى مبني في مجمله على الحذف وقائم على آية العامل والإعراب التقديري .

6)إنّ مصطلح الاتساع قليل التداول عند المحدثين فقد استبدلوه بمصطلحات أخرى كالتيسير والتسهيل والتجديد وغير ذلك .

7)يجمع المحدثون على صعوبة قواعد النحو التي جاء بها القدماء لما فيها من عسر وصعوبة في التأويل لذلك فهم يتفقون على تذييل هذه الصعوبات وتيسيرها حتى يتمكن المتلقون من فهمها وممارستها وهذا شيء من التوسع .

8)إن نقد المحدثين للقدامى هو نقد شكلي إذا أنهم لم يستطيعوا أن يأتوا بالبديل للمواضيع والنقاط التي ثاروا عليها ، زد ذلك أنهم كانوا يرفضون بعض الظواهر رفضا تاما ثم يعودون لها في تعليلات أخرى .

9)تتسم لغة القرآن، بالدقة وسعة التعبير على المعنى ، حيث يختار اللفظ المناسب في النظم والتركيب لإنتاج الدلالة الخاصة المتكلفة بتوصيل المعنى أو توحي بدلالات أخرى.

10) إن القرآن الكريم يتسم بالدقة التامة وعليه فإن تغيير حرف من الكلمة يولد اختلافا واتساعا في المعنى لما للحروف من دور فعال وأساسي في تمديد الدلالة .

11) يضع مستويات اللغة (الصعوبة الصرفية النحوية الدلالية) بصمتها فيوجه من خلالها الخطاب القرآني توجيها نبرز مختلف أو وجه الإعجاز القرآني من حيث اتساع المعاني أو التغاير الدلالي.

12) اختلاف القراءات القرآنية قد ولد تعددا في التوجيهات الدلالية واختلاف الأحكام الشرعية مما أدى تتبع عنه ظهور الاختلافات الفقهية .

وفي الختام لا يسعني إلا أن أقول إن هذا ما استطعت أن ألم به بهذه النظرة الخاطفة للموضع، والحق يقال أنني كلما أردت أن أختم بحثي وأضع له نقطة النهاية . تتراءى لي زيادة هذا وحذف ذاك وتوسع ذاك.... وقد خدمته وفي قلبي منه شيء .

هذا وإن أصبت فبمنّ من الله تعالى ، وإن أخطأت فمني ومن تقصيري .

وآخر دعوانا أن الحمد الله رب العالمين .

قائمة

المصادر و المراجع

- **القرآن الكريم**

- أوضح المسالك إلى الفية ابن مالك لابن هشام تحقيق يوسف الشيخ محمد البقاعي دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع ج2

- شرح ابن ناظم على ألفية ابن مالك أبو عبد الله بدر الدين بن الفاخم ، تحقيق محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية بيروت ط1 2000 م .

الأحرف السبعة ، أبو عمرو الداني (ت 444)، تحقيق عبد المهيمن طحان ط1 1418هـ/1997.

- اتساع الدلالة في الخطاب القرآني ، د/محمد نور الدين المنجد ، تقديم الدكتور سعيد الأيوبي دمشق ، دار الفكرة 2010 ، ط1، 2010 .

- الاتساع اللغوي بين القديم والحديث عطية نايف الغول، بدون طبعة ، عمان الأردن ، دار البيروني 2008 ، ص7.

- الإتقان في علوم القرآن ؛جلال الدين السيوطي تحقيق مركز الدراسات القرآنية مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف 1426 ج 1

- ارشاد الفحول للشوكاني تحقيق سامي بن العربي الأثري ط1 1424 /2000 .

- أساس البلاغة للزمخشري تحقيق محمد باسل عيون السود دار الكتب العلمية 1419/ 1998 ط1

- أسس علم اللغة ماريو باي ترجمة وتعليق أحمد مختار عمر ، ط8، القاهرة ، عالم الكتب 1419هـ- 1998 م .

- الأشباه والنظائر في النحو ، جلال الدين السيوطي دار الحديث للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت لبنان ، ط3، ج1.

- الأضداد في كلام العرب لأبي الطيب ، تحقيق عزة حسن دار السلام – دمشق ، ط 2 ، 1996 .

- الأضداد ابن الأنباري ، تحقيق أبو الفضل ابراهيم 1407 هـ-1987 م .

- الأضداد قطرب ، تحقيق الدكتور حنا حداد ، دار العلوم للطباعة والنشر الرياض ط2 ، 1984 .

- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن لمحمد الأمين بن محمد بن مختار الجنكي الشنقيطي، دار الفكر 1995 .

- الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم ، عبد الحميد أحمد يوسف الهنداوي ، شركة أنصار الشريف للطباعة ، ط1 -2008 .

- الاقتراح في علم أصول النحو ؛ جلال الدين السيوطي ، قراءة وتعليق سليمان ياقوت ، دار المعرفة الجامعية ، قناة السويس 2006 .

- الأمالي أبو إسماعيل القالي تحقيق صلاح بن فتحي المكتبة العصرية للطباعة و النشر ط1 2001ج 2 .

- الإيضاح في علم النحو الزجاجي تحقيق مازن مبارك مطبعة المدني مصر 1378هـ 1985م.

- بحر العلوم (تفسير السمرقندي) للسمرقندي دار الكتب العلمية 2010، ج3.

- البحر المحيط أبو حيان الأندلسي محمد بن يوسف ، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود ، والشيخ علي محمد معوض وآخرون .ط1، 2001.

- بدائع الفوائد لابن القيم الجوزية ، ط، دار الكتاب العربي بيروت لبنان 2010 ، ط1ج1

- البرهان في علوم القرآن لبدر الدين الزركشي ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، ط3 ، دار الفكر 1400 هـ .

- بلاغة التقديم والتأخير في القرآن الكريم على أبو القاسم عون ط1 بيروت لبنان دار المدار الإسلامي ج/1 2006 م .

- بلاغة الكلمة في التعبير القرآني ، فاضل صالح السامرائي العاتك للنشر و التوزيع ط2 2006.

- البيان في تفسير القرآن ؛ أبو قاسم الموسوي الخوئي النجف الأشرف ، مكتبة الآداب ، ط2/1966 .

- البيان والتبيين لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت 255 هـ) تحقيق عبد السلام محمد هارون ط7 ، القاهرة ، مكتبة المنانجي 1998 ، ج 1.

- تاج العروس من جواهر القاموس محمد بن محمد بن عبد الرزاق المرتضى الزبيدي ط2 بالكويت ج 1/.

- تاريخ آداب العرب مصطفى صادق الرافعي ، دار الكتاب العلمية ، بيروت لبنان 1421 هـ- 2000 م ج 1 .

- تاريخ القرآن تيودور نولدكه ترجمة رضا محمد الدقيقي أبو عبد الله للنشر تجاني ط3 . بيروت مؤسسة الأعلى 1929.

- تاريخ النحو وأصوله ، عبد الحميد السيد طلب ، مكتبة الشباب القاهرة (د/ت) بتصرف.

- التبيان في تفسير القرآن أبو جعفر محمد بن حسن الطوسي ، تحقيق أحمد حبيب العاملي نشر دار إحياء التراث العربية ، بيروت 1309 هـ

- تجديد النحو د/- شوقي ضيف دار المعارف القاهرة ط 6 1980 .

- تحرير التعبير في صناعة الشعور والنشر وبيان إعجاز القرآن ، ابن أبي الأصبع ، زكي الدين عبد العظيم بن عبد الواحد بن ظافر بن عبد الله (2654 هـ) تحقيق حنفي محمد شرف المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية القاهرة 1963.

- التحرير و التنوير لابن عاشور دار احياء التراث العربي ط1 2000 .

- تسير النحو التعليمي أحمد شوقي ضيف، دار المعارف ، ط1 1993 .

- التضاد في القرآن الكريم ، تأليف محمد نور الدين المنجد، دار الفكر المعاصر ، ط2 ، 2007 .

- التطبيق الصرفي تعريف الأفعال تعريف الأسماء علي جابر المنصوري علاء وهاشم الخفاجي ط 1 عمان الأردن الدار العلمية الدولية للنشر 2002 .

- التعليل الصوتي عند العرب في ضوء علم اللغة الحديث قراءة في كتاب سيبويه ، مركز البحوث و الدراسات الإسلامية ، ديوان الوقف السني بالعراق ط1 ،2009 .

- تفسير ارشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم أبو سعود العمادي دار الاحياء للتراث العربي ط1 2010

- تفسير الجلالين جلال الدين محمد بن احمد المحلي و جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي دار الحديث القاهرة ط1 2010 .

- تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن محمد بن جرير الطبري تحقيق صلاح عبد الفتاح الخالدي دار الفرقان للنشر و التوزيع ط1 1983.

- تفسير القرآن العظيم ابن كثير تحقيق سامي بن محمد السلامة ط2 ، ج5 .1990.

- تمام حسان ، مناهج البحث في اللغة ط2 ، بلام 1394 هـ- 1974 م ، دار الثقافة دار البيضاء.

- تهذيب اللغة الازهري دار المعرفة : رياض زكي قاسم بيروت ط 10-ج11 1422 هـ- 2011 م .

- التوجيه البلاغي ، المفردات القرآنية ، د. أحمد سعد محمد ، مكتبة الآداب القاهرة ، ط2 1421 هـ- 2000م .

- التوسيع في كتاب سيبويه عادل هادي حمادي العبيدي مكتبة الثقافة الدينية ط1 1900

- دراسات في فقه اللغة صبحي الصالح دار العلم للملايين 1960 ط1.

- التوقيف على مهمات التعاريف المناوي محمد عبد الرؤوف ، تحقيق الدكتور محمد رضوان الداية ، دار الفكر دمشق ، ط1 ، 1410 هـ .

- الجامع لأحكام القرآن القرطبي ، أبو عبد الله محمد بن أحمد النجادي (671) تحقيق الحليم البردوني دار الشعب القاهرة 2 ، 1372 هـ ج 13 .

- الجامع لأحكام القرآن محمد بن احمد الأنصاري القرطبي ، القاهرة ، دار الكتب 1938 ، ط1/ط2

- الجملة العربية لفاضل صالح السامرائي ، دار ابن حزم بيروت ط1 /2000.

- جمهرة اللغة أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد (ت 321 هـ) مجلس دائرة المعارف العثمانية حيدر ، أباد ،ج3، ط1 ، 1345 هـ ،

- حاشية الصبان ؛ على شرح الأس تومني لألفية بن مالك الشافعي ط 1 ، 1417 هـ- 1997 م بيروت –لبنان – ج2 .

- حقائق الإسلام في مواجهة المشككين ؛ د. محمود حمدي زروق ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، القاهرة ط2 ، 2004 .

- الخصائص ابن جني أبو الفتح عثمان (392) تحقيق محمد علي النجار، عالم الكتب بيروت، ج2 .

- نحو اللغة وتراكيبها منهج تطبيق، خليل عمايرة ؛ في عالم المعرفة للنشر والتوزيع جدة ط1 1404 هـ /1984 .

- الدرر المصون في علوم الكتاب المكنون ، احمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي ، تج ، أحمد الخراط ، دار القام – دمشق – سوريا د/ط ج1 .

- الدفاع عن القرآن ضد النحويين والمستشرقين أحمد مكي الأنصاري دار المعارف مصر 1973/1293 .

- دلالة الألفاظ ؛ ابراهيم أنيس (د/ط) القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية (د/ت) .

- دلائل الإعجاز لأبي بكر عبد القاهر بن عبدالرحمان بن محمد الجرجاني (النحوي (ت 471 هـ)) ، تحقيق أبو فهد محمود محمد شاكر ، ط5 ، القاهرة ، مكتبة الخانجي 2004 م.

- النشر في القراءات العشر محمد بن محمد الدمشقي ابن الجزري أبو محمد تحقيق علي محمد الضباع المطبعة التجارية الكبرى ج 1/.

- الرسالة : الشافعي أبو عبد الله بن إدريس ، دار المعرفة بيروت ، ط2 ، 1393هـ ، ج5.

- زاد الميسر ؛ علم التفسير ابن الجوزي عبد الرحمان بن علي بن محمد المكتب الإسلامي بيروت ط3 ،ج6 /1404 هـ .

- سر صناعة الإعراب ، ابن جني تحقيق محمد حسن محمد حسن إسماعيل أحمد رشدي شحاتة عامر دار الكتب العلمية ج1 .ط2007/2.

- سه 438/1.

- السيوطي جمع الهوامع ، تحقيق عبد العال سالم مكرم ، دار البحوث العلمية 1979 ، ج6.

- الشاهد وأصول النحو في كتاب سيبويه خديجة الحديثي ، مطبعة جامعة الكويت 1974 م .

- شرح السنة للبغوي تحقيق شعيب الأرنؤوط محمد زهير الشاويش المكتب الإسلامي دمشق بيروت ط2 1983/1403.

- شرح الكافية الشافية محمد بن عبد الله ابن مالك الطائي الجياني أبو عبد الله جمال الدين تحقيق عبد المنعم أحمد هريدي جامعة أم القرى مركز البحث العلمي و إحياء التراث ط1

- شرح ابن عقيل لابن عقيل دار مصر للطباعة ط1 2010

- شرح الأشموني تحقيق محي الدين عبد الحميد /2011 .

- الشرح المفصل يعيش بن علي بن يعيش بن أبي السرايا أبو البقاء موفق الدين الأسدي الموصلي تقديم اميل بديع يعقوب دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط1 1422هـ/2001م ج 1

- حاشية الصبان أبو العرفان محمد بن علي الصبان الشافعي دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط1 1417هـ/1997م ج1 .

شرح ديوان امرئ القيس ، تحقيق السنوبي ، شرح أسامة صلاح الدين منيمة ، دار إحياء العلوم بيروت ، ط2، 1996 .

- شرح شافية ابن حاجب 345/4 الرضا الأسترتادي ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان 1975 ج4 .

- خزانة الأدب عبد القادر بن عمر البغدادي ، مكتبة الخانجي 1415 -1997 ط4 ، ج2

- شوقي ضيف الرد على النحاة ابن مضاء القرطبي تحقيق شوقي ضيف دار الفكر العربي القاهرة ط1 1366هـ 1947م .

شوقي ضيف ، محاضرات مجمعية الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية الجهورية العربية المصرية ط1 ، 1998.

- .

- الصحاح لإسماعيل بن حماد الجوهري تحقيق أحمد عبد الغفور عطار دار العلم للملايين 1990 ط4؛ ج3 ، 1298 .

- صحيح البخاري تحقيق زهير بن ناصر الناصر دار طوق النجاة ط1/1422هـ ج 6/.

- عبد القاهر الجرجاني ؛ دلائل الإعجاز ، صححه الشيخ محمد عبده ، والشيخ محمد محمود الشنقيطي ، دار المعرفة بيروت 1398 هـ /1978م .

- العربية بين أمسها وحاضرها ، ابراهيم السامرائي ، دار الحرية بغداد 1978.

- علم الدلالة ، أحمد مختار عمر دار العروبة للنشر و التوزيع الكويت 1982ط1،

- علم الدلالة العربية النظرية والتطبيق ، دراسة تاريخية تأصيلية نقدية ، فايز الداية ط 5 بيروت ، لبنان دار الفكر المعاصر ، دمشق سوريا ، دار الفكر 2006م /1427 هـ.

- علم اللغة مقدمة للقارئ العربي محمود السعران ، دار النهضة بيروت ، د ط ت .

- العمدة في صناعة الشعر ونقده ابن رشيق القيرواني ؛ أبو علي الحسن (456 هـ) تحقيق دار نبوي عبد الواحد شعلان ، القاهرة مكتبة الخانجي ، ط1 ، 2000 ، ج2 .

- عين النفع في القراءات السبع للصفاقسي تحقيق عبد السميع الشافعي الحفيان دار الكتب العلمية بيروت ط1 1425 / 2004.

- العين لأبي عبد الرحمن الفراهيدي (ت 175)تحقيق مهدي المخزومي إبراهيم السامرائي ط1 بيروت لبنان مؤسسة الأعلى 1408هـ/1988م ج 2/.

- غاية النهاية في صفات محمد بن محمد بن جزري عني بنشره ج برجستر ج1، القاهرة مكتبة الخانجي 1932.

- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم و السبع المثاني الألوسي تحقيق علي عبد الباري عطية دار الكتب العلمية ط/1 ج1 ،2014 .

- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية محمد بن علي بن محمد الشركان ، دار المعرفة ، ط1، 1423هـ-2004م .

- فضائل القرآن أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري الدمشقي، بيروت، دار الأندلس، مكتبة ابن تيمية ط1 ، 1416 هـ

- فقه اللغة ، دراسة تحليلية مقارنة للكلمة العربية ، محمد مبارك ، بدون طبعة ، دمشق مطبعة دار دمشق 1960 م ، 1379 هـ .

- فقه اللغة مفهومه موضوعه وقضاياه محمد بن ابراهيم الحمد دار بن خزيمة .2011

- في أصول النحو ،سعيد الأفغاني مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية ، سنة 1994 .

- في ظلال القرآن، الشيخ سيد قطب ،دار الشروق بيروت القاهرة طبعة 17/ ج3 ،1412 هـ.

- في فقه اللغة العربية ،أحمد ابن فارس الصاحبي ط1، بيروت ، دار الكتب العلمية 1997.

- القاموس المحيط ؛ مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي ، تحقيق مكتب التراث بإشراف نعيم ، دار الجيل ،مؤسة الرسالة للطبع و النشر و التوزيع ، بيروت ،لبنان ، ط8 ج1/، 1426هـ /2005 م

- القراءات القرآنية تاريخ و تعريف عبد الهادي الفضلي ، الغدير للدراسات و النشر مجموعة علوم القرآن و الحديث ط4 2009.

- القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث ،شاهين عبد الصبور مكتبة الخانجي ط1 2009 .

- القراءات وأثرها في التفسير ، محمد بن عمر بازمول ، ط1 ، دار الهجرة ، دار الكتب ج/1 ،العلمية 1405 ،.

- القلب المكاني في اللغة العربية ، حسين محمد شرف ، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، المطابع الأميرية ، ج42، 1398 هـ-1978م .

- القواعد والاشارات في أصول القراءات ، أحمد بن عمر بن محمد بن أبي الرضا الحموي أبو العباس ، تحقيق عبد الكريم محمد الحسن بكار ، ط/1 ، دار القلم دمشق .1406

- القواعد والإشارات في أصول القراءات ، الحموي أبو عباس ، أحمد بن عمر بن محمد بن أبي رضا ، تحقيق الدكتور عبد الكريم محمد الحسن بكار ، دار القلم ، دمشق ، ج/1 ط.1 ، 1406هـ

- الكتاب ، أبو بشير عمرو بن عثمان قتير سيبويه (ت 180 هـ) تحقيق عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي القاهرة ، ط3 1988 ، ج4 .

- كشاف الاصطلاحات الفنون والعلوم، محمد علي التهانوي تحقيق رفيق العجم علي دحروج مكتبة لبنان ط1 ، ج1، 1996.

- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري دار الكتاب العربي بيروت ط3 ج2، 2010

- الكليات، معجم في المصطلحات و الفروق اللغوية للكفوي تحقيق عدنان درويش /محمد المصري ،مؤسسة الرسالة بيروت 2010.

- لسان العرب؛ محمد بن مكرم بن منظور الافريقي المصري ط1 ،دار صادر سعد،ج 1/

- لطائف الاشارات لفنون القراءات ؛ لشهاب الدين القسطلاني ، تحقيق عامر السيد عثمان وزميله ، لجنة احياء التراث الاسلامي ، القاهرة ، ج/1 ، 1392 هـ

- اللغة العربية معناها ومبناها تمام حسان عمر عالم الكتب ط5 1427هـ/2006م .

- اللهجات العربية إبراهيم أنيس مكتبة الأنجلو مصرية مطبعة أبناء وهبة حسان 2002 .

- أسس علم اللغة ، ما ريو باي ؛ ترجمة د.أحمد مختار عمر طرابلس 1973 م .

- مباحث في علم اللغة واللسانيات ، رشيد عبد الرحمان العبيدي ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ط2 ، 2002 .

- مباحث في علوم القرآن ، محمد أحمد ، مفلح القضاة ، أحمد خالد شكري ، خالد منصور ، ط1 ، عمان الأردن 2001.

- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ابن الأثير أبو الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد بن عبد الكريم ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية بيروت ج1 ، 1995 م .

- مجموعة علوم القرآن والحديث (القراءات القرآنية) تاريخ وتعريف للعلامة الدكتور عبد الهادي الفضلي مركز الغدير للدراسة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، ط2009/9 .

- المدارس النحوية شوقي ضيف ، ط6 دار المعارف القاهرة 1968.

- مدارك التنزيل وحقائق التأويل ، عبد الله بن أحمد بن محمود النسغي ، تحقيق عبد المجيد طعمة حلبي ، ط1،ج/1 1998.

- مدخل إلى علم القراءات ؛ الدكتور شعبان محمد اسماعيل ، مكتبة سالم ، مكة المكرمة ، 1424هـ.

- مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو مهدي المخزومي ، ط2 ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، مصر 1958.

- مذاهب التفسير الإسلامي، ايحنتش جولد تسهير ، ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار ، القاهرة ، مكتبة السنة المحمدية 1955 .

- المزهر ، في علوم اللغة ،عبد الرحمن السيوطي ج1، ط2، بيروت ، دار الكتب العلمي .
- المساعد على تسهيل الفوائد لابن عقيل تحقيق محمد كامل بركات جامعة أم القرى ط1 ج4 ،1982/1402.
- المصطلح في اللسان العربي من آلية الظهر الى أداة الصناعة عمار الساسي ، الطبعة 1 ، عمان ، الأردن جدار الكتاب العالمي أربدا الأردن عالم الكتب الحديث ،1429هـ -2009
- كشف الظنون عن أساس الكتب والفنون ، مطر بن عبد الله، حاجي خليفة (دار الكتب العلمية بيروت ، ج1، 1413 هـ- 1992 م .
- معاني القرآن للفراء ، تحقيق أحمد يوسف النجاجي محمد علي النجار ، عبد الفتاح اسماعيل الشبلي ، الدار الكتب المصرية للتأليف والترجمة مصر ط1 ، ج1 .
- معاني النحو فاضل صالح السمرائي دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع الأردن ط1 ج1 1420 /2000.
- معجم الأدباء ياقوت الحموي ، دار الكتب العلمية ، ط1/ لبنان 1411 هـ /1991 م
- المعجم العربي الأساسي للناطقين بالعربية ومتعلميها ، محمد عابد وآخرون لاروس.
- معجم القراءات لعبد اللطيف الخطيب دار سعد للطباعة و النشر و التوزيع اصدار الكويت ج 3/، 2002/1422 .
- معجم علوم العربية التونجي ط1 بيروت ، دار الجيل 1424 هـ/2003م .
- معجم مقاييس اللغو ، أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكرياء (ت395 هـ) تحقيق عبد السلام محمد هاروون ، دار الفكر .د.م ط 1979 مجلد 6 .
- معرفة القراء على الطبقات و الأعصار شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي دار الكتب العلمية ط1 ، ج1 ، 1417هـ/1997م .
- مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير فخر الدين الرازي دار الكتب العلمية ط1 ، ج 15/2000.
- مفتاح السعادة أحمد بن مصطفى طائي كيري زاد (حيدر أبان الدكن ؛ مكتبة دائرة المعارف النظامية) ط1 ، مراجعة وتحقيق كامل كامل بكري وعبد الوهاب أبو النور القاهرة مكتبة الاستقلال الكبرى ج1

- مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم لطاش كبرى زاد ، ط1 ، الكتب العلمية ، 1405 هـ 6/2

- المفصل جواد علي أوند دانس للطباعة و النشر ط1/ 1995ص428.

- المفصل في علم العربية للزمخشري تحقيق فخر صالح قدارة 1425هـ/2004م ط1ص 213.

- مقاييس اللغة ؛ لأحمد ابن فارس ، تحقيق عبد السلام محمد هارون 1979 ج65/5 قدم.

- مقدمة كتاب المباني ومقدمة ابن عطية ، نشر المستشرق الدكتور آرثر حفري ، تصحيح اسماعيل الطاوي ط1972/2 ص 23.

- مقدمتان في علوم القرآن مقدمة كتاب المباني و مقدمة ابن عطية تحقيق عبد اللّه إسماعيل الصاوي آرثر جفري مكتبة الخانجي للنشر و الطباعة ط1 1905ص 37.

- منجد المقرئين ومرشد الطالبين ابن الجزري اعتنى به عبد الحليم قابة ، ط1 ، دار البلاغ للنشر والتوزيع ، الجزائر 1424 هـ 2003 م،ص17.

- موقف القراء من القراءات القرآنية ، علي ناصر غالب ، مجلة المورد مجلد 17 ع4 ، بغداد 1988 ، ص15-27.

- النحو الوافي ، عباس حسن دار المعارف ط 3 2008 ج4/ص696.

- نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر عبد الرحمان بن علي بن جوزي ، تحقيق محمد عبد الكريم 1987 ، ط 3 ، ص20-21 . وبصتلرذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز مجد الدين أبو الطاهر الفيروز أبادي 1996.

- النشر في القراءات العشر محمد بن محمد الجزري 833 هـ مراجعة علي محمد الطباء القاهرة م/مصطفى محمد (1ج/ص6).

- نظم الدرر في تناسب الآيات و السور ابي بكر البقاعي دار الكتاب الإسلامي القاهرة 2010، ج7، ص52.

- النظم في اللغة ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، معهد المخططات بجامعة الدول العربية ، مصر ط1 ، 1377 /191/7.

- نقلا عن بحار الأنوار 61/19 (مقدمة المباني).مجموعة علوم القرآن القراءات القرآنية ، عبد الهادي الفضلي ، ص27.

- النكت في تفسير كتاب سيبويه لابي الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى الأعلم الشنتمري تحقيق و شرح رشيد بلحبيب وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية المملكة المغربية ط1 ج1 ص 323.

- الهوامل والشوامل التوحيدي ومسكوبة أبو حيان ، تحقيق أحمد أمين والسيد أحمد صقر مكتبة الثقافة الدينية مصر 1951 ص 9-10.

- وجوه القرآن عبد الرحمان اسماعيل بن أحمد الضرير النيسايوري الجري ، تحقيق ودراسة فضل الرحمان عبد الحليم الأفغاني رسالة لنيل الماجيستير 1404 هـ - 1984 م – ص183-186.

- الوجوه والنظائر ص230 وباسم الوجوه والنظائر أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن البشير، الوحيدي الخرساني تحقيق حاتم صالح الضامن 1427هـ-2006 م –ط1، ج1.ص 153

- الوسط في تفسير القرآن المجيد النيسايوري ، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود ، علي محمد معوض ج3 ، ص254.

- An outline of english phonetics p275.

المحتويات

المحتويات :

المحتويات	الصفحة
الإهداء	
الشكر	
المقدمة	
المدخل: في القراءات	
تعريف القراءات والقرآن	
تعريف القراءات	
تعريف القرآن الكريم :	
تنزيل القرآن الكريم :	
نشأة علم القراءات وتطورها :	
أسباب الاختلاف :	
الاختلاف في القراءات القرآنية :	
التغاير في القراءات وموقف العلماء منه :	
أسباب الاختلاف :	
الاختلاف في القراءات القرآنية :	
التغاير في القراءات وموقف العلماء منه :	
الفصل الأول : الاتساع بين القدامـــى و المحدثين	
مفهوم الاتساع في العربية .	
الاتساع عند القدامى .	
الاتساع عند المحدثين .	
الفصل الثاني :المستويا الصوتي و الصرفي و أثرهما في اتساع المعاني و التغاير الدلالي	
المستوى الصوتي :	
الإبدال :	
حذف الصوت :	

المحتويات :

التنوين :

التنغيم :

نماذج حول التغاير الصوتي في القراءات القرآنية :

الاتساع في المستوى الصرفي :

التحول في الصيغ الصرفية

القلب المكاني :

بعض النماذج حول التغاير الصرفي في القراءات :

الفصل الثالث : المستويا النحوي و الدلالي و أثرهما في اتساع المعاني و التغاير الدلالي

الاتساع في المستوى النحوي:

التقديم والتأخير :

التضمين :

بعض النماذج عن اتساع القراءات نحويا :

الاتساع في المستوى الدلالي :

الترادف :

المشترك اللفظي :

الأضداد:

نماذج حول التغاير الدلالي في القراءات القرآنية .

خاتمة

قائمة المصادر و المراجع

المحتويات